لجنة التأليف والترجمة والنشر

كتاب
الاشتقاق والتعريب

يبحث فيما يعرض للغة العربية من تكاثُر كلماتها بواسطتى الاشتقاق والتعريب . وأن هـذا الأخير طبيعىٌّ فى لغتنا وفى غيرها من اللُّغات . وأن استعمال المعرَّب لا يحط من قدر فصاحة الكلام والاستشهاد على ذلك

تأليف

عبد القادر بن مصطفى المغربى

الطبعة الثانية

١٣٦٦ هـ — ١٩٤٧ م

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

لجنة التأليف والترجمة والنشر

كتاب
الاشتقاق والتعريب

يبحث فيما يعرض للغة العربية من تكاثُر كلماتها بواسطتى الاشتقاق والتعريب .
وأن هـذا الأخير طبيعىٌّ فى لغتنا وفى غيرها من اللُّغات . وأن استعمال المعرَّب
لا يحطُّ من قدر فصاحة الـكلام والاستشهاد على ذلك

تأليف

عبد القادر بن مصطفى المغربى

الطبعة الثـانية

١٣٦٦ هـ — ١٩٤٧ م

القـاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

مقـــدمة النشر

لا يخفى أن قبول المُعرّب وإباحة استعماله من المسائل التى كثر الخلاف عليها والجدال حولها . وخاصةً فى هذه الأزمنة المتأخرة التى عول العرب فيها على كتب الإفرنج ومصنفاتهم فى مختلف العلوم والفنون والترجمة منها وتدريسها فى مدارسهم . وكان الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربى ألف كتابا فى هذا الموضوع ، لقى ارتياحا ورواجا لدى القراء ، ثم نفدت نسخه ، ولم ينفد التساؤل عنه . وقد علمت لجنة التأليف أن للأستاذ المؤلف زيادات وتعاليق جمة الفائدة ألحقها بكتابه المذكور ، فرأت خدمة للغة العربية أن تعيد طبع الكتاب مع هذه الزيادات والتعاليق .

وها هى ذى الطبعة الثانية ماثلة تحت أنظار القراء .

فهرست مطالب الكتاب

مقدمة الطبعة الثانية

بقلم المؤلف

طبع كتابى (الاشتقاق والتعريب) طبعته الأولى فى مصر سنة ١٩٠٨ م ، فيكون قد قضى زهاء أربعين سنة وهو يؤدى رسالته وينشر دعوته إلى قبول التعريب وإثبات أنه ناموس طبيعى فى كل لغة من لغات البشر ، لا اللغة العربية وحدها ، وأن على أبناء هذه اللغة أن يستفيدوا منه فى تنمية لغتهم وتوسيع دائرة التخاطب بها . وقد أشرت فيه إلى أن هذه الاستفادة لا تتيسر لهم على وجه الكمال ما لم يقم من فضلائهم فئة باسم (مجمع لغوى) تأخذ على عاتقها أمر هذه التنمية فتفتح أبوابها ، وتيسر أسبابها ، ضمن شروط وقيود تصون سلامة اللغة من الضياع وقواعدها من الانهيار وأساليبها الفصحى من الانحطاط . من ذلك قولى فى آخر بحث (شرط التعريب) .

« فكم نحن إذن فى حاجة إلى مجمع لغوى يصون لغتنا المحبوبة عن هذا الخطر الذى يتهددها ، وينتشلها من الهوة التى نخشى أن تواقعها » . قلت هذا سنة ١٩٠٨ م ، فلم تأت سنة ١٩١٨ ميلادية حتى أنشىء المجمع العلمى العربى بدمشق ، وسنة ١٩٣٤ م حتى أنشىء مجمع فؤاد الأول للغة العربية بمصر .

أما السبب المباشر فى حملى على تأليف الكتاب فهو ما كان يسمعنيه إخوانى من العتب فى استعمال كلمات من المعرب والدخيل فى مقالاتى التى كنت أنشرها فى المؤيد بين سنتى (١٩٠٦ و ١٩٠٩) . وكنت لا أرى رأيهم فى أن القليل من هذه الكلمات يفسد المقال الطويل بعد أن تتوفر فيه سائر صفات الحسن . وكان يحتدم الجدال بينى وبينهم حتى تخطى الجدل القول إلى الكتابة فى الصحف . وكنت أكتب فى المؤيد ردوداً أحتج بها لنفسى . من ذلك المقال المنشور فى آخر الكتاب بتاريخ ١٨ أكتوبر عام ١٩٠٧ .

ثم رأى أساتذة اللغة فى مصر يومئذ أنه لا ينبغى أن يكتفى فى حل هذه المشكلة بما يكتبه الكتاب فى الصحف ، ويتحدث المتحدثون فى المحافل . فإن الأمر أعظم من ذلك ، وأن الواجب أن يلجأ فى الفصل بهذه القضية إلى تنظيم الجدل وتوجيه العمل وعقد مناظرات

فى (نادى دار العلوم) تحت رئاسة كبير أدباء عصره حفنى بك ناصف . فقامت المناظرات المنظمة على قدم وساق بين أساطين الأدب وأساتذة اللغة : حفنى ناصف والشيخ شاويش والخضرى والإسكندرى وأحمد زكى ، وأخيراً أحمد فتحى زغلول .

وكان ختام المناظرات مناظرة عقدت مساء ٢٠ فبراير عام ١٩٠٨ خطب فيها طائفة ممن ذكرنا ، واحتيج الأمر إلى حكم يحكم بينهم ، فكان ذلك الحكم المرضى الحكومة والمتفق عليه من الجميع أحمد فتحى باشا ، فألقى كلمة قطع بها قول كل خطيب . وخلاصة ما قال : «إذا عرض لنا لفظ أعجمى ترجمناه إلى لغتنا ، وإذا تعذرت ترجمته اشتققنا له اسماً من لغتنا ، وإذا تعذر ذلك أيضاً استعملنا مكان الأعجمى كلمة عربية مصوغة بإحدى طرق المجاز ، وإن لم يمكن شىء من ذلك نلجأ إلى تعريبه أسوة بالمعربات الشائعة فى لغتنا » (راجع تفصيل وقائع هذه المناظرة فى مقال كنا نشرناه فى المؤيد ، وهو منشور بين ملاحق هذه الطبعة للكتاب) .

واتفق خلال ذلك أن زرت فى جماعة من الإخوان زعيم مصر العظيم سعد باشا زغلول فى داره ، وابتدأ الحديث بيننا فى الكلام على وعكة أصابت سعداً ، وربما كانت هى السبب فى زيارتنا له . فكان سعد يحدثنا عن أسباب وعكته . وكانت تجرى على لسانه المرة بعد المرة كلمة (ريجيم Regime) ، فلم أتمالك أن قطعت حديثه وسألته عن معنى (ريجيم) . وشجعنى على هذه المقاطعة غير المستحبة ما كان من احتدام الجدل فى مصر حول استعمال أمثال تلك الكلمات الأعجمية . فشرح لى سعد رحمه الله معنى (ريجيم) ووصف من حاجتنا إلى استعمالها . وانتقل الحديث إلى موضوع التعريب والمعربات . فلا أذكر كيف كانت آراء الجلساء حتى أرد كل رأى إلى صاحبه ، وإنما الذى أذكره بالتحقيق أن رأى الباشا كان فى جانبى ، وأنه لا بأس فى استعمال كلمة (ريجيم) ما دامت كلمة (حِمية) لا تصلح أن تقوم مقامها . ولا أن تؤدى معناها المستقر فى أذهاننا والمألوف إلى أذواقنا . وقال : إنه اطلع على بعض ما كتبته أنا وكتبه غيرى فى هذا الموضوع . ثم نشطنى على المضى فيه إلى الآخر . فوعدته وأنجزت ، غير أن الشيخ على يوسف صاحب المؤيد رحمه الله اعترض طريقى قائلا : يا فلان ، إننى أرى أن تدع الكتابة فى موضوع التعريب ، وأن تضيف إلى مقالاتك التى نشرتها إلى اليوم بقية ما لديك من الشواهد والحجج على صحة رأيك واستقامة

طريقتك ، ثم ليكن من ذلك كله مصنف فى موضوع حيوى هام نحن اليوم أحوج ما نكون إليه فى نهضتنا الحاضرة . فرأيت الصواب فيما أشار علىّ به شيخ المؤيد . وجمعت كل ما كتبته فى كتاب مستقل هو كتاب (الاشتقاق والتعريب) . وكان همى الأول أن أهدى نسخة منه إلى سعد ، وكان يومئذ وزيراً للمعارف ، فزرته فى دار الوزارة ، ولا أذكر من أمر تلك الدار إلا أنها كانت فى درب الجماميز . وقدمت إليه نسخة من الكتاب فتصفحه وأعجبه تبويبه وسهولة عبارته ، و بسط حججه و براهينه . وأمر من فوره أن يشترى منه باسم الوزارة مقدار كبير من النسخ . طبع الكتاب سنة ١٩٠٨ م ، وأعلن الدستور العثمانى فى أواخر تلك السنة . وفارقت القاهرة فى أوائل سنة ١٩٠٩ م عائداً إلى وطنى أهدى من القطا الكدرى بعد أن وزعت نسخ الكتاب على باعة الكتب فى القطر المصرى لعرضها وتصريفها . وقد أحسنت الجرائد والمجلات تقريظ الكتاب وتقديمه للقراء يومئذ . ثم فوجئنا بالحرب الكبرى « الأولى » وانقطع الاتصال بيننا و بين مصر ، فلم نعد نعرف شيئا عن حركة الأدب والتأليف والطباعة والنشر فى تلك الحقبة ، وغاب عنى فى الجملة خبر كتاب (الاشتقاق والتعريب) وكنت أتمنى لو أعرف ماذا جرى له وماذا كان رأى الفضلاء فيه بعد انتشاره فى القطر ، حتى جئت مصر سنة ١٩٣٤ م عضواً فى مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، ففهمت أن نسخ الكتاب نفدت أو كادت . وأن الرغبة متوفرة لدى القراء فى إعادة طبعه لحسن ما رأوا من فائدته ، وطرافة موضوعه . حتى إن فاضلا منهم سمعته يقول : إن كتابين ظهرا فى مصر خلال بضع سنوات كانا عاملين فى نهضتين قوميتين : (كتاب تحرير المرأة) فى إنهاض المرأة المسلمة والترفيه عنها . وكتاب (الاشتقاق والتعريب) فى إنهاض اللغة العربية والترفيه عنها . وما كنت أتوقع أن يصل رضى القراء عن كتاب الاشتقاق والتعريب إلى هذا الحد .

وكنت فى خلال هذه المدة الطويلة أعثر فى كتب اللغة والأدب على نصوص وشواهد من كلام العلماء المتقدمين والمعاصرين كلها تدور حول المعرب والتعريب . فكنت أقتبسها وألحقها بنسختى الخاصة ، حتى تجمع لدى من هذه اللاحق والزيادات طائفة كبيرة نقلت الكتاب من طور إلى طور ، من طور الإيجاز إلى طور التفصيل ، من طور مسألة لغوية فى بدايتها . إلى طور مسألة لغوية فى ما يقرب من نهايتها . وقد أحببت أن تكون الطبعة

الجديدة مذيلة بهذه الملاحق ، ومحلاة بما تضمنته من فوائد وحقائق ، عدا إضافات صغيرة ، وهوامش كبيرة ذيلت بها بعض صفحات الكتاب ، وستكون مواد الطبعة الجديدة موقعة على هذا الترتيب :

١ — مقدمة للناشر .

٢ — مقدمة للمؤلف .

٣ — النسخة الأصلية بهوامشها وتعاليقها .

٤ — مقال للمؤلف بعنوان (بحث لغوى) وهو مثبت فى الطبعة الأولى .

٥ — (التعريب وكيف كان يقع على ألسنة الأعاريب) وهى محاضرة للمؤلف ألقاها فى مجمع دمشق سنة ١٩٤٣ م .

٦ — (تعريب الأساليب) وهو مقال للمؤلف فى موضوع بكر ، كان نشره فى مجلة مجمع فؤاد الأول جزء ١ صفحة ٣٣٢ .

٧ — أقوال للمتقدمين فى المعرب والتعريب .

٨ — أقوال للمعاصرين فى المعرب والتعريب .

٩ — فوائد منثورة مقتبسة من مصادر مختلفة تتعلق بالمعرب والتعريب .

١٠ — مقال للمؤلف نشر فى المؤيد سنة ١٩٠٨ وصف فيه ختام مناظرات نادى دار العلوم فى موضوع التعريب وهو المشار إليه آنفاً .

١١ — مقال نشره المستشرق الإيطالى (جويدى) الكبير فى المجلة الإيطالية (دراسات شرقية) قرظ فيه كتاب (الاشتقاق والتعريب) لحين صدوره .

هذا وأرى من وفاء الذمم أن أشكر للجنة التأليف والترجمة والنشر ورئيسها الأستاذ أحمد أمين بك عنايتهم بطبع كتابى وإفراغه فى هذا القالب الجميل أحسن الله إليهم وأجزل ثوابهم ؟

عبد القادر المغربى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على رسوله الصادق الأمين . وبعد فإن أمتنا العربية فى أشدّ الحاجة إلى نشر العلوم بين ظَهْرَانَىْ أبنائها . ولن يكون تعليم تلك العلوم وافياً بالحاجة ما لم يكن بلغة المتعلمين التى نشأُوا على التفاهم بها . ولن تصلح اللغة العربية لأداء هذه الوظيفة ما لم تنمُ وتتسع دائرتها وتتوفر فيها الكلمات المحتاج إليها فى تلقين تلك العلوم والفنون . ولتوفّر تلك الكلمات والاستكثار منها طريقان : «الاشتقاق» و «التعريب» أعنى جعل الكلمة الأعجمية عربية . وقد نرى الغريب عن اللغة ، البعيد عن معرفة أسرارها ، يرميها بضيق العطن ، وقلة الكلمات المحتاج إليها فى المطالب العصرية المختلفة ، وأن اللغة غير صالحة بالجملة للتعليم والتعلم . وإذا عذرنا هؤلاء فلا يحسن أن نعذر أبناء اللغة أنفسهم الذين أعرضوا عن الانتفاع بالاشتقاق والتعريب . بل ربما أقاموا العواثير فى سبيل ذلك الانتفاع . وليتنى كنت أدرى ما هو حدُّ التعريب عند أُولئك الفضلاء ؟ وما هى طريقته وشروطه فى رأيهم ؟ وكيف إذا سمعوا بكلمة غريبة عن اللغة عُرِّبَت وشاعت بين أهلها وطابت لها نفوسهم ومَرِنت عليها ألسنتهم — حوقلوا وسبْحَلوا وعدُّوا دخولها فى تراكيب اللغة كدخول ميكروب الأمراض الخبيثة فى تجاليد الإنسان العزيز عليهم . فهم يعملون على إخراجه والتخلص من شره بأية وسيلة كانت . وتراهم من جهة ثانية يرفعون أصواتهم بالانتصار للغة والإعجاب بخصائصها ومزاياها والاحتجاج على أُولئك الذين يرمونها بالإملاق وضيق النطاق .

وإنى لا أرى انتصارهم واحتجاجهم صحيحين ، ما لم يعملوا على إحياء هاتين القوتين « الاشتقاق » و « التعريب » وتمهيد السبل للانتفاع بهما .

وقد أثبتُّ فى كتابى هذا أن كثرة المعربات تدل على أن التعريب قياسى أو هو طبيعى فى اللغة لا تتيسر مقاومته . وأن المعرَّب عربى : فاستعماله فى الكلام الفصيح لا يحطُّ من قدر فصاحته . ولا يُخرج البليغ عن بلاغته . فإن أصبت فى رأْيى فتلك المثلى . وإن كانت الأخرى . فليست بالأولى .

مقدمة

الأمة تنمو وتتكاثر أفرادها بطريقين : التوالد والتجانس . أما الأول فظاهر فى أن الأمة ترجع بشُعَبها وفروعها إلى بضعة أفراد من أجدادها . أو إلى جدٍّ واحد أحياناً كيعقوب ابن اسحق جد الأمة الإسرائيلية . ويعرب بن قحطان جد عرب اليمن . وعدنان جد عرب الحجاز . فإن هؤلاء الأجداد الثلاثة نسلوا أولاداً . وهؤلاء الأولاد نسلوا أيضا . وهكذا تكوّنت هاتان الأمتان العظيمتان : الأمة اليهودية والأمة العربية . وتكاثرت أفرادها .

ولكن إذا قلنا اليوم « الأمة العربية » لا يراد من إطلاقها الأناسىُّ الذين انحدروا من صلب يعرب أو عدنان فقط ، بل يتناول أيضاً قوماً آخرين من مثل الفرس والروم والسريان والقبط والبربر لا نسبة بينهم و بين يعرب أو عدنان . وليسوا هم من سلالتهما . و إنما امتزجوا بهذه السلالة . ونطقوا بلغتها . واندمجوا فى مطاويها . فكانوا عرباً[1] . وتقمّصوا جنسية العرب . ولو قلنا للخمسين مليون عربى الموجودين اليوم — لِيَعْتَزِ كلٌّ منكم إلى جده الذى كان منذ آلاف من السنين — لما اعتزَى إلى يعرب وعدنان منهم سوى عشرة ملايين أو أقل . فالأمة العربية إذن تكاثرت بطريق ثان غير التوالد . وهو ما اصطلحوا عليه باسم التجنّس . أى الاندغام فى الجنس .

وتكاثر الأمة العربية بالتجنس لم يحصل بتأثير الإسلام ولا بفتوحاته فقط ، و إنما كان يحصل أيضاً قبل الإسلام . وفى زمن التفاف الأمة فى جاهليتها . وانجحارها فى جزيرتها . وقد كانت لذلك العهد قسمين : قسم يقال له العرب العاربة . ويريدون بهم أولاد قحطان . وهؤلاء هم الأصل فى العروبة . وقسم يقال له العرب المستعربة . وهم أولاد عدنان الذى هو من سلالة إسماعيل بن اسحق صلوات الله عليهما . و إسماعيل عبرانى العرق . لكنه تجنس بالجنسية العربية . ولابس العرب . ونطق بلغتهم . وصار منهم وفيهم . فلم تكن سلالته

---

(١) يؤيد هذا ما جاء فى تاريخ ابن عساكر فى ترجمة الصحابى الجليل سلمان الفارسى : أن منافقا نال من عروبته فغضب النبى (ص) وأتى المسجد وخطب فى الصحابة وقال ما نصه (يا أيها الناس إن الرب واحد والأب واحد وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم . وإنما هى اللسان . فمن تكلم بالعربية فهو عربى) .

خالصة العروبة . قال رجل لعلىّ كرم الله وجهه : أخبرنى يا أمير المؤمنين عن أصلكم معاشر قريش . فقال : نحن قوم من « كوثى » . وكوثى بلد بالعراق بها ولد إبراهيم عليه السلام .

وقد تكاثرت الأمة العربية بأولاد اسماعيل لا عن طريق التوالد بل عن الطريق الآخر — طريق التجنس والتعرّب . وهذا لا يقدح فى عروبتهم . ولا يخرجهم من الجنس العربى . ولا يحط منزلتهم عن منزلة العرب العاربة — حتى هؤلاء (أى العرب العاربة) فإن بعض المحققين من مؤرخى العصريرى أن أصلهم من بلاد الحبشة نزلوا اليمن واختلطوا بأهله وصاروا عرباً . ويكفيك شاهداً على صحة عروبة بنى اسماعيل . أنه صلى الله عليه وسلم من أولاد إسماعيل المستعربين . فلو كان استعرابهم يجعلهم مفضولين لما ابتعث الله سيد الخلق منهم .

وإذا تدبرت ما قلناه فى نموّ الأمة من حيث التوالد والتجنس وجدته منطبقاً تمام الانطباق على نمو لغتها من حيث الأمران المذكوران أيضاً . فلغة الأمة العربية كانت لأوّل عهدها مؤلفة من أصول قليلة . وكلمات ساذجة . ثم تهيئت لها أسباب الارتقاء فأخذت تنمو وتتكاثر بالطريقين أو العاملين اللذين أثرا فى نمو الأمة نفسها وتكاثرها . فكانت تلك الأصول والكلمات تتوالد وتتناسل وتُجنّس غيرها من كلمات اللغات الأخرى بجنسيتها . وهنا نخالف فى التعبير : فندع كلمتى « التوالد » و « التجنس » اللتين استعملناهما فى نمو الأمة ونستعمل مكانهما فى نمو اللغة كلمتى «الاشتقاق» و «التعريب» . فالاشتقاق فى أصول كلمات اللغة العربية بمثابة النتاج والتوليد فى الأشخاص المتكلمين بها . والتعريب فى الكلمات الدخيلة الطارئة على تلك اللغة — كالتعرّب بالنسبة إلى الدخلاء فى الأمة العربية والملتحمين بها . ولكن نمو الأمة أكثر ما يكون بالتوالد . على العكس من اللغة : فإن أكثر نموها يكون بالتعريب . وإذا عرفنا أن النمو فى اللغة آية من آيات حياتها . وأن العامِلَين المؤثرين فى ذلك النمو إنما هما «الاشتقاق» و «التعريب» وجب علينا نحن أبناء اللغة العربية أن ندرس فنى الاشتقاق والتعريب حق الدرس . ونقتلهما بحثاً وتدقيقاً . كى نتوصل بذلك إلى إمداد لغتنا بالحياة الدائمة ، والنمو المتواصل .

الاشتقاق

هو نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتهما معنىً وتركيباً وتغايرهما فى الصيغة . أو يقال هو تحويل الأصل الواحد إلى صيغ مختلفة لتفيد ما لم يستفد بذلك الأصل : فمصدر « ضَرْب » يتحوَّل إلى «ضَرَبَ» فيفيد حصول الحدث فى الزمن الماضى ، و إلى «يضرب» فيفيد حصوله فى المستقبل وهكذا . وهذا التحوّل والاشتقاق إنما يلحق الأصـول الدالّة على الأفعال والأحداث لأنَّ هذه التى تتغير وتستحيل من طور إلى طور لما ينتابها من العوارض : فالضرب مثلاً يختلف باختلاف زمن حدوثه و باختلاف الفاعلية والمفعولية إلى غير ذلك من الاعتبارات . أما الأصول الدالة على الموادّ والأعيان — وهى ما يسمونه بالجواهر والأسماء الجامدة — فليست بهذه المثابة ، ولا تلابسها هذه العوارض . فـكلمة « أرض » تدل على هذا الجسم الـكُرَوِى الذى نعيش عليه . ولا يطرأُ عليه من العوارض ما يطرأُ على الأفعال والأحداث ، فلا يتغير لفظه ، ولا يشتق منه غيره . اللّهم إلاَّ ما سمع عن أهل اللغة أنفسهم ، وما حولوه هم بألسنتهم كمادة « حجر » التى اشتقوا منها استحجر الطين . ومن « ناقة » استنوق الجمل . ومن « سَيْف » سَافَهَ أى ضربه بالسيف . ومن « الرأْس » رَأَسَه إذا أصاب رأسه .

وقد يقال إن الاشتقاق سماعى بالجملة أى يرجع فيــه إلى ما ورد عن العرب أنفسهم : فالاسم الجامد الذى سمع أنهم حولوه واشتقوا منه نتابعهم فيه . والمصدر الذى سمع أنهم اشتقوا منه صيغاً معدودة لنا أن نستعملها وننطق بها . وما لا فلا . فليس لك أن تشتق من كلمة « الحصا » الجامدة فعلا كاستحجر . ولا من كلمة « سهْم » سَهَمَــه و « رِجْل » رَجَلَه تعنى رماه بالسهم وأصاب رجله[1] . كما قالوا فى السيف سافَهَ . وفى الرأْس رَأَسَه . هذا ما يقال بالنسبة للجواهر . ومثل ذلك يقال فى المصادر وأسماء الأحداث : فإننا نقتصر فى المشتقات منها على ما سمع منهم ، ونقل إلينا عنهم . فلا نشتق من النحافة «ناحف» كضامر ، وقد قالوا هم «نحيف» . ولا من الـكشح « كشيح » بمعنى مضمر العداوة ، وقد قالوا هم كاشح . ولا من السخط سخَّطه بتشديد الخاء كهيّجه إذا أغضبه ، وقد قالوا هم أسخطه بالهمزة . واشتقوا من

(١) لاحظ على قولنا — وملاحظته حق — المستشرق (جويدى) فقال فى تقريظه لـكتابنا هذا (راجعه فى الملاحق) : ذكر التاج فى مستدركه واللسان وغيرهما أنه يقال رجله إذا أصاب رجله .

الحب « محبوب » ولم يشتقوا « حابّ » فلا نستعمله — ومن أحب « مُحِبّ » بصيغة اسم الفاعل ولم يشتقوا[1] « مُحَبّ » بصيغة اسم المفعول فلا نقوله نحن وهكذا . ومحصل القول أن اشتقاق كلمة من أُخرى مما يقصد إليه العرب ، وله عندهم قياس يعرفونه ، وأُسلوب يجرون عليه . ولا يجوز لمن جاء بعدهم أن يفتات عليهم فى اشتقاق ما لم يشتقوه هم . قال ابن فارس : « أجمع أهل اللغة إلا من شذّ منهم أن للغة العرب قياساً ، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض ، وأن اسم الجنّ مشتق من الاجتنان . وأن الجيم والنون تدلان أبداً على الستر : تقول العرب للدرع جُنَّة . وأجنَّه الليل . وهذا جنين أى فى بطن أُمه . وأن الأَنس الظهور ، يقولون آنست الشىء أبصرته . وعلى هذا سائر كلام العرب . علم ذلك من علم . وجهله من جهل . قال وهذا مبنى أيضاً على أن اللغة توقيف : فإن الذى وقفنا على أن الاجتنان الستر هو الذى وقفنا على أن الجن مشتق منه . وليس لنا اليوم أن نخترع . ولا أن نقول غير ما قالوه ولا أن نقيس قياساً لم يقيسوه . لأن فى ذلك فساد اللغة ، و بطلان حقائقها . قال : ونكتة الباب أن اللغة لا تؤخذ قياساً نقيسه الآن نحن» انتهى كلامه . فمواد اللغة العربية إذن أشبه بأُمّات ولّد منها أهل اللغة أولاداً وذرارىّ هى المشتقات . وقد كانت بعض تلك الأُمّات والذرارى نافرةً آبدة فى البوادى و بين أحياء العرب . والبعض الآخر منها مستأْنساً متحضِّراً ، فجاء الأصمعى وأبو عبيدة وأضرابهما فأنّسوا شواردها . وقيدوا أوابدها . ثم جعلوا يُدلون بها إلى أصحاب المعاجم ، والمشتغلين بالتدوين . فأودعها هؤلاء مع ما أودعوا — بطونَ الأسفار . كما يودع المؤلفون فى فنّ المملكة الحيوانية فى تآليفهم — أسماء الحيوانات ورتبها وأجناسها . و ببركة هذه القوة — قوةِ الاشتقاق أو التوالد — نمت لغة العرب وتكاثرت حتى بلغ عدد كلماتها على ما قاله حمزة الاصفهانى ١٢٫٣٥٠٫٠٥٢ كلمة . ما بين مشتق واسم جامد وعلم شخص . أما المشتقات المحضة ، فقد بلغت سبعين ألف كلمة . ولم يبخل العرب — كيف والكرم من سجاياهم — على بعض المعانى : فوضعوا لها أسماء تفوق حد التصور : فكان للسيف ألف اسم . وللثعبان مائتان . وللأسد خمسمائة . وللداهية أربعمائة . حتى قال الثعالبى : « تكاثر أسماء الدواهى من الدواهى » .

---

(١) أى لم يشتقوه اشتقاقا فصيحاً مقرونا بكثرة الاستعمال ، وإلا فقد استعمل محب على قلة قال عنترة العبسى : « ولقد نزلت فلا تظنى غيره منى بمنزلة المحب المكرم » .

وطريقة الاشتقاق هذه وتشعب أفانينه على هذه الصورة ربما كان من مزايا لغة العرب التى انفردت بها . وهو وحده كاف فى الدلالة على أن تلك اللغة إنما تكوّنت بمقتضى ناموس النشوء والارتقاء الطبيعى — وعلى تزييف قول من قال إن اللغة أُنزلت فجأة . أو أُلهمت بغتة . أو أن يقال فيها مثلما قيل فى (حتَّى) « هكذا خلقت » .

و إذا أَذْعَنَّا إلى هذا الرأى فى تكوّن اللغة من أنه كان على مقتضى ناموس طبيعى — كان علينا أن نساعد هذا الناموس فى عمله مساعدةً يظهر أثرها فى حياة لغتنا العربية وانتعاشها ومجاراتها لغيرها من اللغات الحية التى تريد القضاء عليها والحلول محلها .

وما قلناه آنفاً من أن الاشتقاق هو من وسائل نموّ اللغة وتوالد موادّها وتكاثر كلماتها — إنما نعنى به ما يسمونه الاشتقاق الصغير . وهو أن يكون بين اللفظين تناسب فى الحروف والترتيب : مثل اشتقاق « ضرب » « يضرب» « اضرب » « ضارب » « مضروب » من مادة الضرب . وهذا النوع من الاشتقاق هو الذى يتبادر إلى الذهن عند الإطلاق . لأنه الأوسع دائرة ، والأكثر نتاجا . و إلا فإن فى لغة العرب وسائل أُخرى لنموها وتكاثر كلماتها هى من قبيل الاشتقاق الصغير المذكور ، إلا أنها تجرى على نمط آخر ، وتتحرك فى دائرة أضيق . وأُريد بها «القلب » و « الإبدال » و « النحت »

القلب

و يقال له أيضاً الاشتقاق الكبير . وهو أن يكون بين اللفظين تناسب فى اللفظ والمعنى دون الترتيب : مثل فعل « جبَذَ » المشتق من مادة « الجذب » . فإن الحروف فى المشتق هى عينها فى المشتق منه ، والمعنى فيهما متناسب . و إنما الفرق بينهما أن الباء فى الأول قبل الذال على عكس الثانى . وهذا ما أرادوه بالقلب فى هذا المقام . أما الاشتقاق الصغير كضَرَب من الضرب ، فإنهما اتفقا فى الأمور الثلاثة : الحروف والمعنى والترتيب .

ويحسن هنا التنبيه على شيئين (١) أن الكلمة الأكثر شيوعا وتداولاً تُجْعل الأصل المشتق منه . والأخرى الأقل شيوعا تجعل مشتقاً : فمن ثمة كان الجذب هو الأصل وجَبَذ هو الفرع المشتق : لأن جذب دائر على ألسنتهم أكثر من جبذ (٢) مهما كان معنى جذب وجبذ واحداً فلا بد أن يكون فى أحدهما شىء من المعنى لم يلاحظ فى الآخر

كأن يكون الجذب فى أحدهما أشدَّ من الآخر أو مستعملاً فى حالة دون حالة . ولعل قولهم فى التعريف « أن يكون بين اللفظين تناسب فى المعنى » دون « اتحاد فى المعنى » مما يشير إلى ذلك . ويتضح هذا أيضاً فيما نذكره من أمثلة القلب :

« الشوب » الخلط ، شاب اللبن بالماء خلطه به . فإذا قدَّمتَ الواو على الشين وقلت «وَشْب » ثم جمعتها صارت « أوشاب » وهم الأخلاط من الناس . وإذا قلت « وَبْش» وجمعتها صارت « أوباش » وكان معناها أيضاً أخلاط الناس . وأوبشت الأرض أنبتت واختلط نباتها . وإذا قلت « بَوْش » — مقلوب ما تقدم — كان معناها القوم المختلطين من قبائل شتى . والبوش أيضاً طعام بمصر من حنطة وعدس يجمع ويغسل فى زِبِّيل ويجعل فى جرَّة ويطَيَّن ويجعل فى التنور ، وقد سمى بذلك لما فيه من الاختلاط . وتركتهم هوشاً بوشاً مختلطين . وبوّشوا تبويشاً اختلطوا .

« خرشَبَ » عملَه إذا لم يحكمه ، فإذا قدمت الشين على الباء وقلت « خشرب » عمله كان معناه أيضاً أنه لم يحكم العمل .

« طفا » فوق الماء علا عليه . وألِفُه واو . فإذا قدمتها على الفاء صارت طاف . فطاف مقلوب طفا . ومعناهما متناسب متقارب . وذلك لأن مَن طفا على وجه الماء قلما يثبت فى موضع . وإنما هو طائف متنقل على سطحه . ومنه « الطوف » وهو قِرَب تُنفخ ويشدُّ بعضها إلى بعض ، ثم تُركَب ويُحمل عليها فى البحر . فالطوف المذكور من طاف ، لكنه ملاحظ فيه معنى طفا . والطائف (البلدة المعروفة) اسم فاعل من طاف . سميت بذلك لأنها —فيما زعموا — طفت على الماء فى زمن الطوفان . فانظر كيف جعلوا الطوف والطفوّ واحداً

« الساعة » الجزء من الزمان . وألفه ياء لأنه من ساع الماء يسيع جرى . وناقة مسياع تذهب فى المرعى . ولما كان الجزء من الزمن ينقضى ولا يستقرُّ سمِّى ساعة . أو أن ألف الساعة واو : ساعت الإبل تسوع تخلَّت بلا راع . ويقال فلان ضائع سائع . فأصل ساعة إذن سوعة . فإذا قدمت العين على الواو وقلت « سعوة » صحت وبقيت الكلمة بمعنى الساعة المعروفة ، أو تخص بالساعة من الليل .

« حفَّ » الفرس أو الطائر حفيفاً سمع له صوت عند ركضه أو طيرانه . وحفَّ الشجر

كان لأغصانه وأوراقه حفيف أى صوت . وحفَّت الحية كان لجلدها حفيف أى صوت عند مشيها . فإذا قلبت الكلمة وقلت فَحَّت الحية تفح فحيحاً أردت أن صوتها كان من فمها لا من جلدها . فالفحيح مقلوب الحفيف ومعانيهما متقاربة متناسبة .

الابدال

ويسمى الاشتقاق الأكبر أيضاً . وهو أن يكون بين اللفظين تناسب فى المعنى والمخرج نحو نعق ونهق . المعنى متقارب . إذ هو فى كل منهما الصوت المستكره . وليس بينهما تناسب فى اللفظ لأن فى كل من الكلمتين حرفاً لا يوجد نظيره فى الكلمة الأخرى . غير أن الحرفين اللذين اختلفا فيهما أعنى العين والهاء — متناسبان فى المخرج . فإن مخرجهما الحلق . ولذلك سمى هذا الضرب اشتقاقا أكبر أى أبعد عن الاشتقاق الصغير من أخيهما الثالث المسمى بالكبير .

وقد يصعب فى نعق ونهق أن يعرف أيُّهما الأصل المشتق منه ، وأيهما الفرع المشتق . ومثلهما فى ذلك فدخ وفدغ . وفدخ وفضخ . وأنَّ وحنَّ . وثلم وثلب . وقصَّ الشىء وقَسَّه طلبهُ وتتبع أثره . وما زال راتباً أو راتماً أى مقيا . ما به من « الطعم » أو « الطعب » شىء أى ما به شىء من اللذة والطيب . وما ذقت « لواقا » و « لوا كا » أى شيئاً . وهمهم وحمحم وغمغم ، وطنطن ودندن . وكل هذا مما يدخل فى الإبدال أو ما يسمونه الاشتقاق الأكبر لانطباق تعريفه عليه .

لكن علماء الاشتقاق إن وقفوا فى متناولات « الاشتقاق الأكبر » ومفهومه عند هذا الحد أى حد تناسب اللفظين فى المخرج — فإن علماءَ اللغة أو المدققين منهم لم يقفوا عنده ، بل توسعوا فى تعريف «الإبدال» ومفهومه إلى أبعد من هذا . وجعلوه بحيث يتناول إبدال حرف من حرف آخر مطلقاً : وافقه فى المخرج كما فى الأمثلة السابقة ، أو لم يوافقه فيه بشرط حصول التناسب المعنوى بين اللفظين . فمن الإبدال أو الاشتقاق الإبدالى — عند أصحاب هذا الرأى — قولهم سمعت صرير البكرة وصريف الباب والقلم : لا تناسب بين الفاء والراء . « الخرق » معروف و « الخرب » كل ثقب مستدير . و « الخرت » ثقب الأذن وغيرها. ولا تناسب بين القاف والباء والتاء . هديل الحمام وهدير البعير صوتُهما . ولا تناسب

بين اللام والراء . وجمجمة وهمهمة متناسبان فى المعنى لا المخرج .

وقد يبدل الحرف الثانى من الفعل المضاعف حرفاً آخر مثل ، كدّ كدح . رصّ رصف . زحّ زحل . رجّ رجف . ضمّ ضمد . ردّ ردع . وتبدل ألف الفعل الناقص حرفاً آخر نحو : رسا رسب . سما سمق . زجا زجر . هذى هذر . محا محق . احتفى احتفل . دهدى الحجر دهدههُ . (أى دحرجه) أسا أسف . حصا حصب . بهاء بهجة . الحِجَى الحِجْر (بمعنى العقل) . رَخاء رُخْص . هَبَاء هباب (وهو الغبار ودقاق التراب الساطعة) . ويحوّل المضاعف إلى ناقص . رَبَّ رَبَا . طمّ طَمَى . تمطّط تمطّى . تقضّض البازى (إذا انقضّ) . تَقَضّى . تظنّنَ تظنّى (إذا ظنّ) .

ويحوّل أيضاً إلى أجوف . ضرّه ضاره . كعّ عن لقياه وكاع إذا خام ونكص . فى نظائر ذلك من ضروب الاشتقاق والتوالد التى تنمو بها اللغة وتكثر مادتها . وتتسع دائرتها

النحت

النحت أيضاً ضرب من ضروب الاشتقاق . ومعناه فى أصل اللغة البَرْىُ : يقال نحت الخشبَ والعودَ إذا براه وهذّب سطوحهُ . ومثله فى الحجارة والجبال قال تعالى : « أتعبدون ما تنحتون » ، « وتنحتون من الجبال بيوتاً » . والنحت فى الاصطلاح أن تعمد إلى كلمتين أو جملة فتنزع من مجموع حروف كلماتها كلمةً فذّةً تدل على ما كانت تدل عليه الجملة نفسها . ولما كان هذا النزع يشبهُ النحت من الخشب والحجارة سمى نحتاً . وهو فى الحقيقة من قبيل الاشتقاق وليس اشتقاقاً بالفعل . لأن الاشتقاق أن تنزع كلمة من كلمة . والنحت أن تنزع كلمة من كلمتين أو أكثر . وتسمى تلك الكلمة المنزوعة منحوتة .

والنحت مما يعرفه أهل اللغة أنفسهم وجرَوا عليهِ فى كلامهم . وفى المعاجم اللغوية شواهد كثيرة على ذلك .

ويمكن إرجاع النحت إلى أربعة أقسام نحت « فعلى » و « وصفى » و « اسمى » و « نسبى » . فالنحت الفعلى أن تنحت من الجملة فعلاً يدل على النطق بها أو على حدوث مضمونها : مثل قولهم « بأْبأ » إذا قال « بأبى أنت » والهمزة الأخيرة فى بأبأ منحوتة من «أنت» و «جعفل» قال لآخر جعلت فداءك . و « سبحل » و « حوقل » من سبحان الله

ولا حول ولا قوة إلا بالله . و « دمعز » و « سمعل » من أدام الله عزّكَ . والسلام عليكم . و«فَذْلَكَ» العدد أى قال فَذٰلِكَ العدد قد بلغ كذا . و«لاشاه» من صيَّره لا شيء . ومنهُ قولهُ تعالى : « و إذا القبور بعثرت » فإن « بُعْثِرَ » منحوتة من « بُعث وأُثير » أى بُعِث ما فيها وأُثير ترابها .

و « النحت الوصفى » أن تنحت من كلمتين كلمة واحدة تدل على صفة بمعناها أو بأشد منهُ : نحو « ضبطر » للرجل الشديد منحوت من « ضبط وضبر » وفى ضبر معنى الشدة والصلابة : جمل مضبور مكتنز اللحم . ورجل ذو ضبارة مجتمع الخلق موثَّقُه . ونحو «الصلدم» الشديد الحافر . منحوت من « الصلد والصدم » ومثل « صهصلق » الشديد من الأصوات من « صهل وصلق » وكلاهما بمعنى صوَّت .

و « النحت الاسمى » أن تنحت من كلمتين اسماً مثل جلمود من « جلد وجمد » . وقد يتأتى فى هذا النوع أن تكون حروف المنحوت عين حروف المنحوت منهُ ، ويكون أثر النحت فى الصيغة والهيئة لا فى المادة : مثل « شَقَحْطَب » على وزن سفرجل . وهو اسم للكبش الذى له قرنان كل منهما يحكى « شِقّ حَطَب » . ومثل « حَبْقُر » اسم للبرد بفتح الراء . أصله حَبُّ قُرّ كما يقولون حب الغمام عَلَى هيئة التركيب الإضافى . والقُرُّ بضم القاف بمعنى البرد بسكون الراء . ويقال هذا الشىء أبرد من « حَبْقُر » يعنون أنه أبرد من البَرَد بفتح الراء . ومثله عقابيل اسم لبقايا العلة فى الجسد كالبثور التى تخرج على الشفة عقبى الحمى ، ولم يستعمل عقابيل بهذا المعنى مفرداً . وهو منحوت من كلمتى (عقبى الحمى) و (عقبى العلّة) وتقول العرب تعقبله بمعنى تعقَّبه أى ولّى عقبه .

و « النحت النسبى » أن تنسب شيئاً أو شخصاً إلى بلدتى «طبرستان وخوارزم» مثلاً ، فتنحت من اسميهما اسماً واحداً عَلَى صيغة اسم المنسوب : فتقول « طبرخزىّ » أى منسوب إلى المدينتين كليهما . ويقولون فى النسبة إلى « الشافعى وأبى حنيفة » « شفعنتى » وإلى « أبى حنيفة والمعتزلة » « حنفلتى » . ولا أتحمل مسئولية حسن مثل هذه الكلمات وصحة استعمالها واعتبارها من الفصيح ، و إنما أردت أن أستدل بالجملة على أن قوة الاشتقاق فى لغتنا العربية قوة عظمى تساعد على اتساع نطاق اللغة وتكاثر نتاجها . والمرأة الناتق الولود قلما

يخلو أن يكون فى أولادها السمج البغيض . فلا عجب إذا وجد مثل حنفلتى وشفعنتى فى ذرارى اللغة العربية الكريمة .

وقد أعملت الفكر مرة فى كثير من الكلمات الرباعية والخماسية فوجدت أنه يمكن إرجاع معظمها إلى كلمتين ثلاثيتين بسهولة . ولاحظت أن تكوّن تلك الكلمات فى لغة العرب إنما كان بواسطة طريقة النحت المذكورة أو بما نسميه الاشتقاق النحتى : فمثل « دحرج » منحوت من « دحره فجرى » ومثل «هرول» من «هرب وولى» و «خرمش» الكتاب أفسده من « خرم وشوَّه » أو من « خرم وشرم » ومثل « دعثره » إذا صرعه من « دعَّه فعثر » . « و بَحْثَرَتْ » الدجاجة « بَحَثَتْ وأَثَارَتْ » التراب لتلتقط الحب ، وهكذا[1]

وقد ظهر لك مما تقدم أن الاشتقاق قوة لنمو اللغة وتكاثر كلمها وتشعب صيغها . لكنه سماعى مقيد بأزمان خاصة وأشخاص معينين . وليس من مقدورنا نحن أن نُعمِل تلك القوة الآن فى اللغة . فنشتق من مصادرها ونحوّل موادها اشتقاقاً وتحويلاً لم يعرفهما أهل اللغة أنفسهم . اللهم إلا إذا طرأ[2] على عمراننا وعقولنا وعلومنا التى نسميها نقلية ما يفكها من قيودها القديمة ويجاوز بها سُنَنَها المتبعة . وليس هذا الدور البعيد مما يحسن أن نتكلم عنه الآن .

---

(١) ومن أمثلة النحت فعلا الرهمسة والترهمس . وبيان ذلك أن (الرس) من الأخبار الذى لم يصح والذى يسره هذا إلى ذاك ، وذاك إلى هذا ، فهو من قبيل الأراجيف . ومنه رس بين القوم إذا أفسد بينهم . فالرس والهمس متقاربان . ولذا ورد فى اللغة « هم يتراسون الخبر ويترهمسونه » أى يسرونه . ومنه قول الحجاج للنعمان بن زرعة : « أمن أهل الرس والرهمسة أنت ؟ أراد المسارة فى إثارة الفتنة وشق العصا .

وأهل الرس هم الذين يبتدئون الكذب ويوقعونه فى أفواه الناس . وأمر مرهمس مستور . والرهمسة المسارة ، ورهمس الخبر أتى منه بطرف ولم يفصح بجميعه . وكل من (الرس) و (الهمس) جلى المعنى والمبنى. أما الرهمسة والترهمس فأرى أنهما منحوتان من كلمتى الرس والهمس ، ولم أر أرباب المعاجم صرحوا بذلك . فالعرب أخذوا الراء من كلمة (الرس) وضموها إلى أول فعل (همس) فصارت (رهمس) من باب دحرج مفيدة معنى (الرس) و(الهمس) ، ثم قالوا ترهمس من باب تدحرج . كل ذلك إذا اختلق كذباً ، وأرجف به ، وجعله يدور على أفواه الناس اهـ ملخصاً من التاج واللسان .

(٢) وقد صدق حدسى وتحقق ما توقعته بعد ست وعشرين سنة : فإن مجمعنا المصرى (مجمع فؤاد الأول للغة العربية) أجاز الاشتقاق من الاسم الجامد وهذا نص قراره المنشور فى مجلته (ج ١ ص ٣٦) .

قرار الاشتقاق من أسماء الأعيان : اشتق العرب كثيراً من أسماء الأعيان . والمجمع يجيز هذا الاشتقاق — للضرورة — فى لغة العلوم اهـ) وربما أصدر المجمع قرارات أخرى فى الترفيه عن (الاشتقاق) وتمهيد الطريق إلى الاستفادة منه .

إذا لم يكن من حقنا اليوم أن نستعمل تلك القوة قوة الاشتقاق ، ونتوصل بها إلى توسيع نطاق لغتنا ، فهل قضيَ علينا هذا القضاء نفسه بالنسبة إلى قوة « التعريب » بحيث لا يسوغ لنا أن نأخذ كلمات أعجمية من اللغات الأخرى ، ونجنِّسها بجنس لغتنا ، ونودعها فى جملنا وتراكيبنا . كما كان يفعل أهل اللغة أنفسهم فى عصورهم الأولى . فقد كانوا يقتبسون من لغات الأعاجم ما شاءوا وشاءت حاجتهم . ثم لا يأنفون من استعمال هذه الكلمات المعرَّبة . ولا يخرج كلامهم بها عن حد الفصاحة . ولا يفقد رونق عروبته وتأثير بلاغته ؟ وإذا قال بعضهم إن النحت مقصور على الألفاظ التى استعملها العرب فقط كالبسملة والسبحلة والهيللة والحمدلة ، فإن أحمد فارس الشدياق قال فى كتابه (كشف المخبّا) : هل لعاقل أن يقول إن السبحلة لازمة وغيرها غير لازم مع أن الوضع إنما يراعى فيه اللزوم والضرورة ، فإذا ساغ للعرب نحت ألفاظ ساغ لنا نحن أيضا أن ننحت ما يلزمنا وتمس إليه حاجتنا .

التعريب

ليس التعريب فى اللغة العربية عملا بِدْعا . وليس وجود اللفظ المعرّب فى جسم اللغة العربية كوجود جسم غريب فى جسم الإنسان من حيث يضرُّ بقاؤه وتجب إزالته . والمعرب — ويسمى أيضاً دخيلا — هو ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعانٍ فى غير لغتها. وقال السيد فى حواشيه : « هو لفظ وضعه غير العرب لمعنى ، ثم استعملته العرب بناء على ذلك الوضع » .

والتعريب تحويل طبيعى أو تغيير تدريجى يطرأ على اللغة ويجرى بها فى ناموس مطَّرد. وقد خضعت له اللغة العربية بمجموعها ومن أول نشأتها كما تخضع له الآن وبعد الآن . وأعنى بذلك أن اللغة العربية بمجموعها معرَّبة ومحوَّلة عن لغة أعجمية كما يتحوَّل إليها اليوم كثير من الكلمات الأعجمية . وهذا التحول حصل لأول تكوّن اللغة تدريجيا . لكنه وصل إلينا بجملته فحسبناه حصل دفعة واحدة وأن الله أوجده على لسان رجل أو قبيلة كذلك : بأن أنطقها به من حيث لا تشعر . أو أوحى إليها به . كذا كانوا يظنون . وباطل ما كانوا يظنون .

وأكبر حجة لهؤلاء على أن اللغة تلقيت بطريق التوقيف قوله تعالى « وعلم آدم

الأسماء كلها» أى أنه تعالى علم آدم أبا البشر جميع الألفاظ الدالة على الأشياء. فتكون اللغة إذن مما أنزله الله إنزالاً على لسان أول ناطق بها من غير أن يكون له صنع فى وضعها ، ولا إرادة فى توليدها . ولكن المحققين على خلاف هذا القول ، فإنهم ذهبوا إلى أن المراد بالأسماء فى الآية المذكورة هو المسميات أى المعانى والأشياء التى تدل عليها الأسماء لا الأسماء نفسها . وذلك لأمور :

١ — أنه تعالى قال بعد ذلك « ثم عرضهم على الملائكة» أى عرض تعالى المعلومات التى علمها آدم — على الملائكة . ولا ريب أن المعلوم الذى يصح فيه العرض إنما هو الأشياء التى تشاهَد وهى معانى الأسماء لا الأسماء نفسها التى تسمع . يقال عرض الجارية على البيع وعرض الجند إذا أمَرَّهم عليه ، ونظر ما حالهم . ولا يقال عرض الألفاظ عليه . وإنما يقال تلاها عليه وقرأها .

٢ — أن الضمير المنصوب فى عرضهم يدل على أن من جملة المعروض أشخاصاً وإلا لقال « ثم عرضها» . والأشخاص معانٍ لا ألفاظ . والمراد بعرض الأشخاص على الملائكة — مع أنهم لم يوجدوا بعدُ — أنه عرضت على الملائكة مُثُل أولئك الأشخاص وأشكالهم . لا ذواتهم وأعيانهم .

٣ — لا مزية لآدم على الملائكة فى أن يعرف أسماء الأشياء . وإنما المزية والمنقبة فى أن يعرف مسمياتها ومعانيها ، فإن ذلك مما يحدث فى نفسه فضل إيمان بالله . وزيادة ثقة بعنايته وقدرته .

٤ — تعليم آدم اسم الشىء غير معقول ولا متصوّر : لأن للشىء الواحد أسماء متعددة بتعدد اللغات . بل كثيراً ما كان له فى اللغة الواحدة طائفة من الأسماء : كالسيف مثلاً فإن له فى اللغة العربية ألف اسم . وإذا فرضنا أن له فى سائر اللغات — الحية والميتة والتى ستحيى — أربعة آلاف اسم — يكون آدم تعلم للسيف وحده خمسة آلاف اسم . ومهر فى سردها . وهو عبث تجلّ مقام الألوهيــة والنبوة عنه . وإنمـا المعقول أن يكون تعالى أرى آدم مثال السيف بحيث يفهم كيف اصطُنِــع . وما الغرض من صنعه مثلاً . وهذا هو العلم النافع كما لا يخفى .

ومحصل القول أن اللغة العربيــة وسائر اللغات اهتدى إليها الإنسان بنابل من فطرته . ثم أخذت تنمى وتتكاثر على لسانه وتتسع دائرتهـا بينه و بين المطيفين به من أهله وأبناء عشـيرته . كما أن تعريب الـكلمات الأعجمية فى اللغة بمثابة حركة الاستمرار : أى أنه عمل قام به واضعو اللغة أنفسهم مضطرين إليه بسائق طبيعى من أول عهد الوضع . ثم اتصل بنا نحن وجرينا عليه . وليس هو مما حدث فينا أو اصطلحنا عليه ولم يعرفه الواضعون الأولون . ويظهر هذا جليًّا إذا طبقناه على الأمة نفسها ، وكيفية نشوئها ، ودخول الأفراد فى جنسيتها. ولنمهد لهُ أولا بمثال آخر :

فى الجسم الإنسانى قوة طبيعية أودعها فيه خالقه . وهى تمثِّل وتحوِّل دقائق المواد الغذائية إلى دقائق حية يتكون منها مجموع جسم الإنسان الحى . ويحصـل هذا التحوُّل فى جميع أدوار حياة ذلك الجسم . فتمثيل دقيقة من دقائق جسم الشاب مثلاً ناشئ عن ناموس أصلى مشت عليه أصـل العناصر التى تكوّن منها مجموع جسم ذلك الشاب عند أول نشأته وتخلّقه فى صلب أبيه أو رحم أمه . ثم إن هذا الناموس يلازم الإنسان فى جميع أدوار وجوده ويؤثر تأثيره فيه ما دام حيا .

تكون الجنس العربى

ونشوء لغته

ولنأخذ الآن فى بيان كيفية تكوّن الجنس العربى ونشوء لغته فنقول : اصطلح علماء اللغات على أن يسموا المتكلمين باللغة العربية وأخواتها — «الشعوب السامية» أو «العائلة السامية» ، ويريدون بها طائفة من أبناء نوح عليــه السلام تبوَّأت البلاد الواقعة فى غربى آسيا . واتخذتها مقرًّا لها . وقد انشعبت هذه العائلة إلى ثلاثة أقسام كبرى « آراميين » و « عبرانيين » و « عرب » . واختلف العلماء فى تعيين مساكنهم الأصلية . والشائع بينهم أن الآراميين كانوا يسكنون فى شمالى تلك البلاد . والعرب فى جنوبيها . والعبرانيين ما بين ذلك .

هذه الأقسام أو الشعوب الثلاثة هى الأصول الـكبرى للعائلة السامية . وينطوى تحت

تلك الأصول الفروع التى تنشعب منها : فالأشوريون والسريانيون والكلدانيون انشعبوا من الآراميين . والفينيقيون من العبرانيين . والحبش من العرب . وقد يكون بين شعبين من هذه الشعوب من التقارب والتجانس ما لا يكون بين أحدهما وسائر الشعوب الأخر : كالعرب والحبش . فإنهما متقاربان جدًّا بدليل تقارب لغتيهما القديمتين . حتى ظُنَّ أن قد مرَّ عليهما زمن كانتا فيه لغة واحدة .

ولما انشعبت العائلة السامية بعد توحّدها — إلى ثلاث شعب أو شعوب . انشعبت لغتها أيضاً إلى شعب ثلاث تبعاً للانشعاب الجنسى : آرامية[1] وهى السريانية القديمة وعبرانية وعربية . ثم بدأ ناموس « تنازع البقاء » وأخوه « بقاء الأصلح » يعملان عملهما فى تلك الشعوب السامية ولغاتها ؛ فكانت الغلبة أوّلا للآراميين فأنشأوا الدول . وفتحوا الممالك . وبلغوا من الحضارة والمدنية شأوًا لا تزال آثاره باقية فيما بين النهرين إلى اليوم . ونعنى بذلك مملكتى بابل وأشور الشهيرتين .

وفى أثناء ذلك ظهر الجنس العبرانى : فجاب الفينيقيون الأقطار . وسلكوا أجواز البحار . وعلموا الناس الأسفار . وظهر الإسرائيليون فى مصر ، وقام فيهم موسى صاحب الشريعة اليهودية صلوات الله عليه .

وفى تلك الأثناء ظهرت للعرب دولة فى اليمن من بنى قحطان وهى مملكة سبأ ومأرب. ثم أصاب الساميين خمول وانحطاط عدة قرون ، حتى نهض العرب نهضتهم المحمدية المقدسة ، فملأوا الأرض فتحاً وديناً وعدلاً ولغةً وعلماً وحضارةً وآداباً . وأخذت بقايا الجنسين الآخرين الآرامى والعبرانى تتضاءل أمام ذلك الجنس العربى النشيط ، ولغتهما أمام لغته ، حتى حلّ جنس العرب ولغتهم محل ذينك الجنسين ولغتيهما . وتمّت لهما السيادة عليهما .

واللغة العربية شعبة أصلية من شُعَب اللغة السامية . وقد ورث الفرع عن أصله أو البنت عن أُمها معظم خصائصها ، وعامة مميزاتها . كما كان شأن الجنس العربى المنشعب عن الأصل السامى .

والمشهور أن أصل الجنس العربى « قحطان » وابنهُ « يعرب » . وأن منشأ ذلك الجنس

---

(١) راجع فى اللاحق ما نقلناه عن ابن حزم فى كتابه (الأحكام) تحت عنوان (اللغات الثلاث)

هو شبه جزيرة العرب أو الجهة الجنوبية منها أعنى بلاد اليمن حيث كان يقطن قحطان ويعرب . وبديهى أن قحطان ويعرب وقومهما كانوا يتكلمون باللغة السامية . لغة العائلة التى ينتمون إليها . وقد انحدروا من أصلابها حتى إذا استقر بهم المقام فى اليمن . وامتزجوا بسكانها الذين يغلب عَلَى الظن أنهم كانوا من أُمم حاميَّة تختلف لغة وشكلاً عن قحطان وقومهِ — اقتبسوا كثيراً من كلمات هؤلاء السكان واصطلاحات لغتهم . ثم أثَّر فيهم ذلك الوسط أو المحيط الجديد ومازهم عن أصلهم السامى ، وغيَّر من نطقهم ولهجة لسانهم ، على مدى الأيام وتعاقب العصور .

ويذهب العرب إلى أن تأثير الوسط فى نطق يعرب ولهجتهِ كان أشدَّ فيهِ منهُ فى أبيهِ قحطان : فأعرب الابن قبل الأب . وأبان عما فى نفسهِ ، بعبارة ولهجة مخالفتين للهجة اللغة السامية الأصلية ، حتى جعل العرب يزعمون أن لهجة يعرب الجديدة أصرح وأفصح من اللهجة القديمة . فسموه : «يعرب» إذ أن الإعراب فى لغتهم الإبانة والإفصاح . وقد أصبحت لغة القحطانيين السامية الأصل بما تخللها من لغة جيرانهم الحاميين فى اليمن أو الزنوج فى سواحل الحبشة وغيرهم — لغةً جديدة فى صِيَغها وهيئاتها ، وليست جديدة فى أصولها وموادِّها ، فإن موادها وأصولها هى مواد وأصول لغتهما القديمة أعنى اللغة السامية . وكان نموُّ اللغة القحطانية الجديدة بطريق الاشتقاق فى أخصِّ الأحوال وبطريق تعريب الكلمات الأعجمية فى الأعمِّ الأغلب .

وكما أن قحطان وقومهُ لم يوجَدوا من العدم وإنما انشعبوا من ذلك الأصل السامى الأعجمى ، كذلك لغتهم الجديدة لم تنزل على ألسنتهم من السماء دفعةً واحدة ، وإنما احتملوها أو احتملوا بذورها من أُمِّها السامية . ثم جعلت البنت تبتعد عن أُمها بما كان يعتورها من العوارض المذكورة حتى أصبحت كأنها ليست من سُلالتها ولا من جنسها . ولو كانت اللغة السامية من اللغات الحية لِعَهْدنا هذا لما عددناها إلاَّ من اللغات الأعجمية الأجنبية عن لغتنا العربية . وليس ذلك الانشعاب والتحوُّل من خصائص اللغة العربية وحدها ، وإنما هو طبيعى فى اللغات كافة . وها نحن اليوم نقول إن اللغة اللاتينية غير اللغات الطليانية والفرنساوية والإسبانيولية ، مع أن اللغة اللاتينية أمُّ تلك اللغات الثلاث ومرجع أنسابها ومنبت أدواحها .

وقد اعتاد العرب — ولا نُبرِّئ غيرهم — أن ينسبوا كل عمل عظيم إلى رجل مشهور

فيهم . فيذهبوا إلى أنهُ ابن بجدة ذلك العمل ، وأنهُ الذى أوجده من العـدم ، وإن كان العمل فى نفسهِ نتيجة تفاعل أجيال متوالية . وكان مما ذهبوا إليهِ فى شأن لغتهم العربية أنها من مبتكرات جدهم يعرب بن قحطان ومن أوضاعهِ ، ولذلك سموه يعرب : يريدون أنهُ أول من أعرب فى لغتهم وأفصح عنها كما مرّ .

ولو أنصفوا لفسّروا « يعرب » فى هذا المقام — بقوم يعرب أو قبيلتهِ التى كانت تعيش حيناً فحيناً من الدهر ، ويحدث تحوُّل اللغة وتغيير أساليبها بألسنتها رويداً رويداً . وكثيراً ما سُمِّيت القبيلة باسم جدها — ولم يفسّروها بيعرب نفسه : إذ يبعد أن تتحول اللغة السامية إلى لغة عربية على لسان فرد من أفراد الساميين مهما طابت طينتهُ ، وطالت حياتهُ ، وانفسح مجالها لسوابق هممهِ . وخوارق مواهبهِ . ومحصَّل القول أن المسمى يعرب (قبيلة أو شخصاً) هو الذى غرس فسيلة اللغة العربيــة فى اليمن ، ومنهُ انبثّ الشعب العربى الذى كان مبدأ ظهوره فى ذلك القطر اليمانى . ولذلك يكنِّى العرب جدهم يعرب « أبا اليمن » باعتباره شخصاً لا قبيلة .

وبقيت العربيــة منحصرة فى سكان اليمن حتى طرأت عليهم حادثة مأرب الشهيرة فتفرقوا فى أنحاء جزيرة العرب . وكان منهم قبيلة جرهم الذين سكنوا الحجاز ونزل عليهم إسماعيل العبرانى صلوات الله عليهِ فصاهرهم ، ونشأ من تلك المصاهرة قبيلة عدنان ثم مضر ثم قريش . وبنشوء هذه القبيلة نشأت اللغة القرشـية أو المضرية التى هى بمثابة الأخت الصغرى للغة الحميرية أو الفرع منها . وقد نَمَى هذا الفرع وطال وامتدت شُعَبُهُ حتى تغَلَّب عَلَى أصله ومحاه من لوح الوجود ، كما فعل الأصل نفسه بأصله أعنى اللغة السامية . ثم إن البيئة أو القوة التى قلنا آنفاً إنها أثّرت فى نفس قحطان وقومهِ وبدَّلت من لسانهم ولغتهم وحوَّلتها عن أصلها الأعجمى — هى نفسها التى كانت تؤثر فى نفوس أنسالهم العرب قحطانيين وعدنانيين : فكان هؤلاء يتلقفون الـكلمات الأعجمية التى يسمعونها كلمة فكلمة . ويحوِّلونها إلى لغتهم العربية حيناً فحيناً . ويمثِّلونها إليها كما تمثِّل قوة الحياة فى جسم الإنسان دقائق العناصر وجواهرها الميتة إلى دقائق حيّة ، لها خصائص الأحياء ، كما ذكرناه فى المثال الذى مهَّدنا بهِ أولاً .

نمو اللغة بالدخيل

في جسم الإنسان قوتا تحليل وتركيب : تندثر منه دقائق وتنحلّ وتتلاشى . ويخلفها بواسطة الغذاء دقائق أخرى تقوم مقامها في وظيفتها . وإذا لم تزد الدقائق الجديدة على الدقائق المندثرة بقي الجسم على حاله وحجمه . وإذا زادت كما في الأطفال كبر الجسم ونما وطال .

ومثل ذلك يقال في اللغة : تندثر منها ألفاظ غريبة وتموت كلمات حُوشِيَّة : كالحوجم والزمخر والشمشق والسجلاَّط والدجر والحدج والناطس والمتك والتامورة والقثد والفرسك . ويخلفها غيرها من الكلمات الدخيلة الأعجمية كالورد (للحوجم) والناى (للزمخر) والمردكوش (للشمشق) والياسمين (للسجلاَّط) واللوبيا (للدجر) والباذنجان (للحدج) والجاسوس[1] (للناطس) والأترجّ (للمتك) والإبريق (للتامورة) والخيار (للقثد) والخوخ (للفرسك) . فإذا كثرت تلك الكلمات الدخيلة نَمَت اللغة ، وامتدت فروعها ، واتسعت دائرة التخاطب بها . وإلاَّ بقيت واقفة ، أو تقلَّصت وماتت كما تموت الأجسام التي تسوء تغذيتها ، ويزيد فيها التحليل على التركيب . وقد كان معجم اللغة الإنكليزية من عهد غير بعيد يتضمن عشرين ألف كلمة تقريباً . وهو الآن يناهز مائة[2] ألف كلمة . وفي هذه الزيادة كثير من الكلمات الغريبة وقد دخلت على اللغة الإنكليزية من اللغات الأُخرى التي امتزجت انكلترا بالمتكلمين بها واستعمرت بلادهم . ولهذا ترى الإنكليز يكتبون على معاجمهم اللغوية أنها « مجموع لغات » يشيرون إلى أن المعجم لم يتضمن كلمات من لغتهم الإنكليزية وحدها وإنما حُشِرَ فيه كلمات من لغات متعددة ، فهو بهذه المثابة مجموع لغات لا معجم لغة . توسيع نطاق اللغة على هذه الصورة أمرٌ يُعنى به عقلاء الأمم وقادتها وفلاسفتها

---

(١) قولنا (والجاسوس للناطس) كان هذا منا تفهماً مما رأيناه في المزهر في (فصل المعرب الذي له اسم في لغة العرب) (ج ١ ص ١٦٣) مذ قال (وأن الجاسوس يسمى الناطس) يعني أن الجاسوس غير العربي يسمى بالعربية الناطس . مع أن الجاسوس عربي مشتق من جس الأخبار وتجسسها إذا تفحص عنها .

(٢) ويقولون إنه اليوم يبلغ أربعمائة ألف . راجع مقالا نشر في (ج ٣ مجلد ١٣) من مجلة (الكلية) الأميركية في بيروت والأجزاء التي بعده لأحد أساتذتها (بيرون سمث) فقد تتبع الكلمات العربية الدخيلة في لغته الإنكليزية فزعم أنها (٤٥٠) كلمة . وأفاض في بيان أن اللغة الإنكليزية إنما نمت وتوسعت بطريقين — بالكلمات المقتبسة من اللغات الأخرى وبالرجوع إلى الكلمات الإنكليزية القديمة . ومقالات الأستاذ (سمث) هذه من خير ما كتب مما له علاقة بموضوع كتابنا هذا .

كما يُعْنَوْن بتنمية أممهم نفسها ، وتكثير أفرادها ، بسبب نشر فنّ الطب ومبادئ علم الصحة تارة — وبالتجنس بالجنسية وإن شئت قلت بالتغلّب والاستعمار تارة أخرى .

وانظر كيف أن حكومة أميركا تسهِّل التجنس فى بلادها وتفتح أبوابه لطالبيه حتى نمت الأمة الأميركية وتكاثرت . فكم كان عددها منذ قرن وكم هو اليوم؟ وهكذا الأمم الراقية تمهِّد أمام بقية الأمم سبيل التجنس بجنسيتها ، وتتوسل إلى ذلك بمختلف الوسائل ؛ حتى إن من وُلِدَ له ولد فى سفينة إنكليزية كان لأبيه أن يعتبره متجنساً بالجنسية الإنكليزية ويجد من قوانين انكلترا ما يساعده على ذلك . وما يُدرينا أن تكون حكمة حِلِّ استرقاق أسرى الحروب فى الدين الإسلامى هى تجنيس أولئك الأرِقَّاء بجنسية المسلمين؟ فيكون الاسترقاق ضرباً من ضروب التجنس ، ووسيلةً من وسائل تنمية الأمة وتكثير سوادها . والحاصل أن بين تنمية آحاد الأُمة وتنمية كلمات لغتها مشابهة وتماثلاً، وأن عقلاء الأمم وزعماءها حريصون على هذا حرصهم على ذاك .

أنا أعرف أن الغيور على لغته العربية ، الكَلِف بحفظ حرمتها والذود عن حياضها — قلما يعجبه قولى هذا ، بل ربما عجب من إقدامى عليه ، وعده مخرقة أو عقوقا للغة وإساءة إليها . فهو لا تعجبه إلا كلماتها الرشيقة . ولا تحلو فى ذوقه إلا نُغَيْتُها العذبة ، لكنه إذا لاحظ أن اللغة العربية نفسها سلالة أُمّ أعجمية كما شرحناه آنفاً ، وأن كلمات « الله » و « الرحمن » و « صلاة » مشتقات من أصل سريانى أو عبرانى . وأن « بسم الله الرحمن الرحيم » و « شمالا حارا رحيا » من معدن واحد . وأن « حكيم » و « حاخام » أخوان . وأن « جهنم » محوّلة عن «جى هنوم» (وادٍ خارج بيت المقدس كانت تلقى فيه القُمامات) . وأن سين العربية شين فى الأعجمية . فسلام شلام . ولسان لشان . واسم اشم . ومسك مشك . ودست دشت . واسماعيل اشماعيل . ونيسابور نيشابور . وسعانين شعانين — من لاحظ كل هذا خفَّف من عجبه ، وسكَّن من سَوْرة غضبه ، وعرف أن التعريب فى اللغة قوة كقوة التمثيل فى الجسم الحى تجب العناية بها ، ولا يحسن التفريط فيها .

وأخبرنى بعضهم أن اليهودىَّ يقول فى تحيّته لأخيه «شالوم عليخيم» أى « سلام عليكم» فيجيبه الآخر بقوله « عليخيم شالوم » .

وليس التعريب مما يشوِّه اللغة أو يحطُّ من قدرها . ومنزلتها بين اللغات الأخرى . بل ربما كان الأمر على العكس من ذلك . اعتبره فى اللغة التركية التى لا تستنكف أن تضم إليها الكلمات الكثيرة من اللغات الأخرى . وكيف أصبحت بسبب ذلك تضارع أشهر اللغات الإفرنجية فى غزارة مادتها وعذوبة تراكيبها واتساع دائرة التخاطب بها . وقد قال نامق كمال كاتب الترك الشهير : إن مثل لغتنا وسائر اللغات كرجل دخل حديقة . فجعل يقطف من أزاهيرها ما يروقه . ويحلو فى عينيه حتى تألّف له من ذلك باقة : كل زهرة من زهراتها حسن جميل .

ولعلك تنكر بقاء اللغة العربية على عذوبتها ورشاقتها إذا كثر فيها الدخيل من اللغات الأعجمية . وتقول من أين لتلك اللغات أن يكون فيها ألفاظ عذبة وكلمات رشيقة . مثل ما فى لغتنا العربية . ثم تستشهد على ذلك بقولك : ورد . ناى . ياسمين . لوبيا . إبريق . مسك الماس . يمّ . مشكاة . أوج . لوز . نرجس . سندس . لجام . ترعة . ميزاب . دُرّىّ . بريد . صنم . خوخ . إلى غير ذلك من الكلمات التى تسيل رقةً كما سال بها كلام بلغاء العرب فى الجاهلية والإسلام . ولم يخلُ منها كلام رب العالمين خالق اللغات والمتكلمين بها .

وإذا قلت لك : إن مرداف الورد فى لغتك العربيـة هو الحوجم . والناى الزمخر . والياسمين السجلاّط . واللوبيا الدجر . والإبريق التامورة . والخوخ الفرسك — تقطع علىّ الكلام وترجونى أن لا أزعج نفسك بالرطانة الأعجمية . وتقول انظر إلى قدر الفرق بين الوردوالحوجم . والناىوالزمخر .والياسمين والسجلاط . واللوبياءوالدجر . والإبريق والتامورة . والخوخ والفرسك . وكيف أن الأولَيات خفيفة على السمع ، حسنة الوقع فى النفس ، وكيف أن الأخيرات ثقيلة حوشية ، تنبو عنها الأذن ويمجُّها الذوق . تقول ذلك وأنت تحسب أن الورد . والناى . والياسمين . واللوبيا . والإبريق . والخوخ — عربيات . وأن الحوجم والزمخر . والسِجِلاَّط . والدجر والتامورة . والفرسك أعجميّات . حتى إذا عرفت أن الأمر على العكس أدركك العجب وتساءلت عن السبب .

سائل الحكومة المصرية لماذا تستعمل الأجانب فى بعض وظائفها مع وجود وطنيين

ربما صلحوا لتلك الوظائف ؟ — تجبك بأن الأجنبي أصلح لهذه الوظائف ، أو أن لي في توظيفه غرضاً لست ملزماً بالإفصاح عنه . ثم تقول الحكومة : يكفيك أيها الغيور على بلادك أن استعمال بعض الأجانب في وظائفها لا يمسخها ، ولا يجعل الحكومة أجنبية ، ولا يضرُّ الوطنيين . بل ربما كان امتزاج أولئك الموظفين الأجانب بهم مفيداً لهم ، وعاملاً على تدريبهم وتخريجهم في وظيفتهم . وبمثل ذلك تعتذر الحكومة العثمانية وسائر الدول التي تستخدم في مصالحها رجالاً من غير أبنائها . وكذلك كان الشأن في الدولتين الأموية والعباسية . حتى إن أبا موسى الأشعري نفسه اعتذر بمثل ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما حين عاتبهُ على توظيف كاتب ذمّي لبيت مال البصرة .

وهكذا يعتذر أئمة اللغة وبلغاؤها وكتابها وشعراؤُها عن استعمال الكلمات الأعجمية أحيانا في منظومهم ومنثورهم وإهمال الكلمات العربية التي كان يمكن أن تخلف تلك الكلمات.

وظيفة التعريب

استعمال الكلمات الأعجمية كاستعمال العُمَّال الأعاجم في أن كلاً منهما قد تقتضيه المصلحة . وتدعو إليه الحاجة . ولكن الرأي في استعمال أولئك العمال الأعاجم من خصائص فرد واحد في الأمة وهو ملكها . أو أفراد معدودين منها فيما إذا كانت دستورية . ولمن يكون الرأي في استعمال الكلمات الأعجمية ؟ ومن هو الذي يصح لهُ أن يقوم بوظيفة التعريب؟

قولهم في تعريف التعريب — أن تتكلم العرب بالكلمة الأعجمية — يدل على أنهُ لا يشترط في التعريب أن يحصل على لسان طبقة خاصة من العرب أو رجال معيَّنين منهم . بل هو أمر شائع بينهم ، يتناولهُ كل واحد منهم . ولو قلت إن التعريب من وظائف عامة العرب وذوي التجارات والصنائع فيهم — لا خاصّتهم وذوي الشأن والنباهة منهم — لما كنت مجازفاً أو مباعداً .

انظر إلى الكلمات الأعجمية التي تنهال على لغتنا في هذه الأعصر المتأخرة تجد معظمها دخل عليها بواسطة التجار الذين يعاملون الأعاجم والمستبضعين الذين يجلبون سلعهم وبضائعهم من البلاد الأجنبية .

المستبضع الذى يجلب لنا الثوب أو الماعون أو الأداة أو الآلة أو أية سلعة كانت — هو نفسهُ الذى يجلب لنا اسمها معها : فترى أيدينا تتناول المسميات . وألسنتنا لا تلبث أن تتداول الأسماء الدالة عليها . وبديهى أن ذلك المستبضع لم يكن من حَمَلة اللغة العربية . ولا من حفاظها أو نُقَّادها . وإنما هو فى غالب الأمر عامى يحفظ اسم البضاعة كما يسمعهُ من القومسيونجية (الوسطاء فى جلب البضائع من معاملها) أو معامليه الأعاجم . ثم ينقله إلينا ويشيع بيننا بالصيغة التى نطق بها لأول مرة .

وإذا أتيح أن يكون لنا مجمع لغوى ينظر فى الكلمات الدخيلة الأعجمية ويدوّنها — كان عليه أن يرسل إلى عمال السكة الحديد ومديرى أشغالها من يستفهم منهم عن اسم كل أداة أو آلة أو أى شىء مما يتعلق بالسكك الحديدية وسيرها وخطوطها ومستخدميها وعامة شؤونها ، ثم يُدَوِّنُ كل ذلك ويُثبَت فى كتب اللغة كما قد أثبتت سائر كلماتها العربية والمعرّبة المنقولة عن العرب أنفسهم .

وإن لم نرجع فى هذه الكلمات الدخيلة الجديدة إلى أصحاب الشأن أنفسهم ، بل رجعنا إلى مواضعات الخاصة — وهم متعددون متشاكسون — تعددت الأسماء واضطرب أمر اللغة وكانت العاقبة إلى الخيبة .

وكما نرجع إلى عمّال سكك الحديد فى تعرّف مصطلحاتهم نرجع إلى باعة الأقمشة والأثاث والماعون وأدوات الزينة والاستصباح والطب والهندسة والصناعة والزراعة وسائر شؤون الحياة ومرافق المعيشة التى اتسعت دائرتها بيننا فى هذه الأزمنة بسبب مخالطتنا للإفرنج واقتباسنا الحضارة وأساليب المعيشة الجديدة عنهم . فنأخذ عن كل قوم الأسماء التى عرّبوها وتواطئوا على استعمالها . وشأن التعريب فى زمن بداوة اللغة العربية هو شأنهُ فى هذه الأعصر على ما وصفناه لك من حيث حصوله على ألسنة التجار والمستبضعين ، لا على ألسنة الشعراء أو الخطباء المفوهين ؛ فأصحاب المعلقات مثلاً كانوا يسمعون خلطاءهم يتكلمون بكلمات أعجمية اتصل معظمها بهم من التجار الذين ألفوا رحلات الشتاء والصيف إلى بلاد الروم والفرس وغيرها . فاستبضعوا المسميات بأسمائها ، وجلبوها معاً إلى جزيرتهم . ثم استعمل أصحاب المعلقات وسائر البلغاء تلك الكلمات فى أقوالهم وأشعارهم من دون نكير ، ومن دون أن يعاب ذلك الكلام فينزل عن درجة فصاحته و بلاغته .

معربات القرآن

ولما أنزل القرآن — وهو المعجز — تضمّن كثيراً من تلك الكلمات الأعجمية التى أدخلها عامّة العرب مع بضائعهم وصقلها بلغاؤهم وشعراؤهم بألسنتهم . حتى أصبحت بذلك فصيحة كسائر فصيح كلامهم . ولم ينزل بها القرآن عن درجة بلاغته ولم تفارقه مزيّة إعجازه ؛ فكان به من الفارسية[1] أباريق ، وسِجِّيل ، وإستبرق . ومن الرومية قسطاس ، وصراط ، وشيطان ، وإبليس . ومن الحبشية أرائك ، وجبت ، ودُرِّىّ ، وكِفْلين . ومن السريانية سرادق ، ويم ، وطور ، وربّانِيُّون . ومن الزنجية حَصَب ، وسَرِىّ . ومن العبرانية فُوم . ومن التركية القديمة غسّاق . ومن الهندية مشكاة (للكوة التى لا تنفذ) . ومن القبطية هَيْتَ لك .

وليس هذا كل ما فى القرآن من الكلمات الأعجمية ، بل إن فيه كثيراً منها . وقد تتبّعها السيوطى فبلغت زهاء مائة كلمة . وها نحن ننقل عنه ما لم يسبق لنا ذكره مجرّداً عن الشروح التى علّقها عليها . اللهم إلاّ ما كان فى ذكره فائدة : أبًّا ، إبْلَعِى ، أَخْلَدَ ، أسباط ، أسفار ، إصرى ، أكواب ، إناه ، أوّاه ، أوّاب ، أوِّبى ، بعير (فى قوله تعالى ونزداد كيل بعير ، وهو الحمار أو الدابة فى اللغة العبرانية) بطائنها . بِيَع . تنّور . تتبيراً . تحتها (فى قوله تعالى فناداها من تحتها أى بطنها فى اللغة النبطية) ، جهنم ، حِطّة . حواريون ، حُوباً ، دارَسْتَ . دينار راعِنا ، رِبيُّون ، الرحمن (وهو عبرانى ، وأصله الرخمن بالخاء المعجمة . أقول ولم يذكروا الرحيم ويبعد أن لا تكون مثلها وهى أختها) ، الرَسّ ، الرقيم ، رَمْزا ، رَهْوا ، الروم ، زنجبيل ، السِّجلّ ، سِجِّين ، سَفَرَة ، سَقَر ، سُجَّدا ، سَكَرا (هو الخل) سلسبيلا ، سندس ، سَنَا ، سيِّدها (فى قوله تعالى وألفيا سيدها لدى الباب ، أى زوجها فى اللغة القبطية (سِينِين ، سِيناَء ،

---

(١) والسر فى ذلك أن القرآن مراعى فيه أن يكون على نمط كلام العرب ومفرغا فى الأسلوب الذى يتكلم به بلغاؤهم حتى يصح تحديهم به . وتقوم الحجة عليهم فيه : فالوحى لم يدع أسلوبا من أساليبهم وطريقة من طرائقهم فى كلامهم إلا سار سيرتها حتى التحدث عن الجن وضرب الأمثال على ألسنة العجماوات . ومن طرائقهم المألوفة فى كلامهم استعمال الكلمات الأعجمية فجاء بها القرآن للسبب الذى ذكرناه .

(٢) وروى بعضهم أن (جناح بمعنى الإثم معرب من كناه الفارسية . على أن آخرين عكسوا القضية وقالوا إن (كناه) الفارسية أخذها الفرس من (جناح) العربية . وروى الأمير شكيب أرسلان عن السيد جمال الدين الأفغانى فى قوله تعالى (وأنه تعالى جد ربنا) أن كلمة جد معرب (كدّ) ومعناها العرش بالفارسية أو الهندية .

شَطْر ، شهر ، صُرْهُنَّ (قَطِّعْهُنَّ فى اللغة الرومية أو النبطية) صَلَوَات (هى الكنائس) طٰه طاغوت ، طَفِقَا ، طُوبَى ، طُوَى ، عَبَّدْتَ (قتلت فى العبرانية أو السريانية) العَرِم ، غِيض (نقص) ، فردوس ، قراطيس ، قسط ، قسورة[1] ، قِطَّنا ، قنطار ، قَيُّوم ، كافور ، كَفِّرْ عنا كُوِّرَتْ[2] (فارسية) ، لِينة . متّكأً[3] (الأترج بالحبشية) مجوس ، مرجان ، مسك ، مقاليد ، مرقوم ، مُزْجَاة ، ملكوت . مناص (فرار بالنبطية) مِنسَأَة ، مُنْفَطِر ، مُهْل (عكر الزيت) ناشئة (قيام الليل بالحبشية) هُدْنا ، هَوْنا (أى حكماء فى اللغة السريانية) وَرْدَةً ، وَزَر ، ياقوت ، يَحُور ، ياسين (إنسان) يصدُّون (يضجون فى الحبشية) ، اليهود . انتهى ما أردنا نقله عن السيوطى .

واسم مصحف الذى سمى به القرآن نفسه معرب عن اللغة الحبشية ، وهو مشتق من (صَحَف) ومعناها بالحبشية كتب . ومن الغريب أن كلمة (القاموس) التى سمى بها الفيروزابادى معجمه الشهير فى متن اللغة العربية وتقييد أوابدها — هى أعجمية معربة ، ومعنى القاموس البحر أو معظم مائه

وقد حاول بعضهم أن ينفى وقوع الأعجمى فى القرآن ذهاباً إلى أن وقوعه فيه ينفى كونه عربيًّا ، وقد قال تعالى إنه عربى . لكن قول هذا البعض أصبح مغموراً بأقوال جِلَّة العلماء ، وكبار الباحثين ، وقد استدلوا على الوقوع بأدلَّة كثيرة : منها ما أخرجه ابن جرير بسند صحيح عن أبى ميسرة التابعى الجليل قال « فى القرآن من كل لسان » .

وقال آخر : لما حوى القرآن علوم الأولين والآخرين ، ونبأ كل شىء ، فلا بد أن تقع

---

(١) سئل ابن عباس عن كلمة (قسورة) فى قوله تعالى (فرّت من قسورة) فقال : هو بالعربية (الأسد) وبالفارسية (شار) وبالنبطية (أريا) وبالحبشية (قسورة) اهـ. وقوله (شار) المعروف أن الأسد بالفارسية (شير) لا (شار) فلعل الياء تلفظ بالفارسية ممالة بين الياء والألف كحرف (e) الأفرنسى

(٢) ذكر التاج فى مستدركه فى مادة (كور) أن معنى (كورت) فى قوله تعالى (إذا الشمس كورت) — عورت . وعزاه إلى الجوهرى عن ابن عباس . قال الجوهرى وهو بالفارسية (كور) اهـ . أقول ولا يخفى أن المشهور فى معنى (كور) عند الأتراك هو (الأعمى) فتفسيرهم لفعل (كورت) بقولهم (عورت) كأنهم يقولون إن معنى (عورت) الشمس ذهب نورها كما يذهب نور عين الأعمى .

(٣) (المتكأ) بتشديد التاء وبالهمز المجلس يتمكن من الجلوس فيه . وبه فسر قوله تعالى (وأعتدت لهن متكأ) أما على قول من قال إن المراد بالمتكأ الأترج فينبغى أن لا يقرأ بالهمزة وتشديد التاء . وإنما يقرأ (مَتْكًا) على وزن (فلسا) أى بسكون التاء ومن دون همز . فإن المتك بهذا الوزن هو الأترج أى الثمر المعروف .

فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن لتتمّ إحاطته بكل شىء . فاختير له من كل لغة أعذبها وأخفّها وأكثرها استعمالاً للعرب . ويشبه هذا القول فى القرآن ما نقلناه آنفاً عن نامق كمال كاتب الترك من قوله فى لغته التركية الحديثة : إنهم اختاروا لها من كل لغة أعذب كلماتها وخيرة ألفاظها .

طائفة من المعربات

كانت الأمة العربية لأول عهدها منحطة فى التجارة والزراعة والصناعة ، متأخرة فى فنون العلم وضروب العرفان ، وكادت تكون تكاليف حياتها ومطالب معيشتها منحصرة فى شئون معينة وأطوار خاصة : أشهرها الحروب وأدواتُها ، والفيافى وحيواناتها ، والأنعام وشياتها ، والنساء وصفاتها ، فيما يقرب من ذلك ويطوف حواليها . وإذا أرادوا الزائد عليه ، من شأنٍ علمى أو زراعى أو صناعى ، أو كان من أدوات الترَف والزينة ولم يجدوا له اسماً فى لغتهم ، ولم يعرفوه فيما كانوا عليه من نوع مدنيتهم تناولوا اسمه من لغات الأمم المطيفة بهم العريقة فى المدنية ومقوّماتها ، والحضارة وشؤوناتها . وأشهر تلك الأمم لذلك العهد فارس والروم ، ولذلك كان فى كلام العرب كثير من الأسماء الفارسية والرومية (اليونانية) التى كانوا يستكثرون من جلب مسمّياتها إلى جزيرتهم من بلاد تينكم الأمتين . كضروب الرياش والأثاث والثياب ، وصنوف البقول والأثمار والرياحين ، وأنواع الماعون والمصنوعات والآلات ، مالم تساعدهم درجة عمرانهم على إحداثه ، أو صنعه فى بلادهم ، وقد اضطرّوا إلى اتخاذه وجلبه من جيرانهم للارتفاق به .

ثم كثر هذا الاقتباس ، وانفسحت دائرته بعد الفتح الإسلامى ، وامتزاج الأمم عامة ، والأمتين الفارسية والرومية خاصة بالأمة العربية ، وتناول هذه منهم عن كَثَبٍ معظم مقوّمات حضارتها ، ومرافق معيشتها .

ولا يمكن استقصاء تلك الكلمات المقتبسة التى دخلت فى اللغة العربية فى الجاهلية

(١) وفى المخصص (جزء ٨ ص ١٥٣) قال صاحب العين : (وطير الماء أكثر من مائتى لون زعموا والعرب لا تعرف أكثرها . وأسماؤها عندنا بالنبطية لأنها فى البطائح فى بلاد النبط اه . إذن كان العرب فى العهد العباسى يسمون طيور الماء مهما تعددت ألوانها وأشكالها بأسمائها الأعجمية ولا يتكلفون وضع أسماء عربية لها .

والإسلام ، وذلك لـكثرتها ، ووفرة حصاها ، و إنما نحن هنا نأتى على ذكر طائفة منهـا : مما لا يخلو كلامٌ بليغ منه ، ويكون كافياً فى الدلالة على أن منزلة المعرّب فى نظر أسلافنا . و بالنسبة لفصيح اللغة — فوق ما نحن ظانّون .

﴿ الحيوانات ﴾ جاموس (معرّب كاوموش) . السلحفاة (معرّب سولاخ باى بالفارسية) . البَذَج (الخروف) الإبرَق (الحَمَل) كلاهما فارسى معرب . الدُلْفين ، الدابة البحرية المعروفة معرّب من الرومية ، وهو فى العربية الدُخَس . البال ، وهو الحوتُ العظيم معرّب وال كما فى التاج نقلاً عن العُباب . سمرمر ، بطّ[1] ، باشق ، برذون ، ومثله أنثاه الرَمَكة (راجع التاج) . هملاج ، حرذون ، أنكليس ، مارماهى (وهما اسمان لحيوانٍ مائى كالحيّة ، وعربيّته جرّيث ويقولون اليوم جِرِّى) . حرباء ، بُخْتى ، سَوْذَنِيق (وهو الشاهين) . بَبْرٌ (الأسد الهندى) . مَشْىٌ رَهْوجٌ أى سهلٌ ليِّن ، وأصله بالفارسية رَهْوَهْ ، كما فى المخصص . أقول أما اسم الرهوان للدابة المدرَّبة على مِشْـية سريعة خاصة فمأخوذ من لفظين فارسيين (راه) طريق و (ۋان) بمعنى صاحب ملازم ، فمعنى رهوان صاحب الطريق الملازم له المطيق للمشى فيه من دون كلال . فتركيب رهوان مثل تركيب بفجۋان . فيل معرب پيل بالباء الفارسية ذات الثلاث النقط ، والباء هذه تحول فى المعرّب إلى فاء نحو فلفل أصله الفارسى پلپل، ونحو فنجان أصله پنـكان . الزنديبل أو الزندفيل بمعنى الفيل العظيم واسمه فى اللغة العربية كلثوم .

﴿ النباتات والرياحين ﴾ باذنجان : أصل اسمه بالسنسكريتية فانـكان ، و بالفارسية بادنـكان أى بَيْض الجان . أما فى العربية فله عشرة أسمـاء : المغد ، الوغد ، الـكهكب ، الـكهكم ، الأنَب ، الحيصل ، الحَدَق (واحدته حَدَقة . قال صاحب الأمالى سمته العرب بذلك تشبيهاً بحَدَق المَهَا وهى حمر الوحش) . اللُفّاح ، الشرجبان ، الإنْفَحة (وقيـل إن الثلاث الأخيرة تشبه البازنجان وليست إياه) . قلقاس ، لوبياء : وله فى العربية أربعة أسماء : الدَجْر ، واللياء والحُنْبُل ، والأحبل . والأخير لغة يمانية . الإسفاناخ ، وحرّفته العامة إلى اسبانغ ، واسمه بالعربية رَحَى ، يقال : طبخوا لنا الرَحَى، سماه العرب بذلك لاستدارة ورقه كما فى التاج . ماش ، شُـبْرم (له حبٌ كالعدس وأوراقه تشبه الطرخون . فارسى) . توت ، وعربيته فرصاد ، خوخ وعربيته الفِرسِك أو الفرسك الخوخ المقدّ أو الذى لا ينفلق عن

نواه ، خيار وعربيته القَثَد ، سُنُج[1] وعربيته عُنَّاب ، سنديان (فارسية) . والشجر المعروف كثيراً فى سورية باسم زنزلخت فارسيته (آزاد دِرَخت) أى شجر التسبيح ، واسمه بالعربيـة قيقبان ، درّاقن ، كمثرى ، أجّاص ، أُتْرُجّ وهو بالعربية المُتْك ، أُرُزّ ، نارنج ، ليمون . بُنْدُق فارسى ، واسمه بالعربية جِلّوز على وزان سِنَّور . قصطل معرب كستانة وهو المسمى فى مصر أبو فروة . أشنان وعربيته حُرُض. زيزفون (وهو باليونانية zizyphus) . نارجيل ، سرو واسمه بالعربية عرعر[2] . مقدونس وتلفظه عامتنا بقدونس (أصله مِعْدِه نوز) . كزبره وعربيته تِقْدَه . جَاوَرْس وهو حبّ معروف ، قيل هو الدُخن معرب كاورس ، ويسمى الخـبز المتخذ منه لبيعة[3] . جوز ، لوز ، نرجس وله فى العربية ثلاثة أسماء : القَهَدُ والقهد والعَبْهر . نسرين ، نيلوفر ، سوسن ، قرنفل ، بنفسج ، جلّنار ، مردكوش أو مرزنجوش وعربيته شمشق أو سمسق . سذاب ، ياسمين[4] ، آذريون معرب آذركون بالفارسية واسمه العربى حنوة ، ورد[5] ، الرازيانج وعربيته البسباس وقيل هو الشمرة. الفوذنج معرب پوذينه واسمه بالعربية حَبَق ، كَبَر وعربيّتـه لَصَف . قِنَّب وعربيتـه أبَق ، آبنوس وعربيته سأسم .

﴿ العقاقير ﴾ إهليلج ، قرفة ، كراوية ، مصطكا ، بنج : معرب بنك واسمه فى العربية الشيكران ، الـكندر : فارسية كما فى نهاية الأرب ، اللُبَان تعريب لبانو اليونانية ، الرشاد أو

---

(١) يظهر أن السنج بمعنى العناب كان مستعملا فى البلاد العربية أو بعضها ولذا دون فى المعاجم .

(٢) فنى اللسان : العرعر شجر يقال له الساسم والشيزى ويقال هو شجر يعمل به القطران ويقال هو شجر عظيم جبلى لا يزال أخضر تسميه الفرس السرو اه .

(٣) قال فى اللسان : أصل الجوز فارسى وقد جرى فى كلام العرب وأشعارها .

(٤) وعربيته سجلاط بتشديد اللام ، يقال طيلسان سجلاطى أى أبيض كالياسمين ، وفى المخصص (ج ٤ ص ٣٥) ابن دريد : السجلاط النمط (ثوب من صوف) يطرح على الهودج وهو فى بعض اللغات الياسمون (الياسمين) ، قال أبو على القالى قال الأصمعى . السجلاط لباس الهودج ، وهو رومى قال : وسألت أمة من فصحاء الروم عن هذا : ما اسمه عندهم (وكأنه أشار إلى لباس الهودج) فقالت سجلاطس اهـ (راجع مجلة المجمع العلمى العربى ج ٩ ص ٦٠) .

(٥) والجل ومعناه الورد معرب عن الفارسية أيضا . وأصله (كل) وهو مما عرب قديما وورد فى شعر الأعشى الذى أوله :

(وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها)

إلى أن قال : (وشاهدنا الجل والياسمين والمسـمعات بقصّـابها)

والمسمعات المغنيات والقصاب جمع قاصب وهو الزامر الذى ينفخ فى زمر القصب مرنما مغنيا .

حب الرشاد اسم نَبطى عربيته الثُّفّاء واحدته ثفاءة . بزر قطونا ، لفظ مولد عربيته البُحْدق ، زاج ، ترياق ، (مراداً به البادزهر) عربيته المسوس . قرمز ، أرجوان ، سمنجونى ، اللون الأزرق فارسى من (آسمان) سماء و (كون) لون ، نيلج معرب نيله ، وهو فى العربية نؤور[1] .

﴿المأكول﴾ كعك : فارسى معرب كاك . نشا ، سميد بالدال المهملة و بالمعجمة) ، سكّر ، قَنْد ، فانيذ ، طبرزد (وثلاثتها من أنواع السكّر) . لوزينج ، وعربيته الفَلْذَخ (كما فى اللسان) . فالوذج فارسى بمعنى الحافظ للدماغ ؛ وله فى العربية سبعة أسماء : اللَّوّاص والملوّص واللَّمص والمزعزع والمزعفر والمرطراط والسرطراط ، عجّة ، كباب ، جردق ، سكباج : وهو لحم يطبخ بخل والعرب تسميه صعفصة ، لقانق : وهو المسمى سجوق ، ويقال نقانق بالنون، رشته فارسى ، كشك فارسى أيضاً ، جوارش وهو الهاضوم فى العربية ، كامخ ، تابِل ؛ وعربيته الفَحَا ؛ و بمعنى التابل الأبزار بفتح الهمزة وليس جمعاً وهو فارسى معرب .

﴿المشروب﴾ الهفْتَجَة أخذها الأمويون عن الفرس . وهى شراب يشربونه سبعة أسابيع فى بعض منازل القمر ، جُلّاب ، باذَق معرب باده ، إسفنط ، خندريس ، جريال : هى الخمر الشديدة الحمرة معربة من الرومية كما فى المخصص . ومثله الرساطون ، وهو خمر ممزوج بالعسل تعريب rasatnm الرومية .

﴿الطيوب﴾ مسك و يسمى المشموم فى العربية . عنبر . صندل نوافج المسك واحدها نافجة معرّبة وقيل هى عربية .

﴿اللبوس﴾ قميص نيفق القميص فارسية . سراويل ، تكّة ، برنس ، طيلسان . سمّور ، سنجاب . قرطق ، خوذة شخشير ضرب من السراويل فارسية ، زنّار ، هميان ، شاش ، كرباس ، ديباج ، إبريسم ، قزّ ، خزّ ، دروز الثوب ، قونس (وهو بيضة الحديد) ، تبّان وهو سراويل المصارعين معرب تنبان بالفارسية ، كمر ، تنورة ، كوستك الساعة وثلاثتها فارسية حديثة الاستعمال . دخريص القميص : وله أربعة أسماء فى العربيـة : البنيقة واللّبنة والسُبجة ، والسُعَيْدَة . ساج هو الطيلسان معرب sagum بالرومية ، أما ساج بمعنى الشجر

---

(١) دخان الشحم يعالج به الوشم . والنيلج أيضا صنيع يتخذ من نبات العظلم وهذا هو المشهور .

فمعرب من السنسكريتية : فستان[١] . مرعزّى[٢] . موق[٣] ، جرموق[٣] ، سرموزة[٣] .

﴿ المعادن ﴾ الطَلَق بفتحتين معرب تَلك الفارسية . توتياء . رصاص (وعربيته صَرَفان وآنك وأُسرب) ، زئبق ، بُورق (وعربيته حُـكاك كغراب) ، نطرون (أجود أنواع البُورق) ، مغنطيس ، جِصّ ، زرنيخ ، اسفيداج (وعربيته الغُمنة) سنباذج . إبريز ، مُرداسنج : وتسميه العامة مراسنك معرب مردار سنك وهو الآنك المُحرق وعربيته مِرّيخ. درهم من درخمه اليونانية ، وقيل من ديرام الفارسية ، دينار معرب Denarius اليونانية اللاتينية ، دانق معرب دانه الفارسية وأصل معناها الحبة ، فَلْس معرب Fallis اللاتينية .

﴿ الأحجار الكريمة ﴾ جوهر ، الماس معرب أذماس اليونانية ، بلّور يونانية وعربيته المَهَا ، بهرمان ، زمرد ، ياقوت ، فيروز ، زبرجد ، بادزهر ، مَشْخَلَب.

﴿ الآلات ﴾ الفخّ وعربيته الطِرْق[٤] ، المُخْل من مخلوس اليونانية وعربيته عَتَلَة ، اسطرلاب ، طرجهارة (آلة مائية) ، بَنْكام (الساعة الرمليّة) التُرّ ، الزيج ، كلاهما بمعنى خيط البنَّاء : تقول لمن تهدّده لأُقيمنك على التُرّ ، وهما فى العربيـة الإمام والمطمر ، المالَج معرب مالَه الفارسية ، وهو ما يملّس به الطيّان الحائط بعد تطيينه ، شاقول[٥] معرب شاخول الفارسية ، بركار فارسية ، إزميل يونانية ، منجنيق قيل فارسية والصحيح أنهـا يونانية من المادة التى أخذت منها كلمة ميكانيك وماكينة ، بوتقة ، جلاهق ، وهو البندق الذى يرمى به الطائر أو هو آلة الرمى به ، سَبَطانة أو زبطانة ، وتسميها العامة زربطانة قناة مجوفة تُنفخ فيها صغار السهام فتصيد الطير .

---

(١) وأكثر ما تلفظ فصطان بالصاد قيل إنها محرفة عن فسطاطى نسبة إلى فسطاط مصر وهى ثياب كانت تجلب منها أو تصنع فيها . ويقول الإفرنج fustanelle .

(٢) بتشديد الزاى وتخفف وقد ارتأى بعضهم أنها منحوتة من كلمتى (أمير المعزى) فيكون أصلها مير معزى فنحتت بحذف الميم الثانية .

(٣) موق معرب موزه لـكن صرح فى المخصص (ج ٣ ص ٤٣) أن موقا عربى صحيح . ومعنى سرموزه ما يلبس فوق الموق . وقد استعمل العرب كلتا الـكلمتين سرموزه وجرموق . ويقولون أحيانا فى سرموزه سرموجه . وجرموق تعريب سرموزه : يعنى أن العرب بعد ما عربوا سرموزه عادوا فعربوها نفسها إلى جرموق فهو تعريب على تعريب .

(٤) وقالوا فى تفسير الخضب هو سرعة أخذ الطرق الرهدن . والرهدن من عصافير مكة وهو القنبر

(٥) خشبة بقدر ذراعين فى رأسها حبل تستعمل فى مسح الأراضى الزراعية .

﴿ آلات الطرب ﴾ موسيقى (وكتبت قديماً موسيقا بالألف) قانون ، ناى ، بَرْبَط ، جنك ، طنبور ، أُرغن ، صنج .

﴿ الأدوات والماعون ﴾ دِقْدان[١] المنصب يوضع عليه القدر معرب (ديكدان) . قمقم معرب كمكم الرومية قاله الأصمعى . هاون (وعربيته منحاز ومهراس) . طست . طبق . قصعة . سكرّجة[٢] (وعربيته ثُقوة بوزن خُطوة) دورق . كوز . جرّة . لَقَن شبه طست من صفر معرب لـكَن اليونانية . سطل معرب شطل الفارسية وعربيته قَدَس حجازية . وقيل إنّ السطل عربى صحيح . كشكول : وعاء يجمع به المُكْدى وهو الشحّاذ رزقه فارسية. فنجان . باطية وهى بالعربية ناجود . سَرْج معرب سرك . لجام . رسن : فارسى نقله المخصص عن الأصمعى . خوان . سكردان وهو الخزانة . دولاب[٣] فارسية . باريّة[٤] الحصير من قصب . بقجة . شنطة وعربيتها العَيْبة . زِنْفِيلَجَة[٥] هى وعاء يضع فيها الراعى أدواته . جوالق[٦] وتسميه العامة شوال وهو العدل ويقول الأتراك چوال . برذعة . شطرنج . طاجن وعربيته مِقْلَى . مِترس[٧] الباب وعربيته شجار . سجنجل (وعربيته مرآة ووذيلة) . صولجان (وعربيته طبطابة وميجار) . تخت . طنفسة . خلقين . بشكير . ميزاب فارسى كما فى المخصص وعربيته مثعب . سيبه[٨] فارسية وأصلها (سى پاى) أى ثلاث أرجل .

---

(١) (ديك) بمعنى قدر بالفارسية . و (دان) أداة تدل على المكان . وهو فى العربية الفصحى (عنة) قال فى القاموس (العنة دقدان القدر) وقال ابن واسانة فى قصيدته المشهورة :

لبن قارس وخبز رقاق وقدور تغلى على الديكدان

وكان الأحجى به أن يقول (تغلى على الدقدان) .

(٢) إناء صغير أكثر ما توضع فيه الكوامخ أى المشهيات .

(٣) من (دول) دلو و (آب) ماء وقيل من (دولا) بمعنى وعاء .

(٤) قال القالى فى أماليه هى مشددة الياء والعوام يخففونها قال وهى بالفارسية بوريك . لكن حقق الأب مرمرجى أنها أكّدية شومرية نطق بها الشومريون أجداد البابليين والكلدانيين منذ أربعة آلاف سنة . قال لأن بلادهم موطن القصب .

(٥) قال فى القاموس إن زنفيلجه معرب (زن ييله) وهى فارسية. وهنا يشعر بأن كلمة زبيل أو زنبيل المشهورة الاستعمال بيننا معربة من الفارسية، لكنى لم أجدهم صرحوا بذلك، وإذا كانت عربية كانت مشتقة من الزبل وهو السرقين لأنه ينقل بها .

(٦) وتسميه العرب (لد) وإذا كان كبيرا سموه (جشيرا) وإذا كان صغيراً سموه (لبيدا) .

(٧) راجع مادة (ترس) فى التاج تجد فيه تفصيلا وتحليلا لكلمة مترس .

(٨) هى ثلاث خشبات متصالبة من عند رؤوسها ينتفع بها على وجوه شتى وفى اللغة العربية الفصحى تسمى حماراً . وعند العامة جحشا أو الحمار والجحش نوع منها يوضع عليه ألواح ينام عليه أو يجلس فتسميه الأتراك دوشك والدمشقيون قاطعاً .

سراج أصله فى اللغة السنسكريتية سورَج أى شمس . قنديل أصله فى اللاتينية (candella) وفى الإفرنسية chandelle أى شمع .

﴿ الكلمات العلمية والفنية ﴾ أستاذ . جهبذ . تلميذ . كيمياء . هيولى . كيموس[1] يونانية معرب خيموس ومعناها الطعام بعد هضمه . كيلوس يونانية أيضاً معرب خيلوس ومعناها عصارة الكيموس . برسام . مارستان . نقرس . قولنج . ماليخوليا . ترياق . فلسفة . سفسطة . طقس . إقليم . أُسطول معرب ستولس اليونانية . إسطقسّ (يونانية أى عنصر). نموذج . فهرست . برنامج . تاريخ . فدّان . فرسخ . بريد. قانون . كيوان . إفريز (من پرواز التركية أو على العكس) سفتجة . كاغد . بطاقة . مُهْرَق (خِرقة تصقل ويكتب عليها) . صكّ . قرطاس[2] (هى وكارت الإفرنسية من أصل يونانى) .

﴿ الكلمات الدينية ﴾ إبليس . شيطان[3] . صنم . فردوس . مصحف . إنجيل . توراة . كهنوت (سريانية) . أبرشية . عنصرة . قسيس . حوزى (معرب curé الإفرنسية) شدياق . أسقف . شماس (سريانية) جاثليق. مطران، معربة أو مختزلة من كلمة مترو بوليت[4] . معمودية (سريانية) . عِماد . كنيسة . صَلَوَات اليهود أى كنائسهم[5] كما وردت فى القرآن . دير . مجوس . نفاق (وهو فى الحبشية بمعنى البدعة أو الضلالة) . زنديق[6] . نوروز . مهرجان .

---

(١) ويظهر أن كيموس كانت معروفة عند عرب الجاهلية . ففى حديث قس بن ساعدة فى تمجيد الخالق (ليس له كيفية ولا كيموسية) قالوا : والمراد بالكيموسية أنه تعالى ليس فى حاجة إلى طعام أو شراب .

(٢) ومن قرطاس أخذ الأتراك كلمة خرطوش لظرف اسطوانى الشكل من ورق مقوى يوضع فيه البارود .

(٣) قيل إنها تعريب (سطانائيل) العبرانية وهو اسم الملاك الذى عصى الإله . كما أن إبليس معربة من (ذيابولوس) .

(٤) ويظهر أن العرب فى العهد العباسى كما لفظوا المطران مطرانا لفظوه أيضا (مَطرَّ بلِيط) قريبة من لفظها الأعجمى أو أن لفظها كذلك من ألاعيب أبى نواس فقد قال فى قصيدة له مقسما متألّيا

بعمودية الدير العتيـ ـق بمطر بليطه بالجاثليق

(٥) كما فى المخصص وقال إن واحد صَلَوات صلوتا وهى عبرانية اهـ . وأحسن منه أن يقال إن صلوتا عربت إلى صلاة وجمعت على صَلَوات .

(٦) المشهور أن زنديق معرب زنده وفى اللسان إنه معرب (زندكر) أى يقول ببقاء الدهر . وفى فجر الإسلام ص ١٢٩ نقلا عن الأستاذ بيفان ما يفيد أنه معرب من أصل آرامى وهو (Saddigai) فحوّره الفرس إلى زنديق .

﴿ كلمات فى معانٍ شتى ﴾ الاسكاف الصانع وهو عجمى قاله المخصص . الخيم السجية والطبيعة فارسى معرب قاله ابن دريد . الطاق والقنطرة ما انعطف من البناء ومنه طاق كسرى ، كلاهما فارسى معرب . طراز . قنطار . أسطوانة . أوج . تُرعة ، وعربيتها طِبْع [١] . ناوَق جسر خَشب ينقر ويجرى فيه الماء من جانب إلى جانب . الهالة [٢] . إصطبل . كَوْسَج [٣] ومثله كَوْسَق كلاهما معرب كوسه الفارسية . بطريق [٤] (القائد من قواد الروم) . الباغ والبستان كلاهما معرب من الفارسية . سرقين . إيوان . ديوان . درابزين . البَنْد والبيرق بمعنى العَلَم كلاهما معرب . خَوْر وهو الخليج . عُربون . قاموس (بمعنى البحر) . تنّور . بخت (بمعنى الحظّ) . المِعَى الأعور مولد وعربيته المَرْغَة . ناطور . دهقان وهو شيخ القرية بالفارسية . الطَرْخان السيد الشريف عند الأتراك وجمعه طراخنة كما فى المخصص . كانون شباط آذار إلى آخر أسماء الأشهر الرومية معربة من السريانية. عسكر فارسى معرب لشكر . الشاكرى الأجير المملوك معرب چاكر بالفارسية . الصَرْد البرد فارسى معرب . صهريج . ساباط . سرداب دهليز [٥] . فرند [٥] . قِسّ (كسكر الشريف) . فنزج (ضرب من رقص المجوس معرب بنجكان) . الداية فارسية وعربيتها الظاعية [٦] . قرصان (من الأسبانية) بهرج . خندق (وأصله كنده أى محفور) . قيروان [٧] (القافلة أو الجماعة) . آجرّ . خورنق (موضع الأكل والشرب معرب خورنكاه) . ميناء يونانية [٨] بمعنى الفرضة

---

(١) الطبع مغيض الماء . والنهر . لكن صرح الأزهرى فى تهذيبه أن الطبوع الأنهار التى أحدثها بنو آدم واحتفروها لمرافقهم اهـ .

(٢) الهالة للقمر كالطفاوة للشمس قيل هى معربة من (هالوس) اليونانية . ومعناها البيدر أو المكان المستدير يدرس فيه القمح . أقول وهذا كتسمية المجرة بدرب التبّان للونها .

(٣) وهو فى العربية الفصحى أثطّ . ولا يخفى أن الهاء فى آخر اللفظ الفارسى إذا عرّب قُلب جيما أو قافا وقد جمعا فى تعريب كوسه .

(٤) أما البطرك فهو اختزال بطريريك اسم لأكبر أساقفة النصارى معرب (باتير أرخوس) باليونانية .

(٥) راجع ما كتبناه عنهما فى الملاحق .

(٦) ما أشد الفرق بين الداية والظاعية فى رشاقة اللفظ وحسن الجرس ولذا أهمل الثانى حتى أصبح من الممات .

(٧) معرب كاراوان وقد تكلمت به العرب قديما . قال أمرؤ القيس :

وغارةٍ ذات قيروان   كأنّ أسرابها رعان

(٨) لكن المشهور أنها عربية ، مفعال من الونى وهو الفتور ، سميت الفرضة بذلك لأن الريح تنى فيها أى تفتر وتسكن .

البحرية . لِيمان . نوتى[1] . كلك فارسى (عربيتــه الطوف والرَمَث) . برجاس Purgas اليونانية (وعربيته الهدف والغَرض) . العُربون وعربيته مُسكان . بلّان للمغسِّل فى الحمام والمرأة بلانة . جوسق معرب كوشــك أو كشك وهو المستعمل اليوم . حانوت . برشان (من أصل سريانى يدل على عجينة خاصة يتخذ منها القربان المقدس) . كِلْس[2] معرب من كلمة calx اللاتينية . درب من دربند الفارسية بمعنى الباب وغلقه والوادى والمضيق وهى معانيه المستعمل فيها فى اللغة العربية .

﴿كلمات مشكوك فى عروبتها﴾ آس . ندّ . سلّة . مشمش . قط . فرن . قَصْف بمعنى اللهو واللعب فى أكل وشرب ومكانه المقصف . الطَنْز السخَر والطَّناز الساخر ، قال الجوهرى أظنه مولداً أو معربا .

وقد رأينا لبعض الفضــلاء المعاصرين كلاماً نفيساً فى تحقيق بعض الــكلمات المعربة وإرجاعها إلى اللغة التى عرّبت منها مما لم يعرفه علماؤنا المتقدمون أو حسبوا أنه عُرِّب من لغة أخرى . وها نحن نلخص من كلامه ما تتم به الفائدة . (منبر) معرب ومبر بالحبشــية . ومعناه فيها كرسى . مجلس . عرش . (حوَارىّ) : بالحبشية رسول[3] . (برهان) بالحبشية نور، وبرَه اتضح أو أنار. (عنبسة) اسم الأسد بالحبشية وقد سمى به العرب أولادهم . و(الحجّ) و(الكاهن) و (عاشوراء) معربات من العبرانية . وهناك كلمات عربت من اللغة الهندية السنسكريتية وقد تساهل المتقدمون فقالوا إنها فارســية الأصل : من ذلك (مِسك) معرب مشكا و (كافور) معرب كابور و (فلفل) أصــله فيفالا أو بيبالا و (شطرنج) معرب من شتورتكا وهذا اللفظ يدل على الأقسام الأربعة التى يتألف منهـا الجيش عند الهنود القدماء وهى الأفراس والأفيال والعربات والمشاة . (جاموس) معرب من جاوميشا ومعناه البقرة

(١) يونانية أصلها نوطس بمعنى ريح الشمال سمى الملاحون بهـا لموافقة مهبها اهـ . من تعاليق الألياذة للبستانى .

(٢) أو هو عربى قديم (شاده مرمراً وجلّله كلسا البيت) راجع ما كتبناه عن الــكاس ومرادفاته فى اللاحق .

(٣) المشهور لدى علمائنا أن (الحوارىّ) سمى به من تحوير الثياب وهو غسلها وتبييضها . ويقول هنا إنه من الحبشية ومعناها فيها الرسول . ويؤيده ما كتبه الأب مرمرجى فى مجلة المشرق (س ٢٧ ص ٥٨٥) من أن فعله بالحبشية (Hara) أى سار وسافر واسم الفاعل منه Harrareya أى سائر مسافر ثم أطلقوه على الرسل. المبعوث. السفير . وفى العهد الجديد Mashafa Hārrāreya أى مصحف الرسول (بولس) اهـ المؤلف .

الـكاذبة . وكذا (الزنجبيل) و (القرنفل) معربتان من اللغة الهندية لأن بلاد الهند منبتهما . وهكذا كلما أغلق علينا نسب كلمة نبحث عن معناها وفى أى بلد صنع أو استُنبت أو اخترع فنعرف إذ ذاك أن اللفظ الذى وضع له هو من لغة أهالى تلك البلاد . وكلمات (صبح . بهاء . ضياء . سفينة) هى من اللغة السنسكريتية فى غالب الظن .

ومما عرِّب من اللغة الفارسية كلمات (خُشاف) وأصله (خوش آب) و (بابوج) وأصله پاپوش[1] أى ساتر القدم : (پا) أو (پاى) قدم و (پوش) ساتر .

قال : و(سراب) أصلها سير آب[2] أى مملوء ماء . و(زمهرير) معرب (زم أريز) أى ضباب بارد ، و(جزاف) معرب كزاف ومعناه عبث الكلام ، و(ضنك) معرب (تنك) أى ضيِّق ، و(تباشير)[3] معناه مثل اللبن ، و(الوزير) من أصل فارسى بهلوى .

ومما عرب من اللغة الهيروغليفية وهى المصرية القديمة — كلمة (قبس) وأصلها خبس أى مصباح و(نبِيّ) ومعناها رئيس العائلة أو المنزل .

ومما عرب من اللاتينية كلمة (بلاط)[4] ومعناها قصر الملك وأصلها Palatium بالاتوم .

ومن اليونانية كلمة (قلم)[4] وأصلها Kalamos كالاموس .

قال : وكلمات (شتاء) (شهر) (لحم) (ملح) (أبّ) أى الـكلأ (عنب) (ثلج) (عبد) (مرء) (بعل) (هُبَل) (شِعر) أى منظوم القول (ألوكة) (سورة) (ورق) (يرقان) — كلها ترجع إلى أُصول سريانية أو عبرانية ، ومثلها أفعال (كَتَبَ) (سطر) (طبخ) (أرّخ) وإن هذه الأخيرة معربة من كلمة (يرح) التى معناها الشهر فى اللغة السامية .

---

(١) وعلى نمطه تعريب (طربوش) أصله (طاربوش) أى ساتر الأعلى . و (شربوش) أصله (سَرْبوش) أى ساتر الرأس (المؤلف) .

(٢) أو أن أصل سراب (سَرْآب) أى رأس الماء وهو النبع . فإن السائر فى البيداء القيعةِ يحسب سرابها عن بعد ينابيع يترقرق ماؤها . (المؤلف) .

(٣) التباشير فى فصيح اللغة معناها أوائل الصبح التى تبشر به . فالظاهر أن يكون عربى الأصل من البشارة ويقول هنا إنه فارسى ، فيكون العرب أو الفرس أنفسهم أطلقوه على أوائل الصبح لبياضها المشبه للبن .

(٤) ولقائل أن يقول : إن كلمتى (بلاط) و (قلم) عربيتان وقد أخذهما من العربية المتكلمون باللاتينية واليونانية لا أن العرب أخذوهما من تينك اللغتين . ولا يبعد أن تكون بلاط وقلم وأمثالها من قبيل توارد اللغتين واشتراك أهلهما فى استعمال كلمة ابتداء من غير أن يأخذ أحدهما من الآخر (المؤلف) .

قال : ومن المعرب كلمات : (القباء) (الجبة) (الجزية) (حبر)[١] (آمين) (توبة) (جبروت) (تسبيح) (سِبط) (سِفْر) (طوفان) (فِصْح) (غفارة) (قِدَّاس) (قربان) (قيامة) (ناقوس) (نياحة) (طاغوت) (طوبى) (زيزفون) (سقمونيا) (بابونج) (بنج) (خيار شمبر) (راتينج) (زرجون) (شيرج) (مرسام) (قيراط) (أنبيق) (اسطقس) (جنزار) .

قال : أما الكلمات الأفرنجية التي دخلت اللغة العربية في هذه الأزمنة المتأخرة فكثيرة جدا لا يحصيها عد . منها (قرش) معرب (graschen) الألمانية (باره) (سرايه) (قنصل) (بوليس) (يوسطه) (اسكله) (بورصه) (بنك) (كمرك) الخ الخ انتهى ما قاله الفاضل .

وقال غيره : ومما عرب من اليونانية جرن أصلها اليوناني (grôné) وأسّ من (ousia) وخُرْثي[٢] من (gruté) وسَقَر من (Sacer) وسيما أو سيمياء من (Séma) وسندس من (Sandux) .

وقال آخر : ومن اليونانية أيضا : سجنجل . بطاقة . اصطرلاب . قسطار (وهو الجهبذ أي الصيرفي) . قبرس (أجود النُحاس) . قنطار . قنطرة . قرميد . ترياق . قيطون (المخدع أو البيت الشتوي) . طزر (البيت الصيفي) أي غرفة من الدار تصلح للسكنى فيها في فصل الصيف لحسن موقعها من مهب الريح فلا تصلح الطزر لأن تقوم مقام فيللا . اسفنط . سقنقور . قولنج . قولون . فردوس (قاله الثعالبي) . قارسطون (ميزان الدراهم) . إصطفلين (الجزر الذي يؤكل) . هِرْكَوْلة[٣] (المرأة الضخمة) الغيذار[٤] (أو بالعين المهملة هو الحمار)

---

(١) المراد من الحبر هنا العالم أو الصالح من العلماء ، وهو بكسر الحاء وفتحها والكسر أفصح بدليل أنه يجمع على أحبار . ويستعمل غالبا في علماء اليهود فيقال أحبار اليهود . وكان منهم كعب الأحبار (المؤلف) .

(٢) في الصحاح الخرثي أثاث البيت وأسقاطه اهـ . وهذا يشعر بأن الخرثي غير النفيس من الأثاث.

(٣) في الأساطير اليونانية أن هركول (Hercule) ابن زفس (جوبتير) كان مفرط الضخامة والقوة وقد اشتقت اللغات الأوربية من اسمه كلمات بهذا المعنى . وكذلك اللغة العربية على ما يظهر ، ففي المعاجم الهركولة على وزن برزونة المرأة الضخمة العظيمة الفخذين والجسم . حم أبو عبيدة فزاره جماعة وكان في حالة هذيان فقالوا لطبيبه سله عن (الهركولة) فقال له : يا أبا عبيدة . قال : مالك ! قال : ما الهركولة ؟ قال : الضخمة الأوراك .

(٤) وعزاه في القاموس إلى ابن دريد . لكن ابن فارس قال ما أحسب كلمة الغيذار عربية صحيحة اهـ. وفي اللغة اليونانية كلمة بمعنى الحمار تشبهها ، ومن ثم عد بعض الفضلاء المعاصرين كلمة الغيذار فيما عرب من اليونانية .

وقال آخر : ترس (يونانية) . فرن (فارسية أو يونانية) لُجَيْن تعريب (Lagena) فلس (رومية) . قنينة (يونانية) . يَمّ (سريانية) قُربوس (يونانية) فسطاط (فارسية أو رومية) قفّة (قيل لاتينية) دُمْلُج (حبشية) سوار (رومية) قَلس (حبل السفينة . يونانية) قَمِين (ونلفظه قَمّين) روميّة .

وفى المخصص : الكُرَّز اللئيم وهو دخيل فى العربية وتسميه الفرس كَرّزى اهـ . وفى التاج : الهفتق الأسبوع معرب هفته وهو فارسى يقال أقاموا عندنا هفتقا أى أسبوعا . وفى المخصص عن ابن دريد : السُنبك مقدم الحافر فارسى تكلمت به العرب قديما . وكلمة رونق بمعنى الحسن والبهاء فارسية الأصل منحوتة من كلمتى (روى) بمعنى وجه و (نيك) بمعنى حسن . والبستان فارسى مؤلّف من كلمتين (بو) رائحة و (ستان) مكان والبستانيان حارس البستان وخادمه ، استعمله العرب مع أن فى لغتهم كلمة (التاحى) ، بل إن صاحب التكملة فسّر كلمة التاحى العربية بالكلمة الفارسية . فقال (التاحى هو البستانيان) ونقول اليوم البستانى وأهل مصر يسمونه الجنائنى . وأهل العراق (الباغْبان) و (البَغْوان) . وهما فارسيتان . ومَخْرَقَ الرجل مَخْرَقَة موّه وكَذَب . قيل هو من مخاريق الصبيان . وقيل من الخَرْق وهو خَلْق الكذب ، وقال الجوهرى هى كلمة مولدة . وقال بعض الفضلاء المعاصرين هى فارسية من (ماخ راه) أى طريقة كاذبة كما أن (ميسون) للغلام الحسن الوجه معرب من (مىْ) خمرو (سون) نظير . و (ميدان)[1] من (مى) خمرو (دان) للدلالة على المكان .

هذا مثال من المعرّبات مما لا يكاد يخلو منه كتاب أو خطاب . وأما الإحاطة بها فلا تتأتى لنا إلا إذا أردنا أن نفرد لها معجماً خاصًّا . ومن تصفح كتب اللغة ومعاجم متونها لحقه الدهش من كثرة تلك المعربات وانسيابها فى أحناء لغتنا ، وتضاعيف كلام أدبائنا وشعرائنا .

وأرى أن معظم هذه الكلمات التى سردناها قد عرّبه العامة والتجار وأرباب الصنائع والمستبضعون الذين يضربون فى البلاد ويمتزجون بالأمم . أما اسطرلاب . كيوان . بنكام . كيموس . برسام . ترياق . فلسفة . طلسم . كيميا وأمثالها[2] فقد دخل إلى اللغة العربية فى

(١) كان الخمر كانت فى مدن الفرس الأقدمين تباع وتشرب فى الساحات العامة ، فإذا قالوا (ميدان) أرادوا الساحة العامة حيث يجتمع الناس للهو والمسرات وشرب الخمور ، فعربها العرب وأطلقوها على كل ساحة متسعة وخاصة ساحة سباق الخيل .

(٢) ومنه كلمة (ست) بمعنى السيدة و (باغ) و (كاغد) و (بريد) و (فَيج) . والفيج رسول =

القرون الإسلامية الأولى كما دخل إليها فى هذا العصر كلمات التلغراف والتلفون والفونوغراف والتيفوئيد والملاريا والميكروب والتلسكوب ونحوها مما جاءنا به نَقَلَة العلوم العصرية ومترجموها ولم يروا مندوحة من تعريبه .

والكلمات العلمية القديمة التى ذكرنا آنفاً نموذجاً منها قد نقلها إلى لغتنا أسلافنا الذين اشتغلوا فى ترجمة العلوم والفنون عن لغاتها الأصلية كاليونانية . ولا سيما ما كان من ذلك فى زمن النهضة العربية العباسية وخاصة المأمونية ، حينما عقدت المجامع وأنشئت دور الحكمة ، فصار يؤمها كبار العلماء لأجل النظر فى ما ينقله أولئك المترجمون من الكلمات الأعجمية ونقدها وتدوينها . وبذلك انتظم أمر تلك العلوم واتحدت طريقتها واصطلاحاتها بين أربابها المشتغلين فيها . وهذا ما نصبو إليه فى هذه الأيام ونحسبه من أكبر دواعى تقدمنا واتساع نطاق لغتنا ، وانتشار العلوم على أنواعها فى ما بيننا .

شرط التعريب

قلنا أوّلاً إن حد التعريب أن تتكلم العرب بالكلمة الأعجمية ، والعرب لم يكونوا يخالطون الأعاجم كما نخالطهم نحن لهذا العهد . ولم يكونوا يعرفون من لغاتهم كما نعرف منها نحن . لذلك كانت ألسنتهم غير ممرّنة على النطق بالكلمات الأعجمية . وأسماعهم غير مستأنسة بلهجتها ونغمتها استئناسَنا نحن بهما . فمن ثمّ كانوا إذا عربوا كلمة أفرغوها فى قوالب كلماتهم العربية وردُّوها[١] إلى صيغها وأوزانها ، إلا ما ندر .

من ذلك النادر كلمات خُراسان وإبراهيم وقُنَّبيط (نوع من البقل) وإطريفل وإهليلج وإبريسم وآجرّ وشطرنج بفتح الشين ، فإنه لا يوجد فى الأوزان العربية فُعَالان وإفعاليل

= السلطان الذى يسعى على رجليه فارسى معرب وقيل هو الذى يسعى بالكتب ، أى يحمل الرسائل بين التجار من بلد إلى بلد ، فهو كعامل البريد فى هذه الأيام وإن كان عامل البريد اليوم لا يعدم ركوبة ولو مما يسمونه (بيسكليت) . وفى الكتاب الثانى من نشوار المحاضرة قصة ذكر فيها فَيجاً كان ينقل الكتب بين التجار .

(١) وهذا الرد لا يقتصرون فيه على حذف حروف العلة واللين إذ هم أحيانا يحذفون من الكلمة الأعجمية حرفا صحيحا مثل بازهر أصلها (بادزهر) أى ضد السم . ومثل (مردارسنج) الأكثر أن يقولوا فيه (مرداسنج) . قال ابن البيطار هو المرتك وفى القاموس هو حجر أو عقّار معروف يميت الفيران بالعجين . (سنج) أصله (سنك) حجر و (مردار) القذر النجس .

وفُعَّليل وإفعيلَل وفاعُلّ وفَعْلَلّ ، وكانوا مع ذلك ينطقون بتلك الكلمات المغايرة لأوزانهم ولا يتحرَّجون من تكرارها فى كلامهم .

(قالوا خُراسان أقصى ما يُراد بنا ثم القفول فقـد جئنا خُراسانا)

ووردت كلمة إبراهيم العبرانية فى القرآن الكريم مرات عديدة ، وبهذه المناسبة نقول إن (إبليس) اليونانية ذكرت فى القرآن تسع مرات . و(شيطان) اليونانية أيضاً ذكرت اثنتين وخمسين مرة .

ولما رأى الجوهرى أن العرب قلما يعربون كلمة ما لم يردوها إلى كلمة توازنها فى لغتهم — جَعَلَ ذلك شرطا فى التعريب ، وفى صحة إطلاق « المعرَّب » على الكلمة المنقولة إلى العربية . وزاد فى تعريف التعريب قيداً ، فقال « أن تتكلم العرب بالكلمة الأعجمية على نهجها وأسلوبها » فقوله على نهجها وأسلوبها ناظر فيه إلى ما قلناه ، وهذا ما عناه المرحوم جمال الدين الأفغانى بقوله : « إذا أردنا استعمال كلمة أعجمية فى اللغة العربية فما علينا إلا أن نلبسها مَشْلَحًا وعِقالاً فتصبحَ عربية » ، وقد أراد بالمشلح والعقال ما أراده الجوهرى بالنهج والأسلوب . وتبع الحريرىُّ الجوهرىَّ فى زيادة هذا القيد حتى قال فى كتابه (درة الغواص) إن فتح الشين من شطرنج خطأ والصواب كسرها لتصير على وزان قِرْطَعْب وجِرْدَحْل .

ولا يمنع الجوهرىُّ والحريرى ورودَ مثل خراسان وإهليلج وآجرّ فى كلام العرب ، وإنما يمنعان جَرَيانَ التعريب فيه وإطلاق اسم المعرب عليه ، فهما وأشياعهما يقولون إن خُراسان وأخواتها كلمات أعجمية وردت فى كلام العرب وليست معرَّبة إلى لغتهم ؛ فالكلمات التى تنطق بها العرب فى اعتبار هؤلاء ثلاث مراتب : عربية ومعربة وأعجمية . أما سيبويه وجمهور أهل اللغة فقد ذهبوا إلى أن التعريب أن تتكلم العرب بالكلمة الأعجمية مطلقاً : فهم تارة يلحقونها بأبنية كلامهم كدِرهم وزِبْرِج ، وطوراً لا يلحقونها بها كإبراهيم وآجُرّ وشَطْرَنج (بفتح الشين) وإبريسم ؛ ومن هذا القبيل « سمندو » و « قمندو » اسمان أعجميان لمدينتين . فإن العرب عربوهما ونطقوا بهما بواوها الساكنة فى آخرهما كما هما فى الأعجمية ، مع أنه لم يوجد فى أوزان كلامهم اسم على هذا المثال قط : أى بواو[1] ساكنة فى الآخر :

(١) وإذا جمع العرب كلمتى (دَلو) و (جَرو) على وزن (أفعُل) قالوا (أدلوٌ وأجرُوٌ) فإذا وقفوا عليهما حذفوا التنوين فيقال (أدلُو وأجرُو) لكنهم يهربون من شبه الأعجمية فيكسرون ما قبل الواو =

فرُتَبُ الكَلِم إذن عند سيبويه ثنتان . عربية ومعرَّبة ، ومدار التعريب عنده على الاستعمال وحده . وقد ذهب مذهبَهُ عامة أهل اللغة ، فصرحوا[1] بأنه لا يلزم فى المعرَّبات أن تجرى على أمثلة الأوزان العربية ، بل إن جاءت فحسن لتكونَ مع إقحامها على العربية شبيهة بأوزانها .

وقد يتفق أن تُغيِّر العرب الأسماء الأعجمية التى تُعرّبها تغييراً لا يكون معهُ إلحاق بأوزانها ومناهج كلامها : كقول الأعشى « وكسرى شهنشاه الذى سار ملكه » أصل الكلمة « شاهان شاه » أى ملك الملوك . فقد حذف منها الألفين الأُوليين حتى صارت شهنشاه . و بقيت بعد هذا التغيير غير منطبقة على وزن من أوزان العرب . قد يقال إن مذهب سيبويه هذا أَرفق باللغة والمتكلمين بها . وأَعون على حياتها واتساع دائرتها ، لا سيما زمناً كزمننا هذا ، انتشرت فيه اللغات الأعجمية بيننا ، ومَرَنَتْ على النطق بكلماتها ألسنتنا . ولا مجامع لغوية لدينا تُعْنى بنقد تلك الكلمات وردها إلى أبنية عربية ، وأمرُنا فى التعريب على العكس من أمر العرب : هم كانوا قلما يبقون الكلمة الأعجمية على هيئتها الأصلية ، ونحن قلما نحوِّلها إلى أوزان لغتنا ، فتلغراف وتلفون وفونوغراف وأوتوموبيل وتياترو وسنتاموغراف و بروجرام فى كثير من نظائرها نكاد ننطق بها كما أُنزلت على لسان أهلها وتسمى معربة ، ويسمى استعمالنا لها — و إن لم نغيِّرها أو نلحقها — تعريباً على ما ذهب إليه سيبويه أحسن الله إليه .

وكأن سيبويه وأشياعه نظروا إلينا و إلى ما يطرأُ على لغتنا بعين الغيب ؛ فلم يشترطوا فى التعريب سوى الاستعمال . ولو اشترطوا فيه تغيير الكلمة و إلحاقها بأوزاننا ، لضِقنا ذَرْعاً بتلك الكلمات الأعجمية الكثيرة التى تنهال على لغتنا أيّما انهيال ، وليس لنا من العناية و إنشاء المجامع ما يقوم بهذا الشرط و يفيه حقه ، فنكون إذن فى اعتبار أولئك الجهابذة المشترطين ، أعاجم نتكلم الطمطمانية ، ونتراطن بلغتنا تراطناً .

على أننا مهما استحسنا رأى سيبويه فى عدم اشتراطه رد الكلمة المعرَّبة إلى مناهج

= حتى تقلب ياء ثم يحذفونها عند دخول التنوين ويقولون أجْر وأدل . وماذا يفعلون ياترى إذا أدخلوا (أل) التعريف عليهما هل يقولون (الأدلى والأجرى) أو (الأدلو والأجرُو) فيقعون فى شبه الأعجمية .

(١) راجع ما نقلناه فى الملاحق عن ابن الجواليقى وابن برى .

اللغة وأوزانها — ينبغى أن نقف من تسامحه عند حد محدود ، وإلا تكاثرت الكلمات الأعجمية ذات الأوزان المختلفة والصيغ المتباينة فى لغتنا الفصحى ، وخرجت على تمادى الأيام بذلك عن صورتها وشكلها ، وعادت لغة خِلاسية ، لا عربية ولا أعجمية ، كاللغة المالطية ، أو كسائر اللغات العربية العامية ، فى مختلف الأقطار الإسلامية ، فكم نحن إذن فى حاجة إلى مجمع[1] لغوى يصون لغتنا المحبوبة عن هذا الخطر الذى يتهددها وينتشلها من هذه الهوّة التى نخشى أن تواقعها .

التعريب قياسى

ذكرنا فى بحث الاشتقاق أنه مما استأثر بِهِ أهل اللغة ؛ فإن لهم وحدهم أن يشتقوا كلمة من أخرى ، وليس لغيرهم أن يفعل فعلهم بحيث تعدُّ كلمتُهُ التى اشتقها عربية فصيحة . ونقلنا قول ابن فارس فى ذلك ، ولكننى لم أعثر على رأى للعلماءِ فى التعريب ، وأنه هل هو كالاشتقاق مما استأثر به العرب . فلهم وحدهم أن يعربوا الكلمات الأعجمية ، ويجعلوها فى عداد كلمهم ، ويكون التعريب سماعياً كالاشتقاق ؟ أو هو قياسىّ ؛ فيجوز لأىٍّ كان ولو من المحدثين أن يتناول كلمة أعجمية فيعرّبها ويستعملها فى كلامه العربى ؟

الظاهر الثانى بدليل كثرة الكلمات الأعجمية التى نقلت إلى اللغة العربية فى القرون الإسلامية الأولى ، واستعملها جمهور الأدباء فى منثورهم ومنظومهم بلا نكير . ناهيك ما كان من المأمون وعنايته فيما كان ينقله العلماء والمترجمون إلى اللغة العربية من كلمات الأعاجم فى العلم والفلسفة ومختلف الفنون الطبية والكيمياوية والطبيعية . على أن هناك فرقاً عظيماً بين (الاشتقاق) و (التعريب) من حيث إن الثانى — ونعنى به هنا اقتباس كل لغة من لغة أخرى — ضرورى الوقوع لكل لغة نامية حيّة كاللغة العربية . فما دامت الأُمة تخالط غيرها من الأمم ، وتعامله ، أو تتغلب عليه ، ويتغلب عليها . فإن لغتها لا تبقى فى معزل عن طروءِ الدخيل عليها مهما تجافت وتحفَّظت ، ومن لهُ معرفة بشىءٍ من هذه اللغات الغربية عرف أن واحدة منها لا تخلو من أن يكون فيها كثير من الكلمات اقتبستها من جارتها ،

---

(١) وقد تحققت والحمد لله أمنيتى . فأنشىء فى دمشق سنة ١٩١٨ م (المجمع العلمى العربى) وفى القاهرة سنة ١٩٣٤ م (مجمع فؤاد الأول للغة العربية) .

وفى اللغتين الفرنسوية والأسبانيولية طائفة من كلمات العرب .

فالاقتباس على هـذا النحو تفاعل طبيعىٌّ فى كل لغة حية لم يحُلْ بين أهلها و بين غيرهم من الأمم حائل يمنع ذلك الاقتباس ، وليست اللغة العربية ببدعٍ من تلك اللغات ، وليست هى فى جميع أدوارها التاريخية — قبل الإسلام و بعده — بالتى يمكنها أن تسلم من تأثير هذا الناموس الطبيعى فيها .

ومن ثمة لم يجرؤ علماء اللغة فيما أظن على القول بأن التعريب سماعىٌّ . أو أن المولَّدين محجور عليهم أن يقتبسوا و يعرِّبوا ، أو أن كلامهم الذى انطوت جوانحهُ على شىء من هذه المعرّبات غير عربىٍّ أو غير فصيح .

ومما صرح به العلماء فى بحث الـكلمات المعرّبة الواردة فى القرآن — أن تلك الـكلمات لا تؤثر فى عروبة القرآن ، ولا تخرجهُ عن كونهِ (قرآناً عربياً) كما أخبر الله تعـالى ، وهؤلاء فصحاء العرب أنفسهم ، كانوا يستعملون الـكلمات الأعجمية فى منظومهم ومنثورهم ، ويبقون مع هذا فصحاءَ بلغاء وكلامهم فصيحاً بليغاً .

معرّبات السنة

وقد ورد فى الحديث والسنَّة الشريفة كثير من الـكلمات الأعجمية الدخيلة . ولا بأس فى الإشارة إلى بعض ما ورد من هذا القبيل .

« زرمانقه » جبة صوف وهى عبرانية . « سَرَقَة » قطعة من جيِّدِ الحرير . جمعها سَرَق ، فارسية أصلها سَرَه ، ومعناه الجيد . « الشَّبُّور » البوق ينفخ فيه عبرانية . « طازجة » خالصة منقّاة . معرب تازه الفارسية . « برازيق » جماعات ، فارسية ، « الطَّسّوُ » ويقولون الطَسُّوج أيضاً الوظيفةُ من خراج الأرض المقرر عليها ، وهى فارسية . « الفهور » مواضع مدارس اليهود ، نبطية أو عبرانية . « الفَيْج » المسرع فى مشيه الذى يحمل الأخبار من بلد إلى بلد . فارسى معرب ، وهو ما يقال له اليوم الساعى أو حامل البريد وقد مرّ . « الـكُركم » الزعفران أو العصفر أو شىء كالورس ، فارسى معرَّب . « المـاحوز » الموضع الذى يقصده الإنسان فى سفره ، وليست عربية . « الماخور » مجمع أهل الفسق والفساد ، و بيتُ الخمار . معرب مَيْخور فارسية . « الماذيان » النهر الـكبير . فارسية . « المرزُبان » البَطَل المقدم على

القوم ، فارسية ، وجمعها مرازبة . «المُوبَذان» بمنزلة قاضى القضاة فى الإسلام ، وجمعها موابذة . « القهرمان » الخازن والوكيل . جمعها قهارمة . « قليَّة » أو « قَلاَّية » معبد للنصارى كالصومعة ، معرب كلادة . «اندروزديه »[1] سراويل مشمَّر كالتبَّان فارسية . «المنباط » صاحب الجيش ، رومية . «بختج» و «ميسوسن» ضربان من المسكر معرَّبتان . «يُدَرْقِلون» يلعبون و يرقصون باللغة الحبشية ، وفعلهم الدرقلة والدركلة . « الدرهرهة » سكين معوجة الرأس . قال ابن الأنبارى هى ما يسمونهُ المنجل ، فارسية . « دسكرة » بناء على هيئة القصر ، فيهِ منازل و بيوت للخدم والحشم ، وهى فارسية . « الخربز » البطيخ بالفارسية أو الهندية . « الخِرديق » المرق ، فارسى معرب وأنشد الفرَّاء .

(قالت سُليمى اشتَرْ لنا دقيقا واشترْ شُحَيْمًا نتخذ خِرديقا)

« إنه كان يلبس البرانس والمساتق و يصلى فيها» البرنس معرب . والمساتق جمع مستقة ، فرو طويل الـكمين معرب مشته .

« امرأة نزعت موزجها فسقت به كلباً » الموزج الخفُّ معرب موزه بالفارسية .

وفى صفة الجنة « وأنهار من عسل مصفّى من موم العسل » الموم الشمع ، معرب . « الدِرهمُ يُطعِم الدَرْمَق ، ويكسو النَرْمَق» الدَرمق الدقيق المحوَّر يعنى الأبيض . أما النَرمق فهو اللّيِّن من الثياب فارسى معرب ، أصله النرمه ، و يروى اليَرْمق بالياء ، وهو القَباء . وأنكره بعضهم قال و إنما هو اليَلْمَق ، معرب يلمه .

« أُتى بسارق قد سَرَق بُخْتيـة » البَخاتىّ جمال طِوال الأعناق ، واحدها بُختىّ و بختيّة ، فارسى معرب .

« نزل آدم من الجنة بالباسنة » الباسنة[2] سكة الحرث غير عربية . «وجعل أبا عبيدة على البياذقة » الرجّالة . واحده بيذق ، وهم البيادة فى اصطلاح هذه الأيام . ومنه بيذق

---

(١) وفى حديث أم الدرداء : زارنا سلمان من المدائن إلى الشام ماشيا وعليه كساء و (اندرورد) وفى رواية أخرى (أندرورديه) كما فى حديث على رضى الله عنه «إنه أقبل وعليه (أندروردية)» نوع من السراويل مشمّـر فوق التبان يغطى الركبة أو هو التبان نفسه . قال أبو منصور : هى كلمة أعجمية استعملوها وليست بعربية اهـ . من القاموس وشرحه .

(٢) واسمها فى العربية سِنـّة وتجمع على سِنـّات . ذكرها فى المخصص واستشهد لها بقول الشاعر :

فى أثر من أثر السِنـّات حرب على الفطس المقرّنات

والفُطس جمع أفطس وقد أراد بها الفدن والثيران .

الشطرنج ، والـكلمة فارسية . « البيشيارجات تعظِّم البطن » هى ما يقدم إلى الضيف قبل الطعام ، فارسية . ولعلّها التى يطلق عليها الفرنسيون كلمة (Entrées) أو كلمة (Hors d'œvre) .

فى حديث جريج العابد « إنه مسح على رأس الصبى وقال يا بابوس من أبوك ؟ » البابوس الصبى الرضيع ، وهى كلمة دخيلة . والطفل الصـغير يُعَبر عنه فى اللغة الفرنسوية بكلمة (Bébé) « بابا » بألفين ممالتين إلى ياء . فى حديث أبى وائل « ورد علينا كتاب عمر . وفيه إذا قال الرجل للرجل لا تدحل فقد أمّنه » لا تدحل بالحاء المهملة ، بمعنى لا تخف بالنبطية . وفى حديث الحسن « سأله رجل عن الصحناة فقال وهل يأكل المسلمون الصحناة ؟ » هى إدام يتخذ من السمك الصغار مشةٍ مصلح للمعدة . والـكلمة أعجمية . ولعل الصحناة ما يسمونه اليوم « السردين » .

«أهدى رجل من العراق إلى ابن عمر جوارش » هى نوع من الأدوية المركبة ، يقوى المعدة ويهضم الطعام ، معرب .

فى حديث عيسى عليه السلام « إنه لم يخلِّف إلاّ قفشين ومخذفة » المخذفة المقلاع . أما القفش فهو فارسى معرب كفج أو كفش . وهو الخفّ القصير . وما يدرينا أن تكون كلمة خف نفسها التى تحسبها عربية محضة — معربة عن كفج أو كفش .

وفى حديث مجاهد « يغدو الشيطان بقيروانه إلى السوق » والقيروان الجماعة أو القافلة . وهى معربة عن الفارسية ، وأصلها « كاربان » .

«أكل الحسن أو الحسين تمرة من تمر الصدقة فقال النبى صلى الله عليه وسلم كخ كخ» كلمة يزجر بها الصبى ويردع . وتقال عند التقذُّر أيضاً . وهى أعجمية عُرِّبت .

ولا يضر فصاحتَه صلى الله عليه وسلم وجودُ كلمات أعجمية فى كلامه . كما لم يضر ذلك فصاحة القرآن . ويحتمل أن منشأ قول البعض : إنه صلى الله عليه وسلم كان يعرف كل لغة ويتكلم بكل لسان — وجودُ بعض كلمات فى كلامه من لغات أعجمية مختلفة فقال قائل : إنه صلى الله عليه وسلم كان يتكلم بلغات الأعاجم . يعنى أنه لا يأنف من أن يودع كلامه من تلك اللغات ، ويستعملها إذا عرضت له . فحَسبَه الآخر يعنى أنه صلى الله عليه وسلم يعرف الألسنة الأعجمية بمجموعها بحيث يمكنه أن يحاور أهلها . ثم فشا هذا الوهم فى رواة

الحديث . وتداولوه بينهم . وسئلت عائشة رضى الله عنها: ما كان ترميله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : « كان مرطا طوله أربعة عشر ذراعاً . نصفه علىّ وأنا نائمة ونصفه عليه وهو يصلى» فسئلت : ما كان ؟ قالت : «والله ما كان خزًّا ولا قزًّا ولا مرعزّى ولا إبريسم ولا صوفاً ، كان سداه شعراً ولحمته وبراً » فقولها ولا خزًّا الخ من باب النطق بكلمات الأعاجم .

المعرب عربى أو بمنزلته

وإنما كان إيداع القرآن أو الحديث أو أىّ كلام عربى — شيئاً من الكلمات الأعجمية المعربة لا يُخرجه عن العروبة ولا ينزع عنه لباس الفصاحة والبلاغة — ذلك لأن مولى القوم منهم ولأن سلمان الفارسىّ قد أصبح بعد إسلامه واتّباعه طريقة آل البيت واحداً من آل البيت .

لا جرم أن القارئ الكريم قد أدرك ما أردناه من هذين المثالين — أردنا أن الكلمة الأعجمية تصبح بعد تعريبها بمنزلة الكلمات العربية . وقد قال الجواليقى إن المعرّبات أعجمية باعتبار الأصل . عربية باعتبار الحال[1] . وتبعهُ على ذلك الإمام ابن الجوزى وغيرهُ . وصرّحوا بأن الكلمات الأعجمية التى وقعت للعرب فعرّبوها بألسنتهم . وحوّلوها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظهم تصبح عربية . فيجرى عليها من الأحكام ما يجرى على تلك . فتتوارد عليها علامات الإعراب إلا فى بعض الأحوال . وتُعرّف بأل . وتضاف ويضاف إليها . وتثنّى وتجمَع . وتذكّر وتؤنّث . وفوق ذلك كله تَصرُّفُ أهلِ اللغة فى الكلمة المعرَّبة وإعمالهم مباضعَ الاشتقاق فى بنيتها . وهذا عندى من أبين الأدلة على كون المعرّب فى اعتبارهم عربيًّا ؛ فقد قالوا فى زنديق زندقة وتزندق . واشتقوا من فيلسوف فلسفة وتفلسف ومن سوفسطائى سفسط سفسطة . ومن مزركش زركش زركشة . ومن طراز طرّز تطريزاً وهو مطرَّز ومطرِّز . ومن المؤرخ المعرّب عن « ماه روز » أرّخ يؤرّخ تاريخاً . ومن سردق بيتٌ مسردَق . ومن ديوان دوّن تدويناً . ومن دهقان دهقَنُوهُ دهقنةً وتدهقن . ومن

---

(١) وقال الليث التنّور عمت بكل لسان . قال أبو منصور وهذا يدل على أن اسم التنور فى الأصل أعجمى فعربتها العرب فصار عربيا على بناء فعّول . والدليل على ذلك أن أصل بنائه (تنر) قال ولا نعرفه فى كلام العرب لأنه مهمل وهو نظير ما دخل فى كلام العرب من كلام العجم مثل الديباج والدينار والسندس والاستبرق وما أشبهها ، ولما تكلمت به العرب صارت عربية . انتهى تاج .

خاقان خقّنوهُ على أنفسهم ملّـكوه[١] . ومن أسقف أسقفوه على أبناء طائفته إذا جعلوه أسقفاً عليهم . ومن نوروز نَوْرَزَ . وأُهدِىَ إلى علىٍّ رضى الله عنه فى النوروز الخبيصُ فقال : نورزوا لنا كل يوم . وقال الشاعر :

نورز الناس ونورز ت ُ ولـكن بدموعى

وذكـت نارهمو والنار ما بين ضلوعى

وذلك أنهم فى يوم النوروز كانوا يشعلون النيران . و يرشّون المياه أمام بيوتهم . ذكر ذلك المقريزى وغيره .

ومن الصاروج وهو الـكلس صرّج الحوضَ تصريجاً . والحوضُ مُصَهْرَجٌ أى معمول بالصاروج . ومن القزّ قزّاز وهو الذى يبيعه . ومن بريد أبرد صاحب البريد إلى الأمير ، أى أرسل إليه بريداً فهو مُبرِد . ومن المُهر وهو الخاتم بالفارسية مَهَر الـكتاب خَتَمَه فهو ممهور . والنواخذةُ مُلاَّك سفن البحر أو وكلاؤهم . معرَّب ، واحده ناخذاه . وقد اشتقوا منه فعلاً فقالوا : تَنخَّذَ على وزان تترّس . والـكشخان الديوث . فارسى معرَّب . جعـلوا له مصدراً فقالوا كشخنة يريدون الدياثة . وذكر الجوهرى « أن هنداز معرَّب أندازه . يقال أعطاه بلا حساب ولا هنداز . ثم اشتقوا منه مُهَنْدِز بالزاى على صيغة اسم الفاعل . وهو الذى يقدِّر مجارى القنا حيث تحفر . وأُبدلت زايه سيناً لأنهُ ليس فى كلام العرب زاى معجمة بعد دال ، فقيل مهندس[٢] » .

ومن الأدلة على أن المعرب عربى ما قاله الخليل : ليس فى كلام العرب على وزن فِعْلَل غير كلمة « دِرهم » . ثم عدد كلمات أُخر ثلاثاً . فانظر كيف أنه جعل كلمة دِرْهم من كلام العرب وأنت تعلم أنها معرَّبة من الروميّة . وأصلها « درَم » لـكنهم زادوا عليها الهاء لأجل إلحاقها بهِجْرَع . كذا قالوا . و يدور فى خلدى أن الهاء من درهم ليست مزيدة للإلحاق و إنما

---

(١) ومَـرزَبُوه إذا جعلوه مرزباناً ومعناه بالفارسية محافظ أمير التخوم . وفى القاموس الشبكرة العَشاء (أى ضعف البصر فى الليل) معرب (من شب ليل وكور أعمى) وقد بنوا الفَعْـلَلَـة من كلمة شبكور الفارسية ومعناها أعشى ا هـ) .

(٢) ومن فى المعربات (قانون) وهى لفظة رومية بمعنى المسطرة واستعملت بمعنى الأصل والقاعدة وبمعنى آلة الطرب . واشتقوا منها فعلا ففى الخصائص (جزء ١ ص ٤٤١) : (فقنّنوه وفصّلوه) .

هى أصلية محوَّلة عن حرف أعجمى . وهو الخاء فيما أحسب . وذلك أن عند اليونان (وهم الروم) ضرباً من النقود يسمى « درخمه » بالخاء . وطالما ذكره الكتاب والصحافيون بمناسبة كلامهم عن الشؤون المالية اليونانية ؛ فيقولون مثلاً مئة ألف درخمه . فالهاء فى درهم محولة عن خاء أو حرف قريب منها يعرفه العارف باللغة اليونانية . وكأن العرب أخذوا اسم الدرهم من اليونانية كما أخذوا اسم الدينار من الفارسية . ولكن أكد لى بعض الفضلاء أن الدينار ليست فارسية وإنما هى معرَّبة من اللاتينية .

ومن الأدلة أيضاً على أن الكلمة الأعجمية إذا عرِّبت أصبحت فى عداد كلام العرب ، وملكاً لهم ، وتحت مطلق تصرفهم — ما ذكروه فى كلمة « خُرَّم » على وزان سُلَّم . هذه الكلمة فارسية ومعناها العيش الهنىء الناعم ، أو الشىء المبهج السارّ ، وتطلق على ضرب من النبات يسميه العرب سراج القطرب كما فى كتاب المفردات لابن البيطار . ثم إن العرب أخذوا كلمة خرم بحروفها وحركاتها ولم يُلحقوا بها شيئاً من التغيير ؛ لأن لها فى لغتهم مثالاً وهو كلمة سُلَّم . وجعلوا يستعملونها فى معناها الفارسى . أعنى العيش الناعم فيقولون كان عيشنا بها خرَّما ، ثم بدا لهم أن يتصرفوا فيها تصرف الملاَّك فأطلقوها على « سراج القطرب » وجعلوها اسماً له . فأصبح هذا المعرب أعنى « خُرَّم » من قبيل الاسم المشترك . أو هو ضربٌ من المشترك غريب : بعض معانيه فارسى و بعضها عربى . و بالجملة فإن استعمال العرب لكلمة « خرَّم » فى معنى عربى جديد وهو هذا الضرب من النبات لم تكن تطلق عليه فى عهد عجمتها — آية على أن المعرَّب عربىٌّ ، وأن من تجنس بجنسيَّة قوم عُدَّ فيهم ، وصلح لأن يستخدم فى وظائفهم .

ولا بأس فى أن نستشهد لهذا أيضاً بما قاله بعض العلماء المحتج بأقوالهم : سئل هذا العالم عما عربتهُ العرب من اللغات ، واستعملتهُ فى كلامها . هل يعطى حكم كلامها فيشتق ، و يشتق منهُ ؟ فكان ملخص جوابهِ عن الأول : أن الكلمة المعربة لا يمكن أن تشتق من كلمة عربية ، إذ الاشتقاق إنما يجرى فى اللغة الواحدة بعضها من بعض . لأن الاشتقاق نتاج وتوليد ، ومحالٌ أن تلد المرأة إلا إنساناً ومن أدعى أن إسحق من أسحقه الله أبعده ، و يعقوب من اسم الطائر — كان كمن ادعى أن الطير ولد الحوت . وأجاب عن السؤال الثانى وهو ما إذا كان المعرب مما يصح أن يشتق منه بقوله : إن هذا الضرب من المعرب

الذى أُجرى مجرى العربى تجرى عليهِ الأحكام الجارية على العربى نفسهِ من تصرّف فيه واشتقاق منه ، ثم مثَّل لذلك باللجام فقال إنه معرب من « لغام » أو « لكام » الفارسية ، وقد جمع على لجم ككتب وصغّر عَلَى لجيم . وأتى الفعل منه بمصدر وهو الإلجام . وقد ألجَمَه فهو ملجَم وغير ذلك . انتهى ما أردنا الاستشهاد به من كلام ذلك الفاضل . وأزيد عليه أن أهل اللغة لم يقتصروا فى تصريف كلمة لجام والتصرّف بها — عَلَى استعمالها بطريق الحقيقة ، بل تجاوزوها إلى التجوُّز والكناية على نمط ما يفعلون بكلمات لغتهم : فقالوا ألجمه الماء إذا بلغ منه موضع اللجام من الفرس وهو الفم . وقالوا : « فلان لفظ لجامه » إذا انصرف من حاجته مجهوداً من الإعياء . وفى الحديث « التقىُّ ملجَم » أى أنه مقيَّد اللسان لا يطلقه فيما لا يحلُّه له الشرع من الخوض فى الباطل ، وهكذا . فاستعمال كلمة « لجام » فى هذه المعانى المجازية لا يقلُّ فى الدلالة على عربية المعرَّب — عما ذكرناه آنفاً فى استعمال العرب لكلمة « خُرَّم » فى معنى جديد غير معناها الفارسى .

قد يكون المعرَّب فصيحا

والناظر فى كلام العرب يجدهم قد استعملوا كثيراً من الكلمات الأعجمية مع وجود نظير لها بمعناها فى لغتهم العربيَّة . وقد لا يكون لها نظير . فوجود النظير لها الذى قد يغنى عنها لم يمنعهم من تعريبها ، ولم يحل بينهم و بين استعمالها .

و إذا ثبت أن المعرب الدخيل فى حكم العربى الأصيل كانا سواء فى صحة الاستعمال ، وفى وصف الفصاحة ، وفى كون الكلام المؤلف منهما فصيحاً .

وقد اشترط علماء البلاغة فى فصاحة المفرد خلوصه (١) من تنافر الحروف : فمستشزرات فى قول امرئ القيس « غدائره مستشزرات إلى العُلَى » غير فصيح . و (٢) من الغرابة : فكلمة مسرَّجاً فى قول الشاعر « وفاحماً ومَرْسِنا مسرَّجا » غير فصيح ، و يعنى بالمرسن الأنف . . و (٣) من مخالفة القياس اللغوى فقوله « الحمد لله العلىِّ الأجلَلِ » بفك الإدغام لضرورة الشعر — مكان الأجلِّ غيرُ فصيح .

وجعل بعضهم مدار الفصاحة على كثرة استعمال العرب للكلمة ؛ فمتى كانت الكلمة

كثيرة الدوران فى كلامهم كانت فصيحة . ولم يذكر الخلوص من الأمور الثلاثة المذكورة :
لأن الكلمة إذا لم تخلُص منها يبعد أن يكثر استعمالها وتداولها بينهم. فالعبرة فى الفصاحة عند
هذا البعض كثرة الاستعمال . وإذا أكثر العرب من استعمال كلمة أعجمية كانت فصيحة
ضرورة أنهم لم يشترطوا فى الفصاحة إلاَّ كثرة الاستعمال . ولما ذكر نُقَّاد اللغة الردىء
المذموم من اللغات مثَّلوا بالعنعنة والكشكشة والكسكسة والجعجعة ونظائر ذلك ، ولم يذكروا
قط أن تكون الكلمة أعجميةَ الأصل . ولم يمثِّلو بالمعرَّبات . وعلماء البلاغة أنفسهم لم يذكروا
فى فصاحة المفرد سوى خلوصه مما ذكرنا من الأُمور الثلاثة . ولم يذكروا أن لا يكون اللفظ
المفرد معرباً ، أو أن لا يكون له نظير أو مرادف فى اللغة العربية ويعدل عن نظيره إليه —
حتى إذا استعملنا معرَّباً فى كلامنا عُدَّ كلامنا غير فصيح . وحتى إذا عدَلْنا عن العربى
الأصلى إلى المعرب الدخيل كنا مسيئين إلى اللغة العربية ، وناكبين عن نهج الفصاحة فيها .

راع فى اللفظ المعرب — الخلوصَ من التنافر بحيث لا يعسر النطق به ، ومن الغرابة
بأن يكون مألوف الاستعمال . ومن مخالفة القياس بأن يكون على قانون الألفاظ المراعى عند
أهل اللغة . أو يقال راع فيه أن يكون مما أكثرت العرب استعمالهُ كما حققهُ بعضهم فى
فصاحة المفرد — ولك بعد ذلك أن تستعمله بلا إثمٍ ولا حرج .

ومن تجنَّس بالجنسية المصرية . وتوفَّرت فيه صفات الوطنىِّ الصادق — وجب على
الوطن المصرى أن يعدَّه من أبنائه . ويستعمله فى وظائفه . ويأتمنه على مصالحه . ولا يكون
بصنيعه هذا قد أساء إلى نفسه . أو إلى أبناء وطنه الأصليين . إذا دخلت فى لغتنا كلمة من
لُغات الأعاجم . ثم شاع استعمالها بيننا حتى خفَّت على الألسنة . وحلت فى الأسماع . فلم
تكن من حُوشىِّ المعرَّبات ولا مُعَقَّدِها ولا الغريب المشكل منها — جاز أن نستعملها فيما
نكتب أو نخطب . ولا نكون بذلك مخالفين لقوانين لغتنا . ولا آداب أدبائنا . وكان كلامنا
فصيحاً مونقِا . وعودُهُ غضًّا مورِقا .

ولا يحسن منا أن نُهمل تلك الكلمة أو ننعى على مستعمليها ثم نغوص فى أعماق
القواميس لأجل البحث عن كلمة فى العربية القديمة تقوم مقامها . قلنا لك آنفاً إن القول
المعتمد عند جهابذة اللغة وصيارف كلمها كسيبويه وأضرابه — أن مدار التعريب على

الاستعمال : فإذا استُعْمِلَت الكلمة الأعجمية بيننا أصبحت معرّبة . ثم أثبتنا لك أن المعرب في حكم العربي حتى صح أن تجرى عليه أحكامه . ثم ذكرنا لك أن علماء البلاغة لم يشترطوا في فصاحة المفرد خلوصه من العجمة — فمن بعد هذا كله لا ينبغي لك أن تقطّب ما بين عينيك في وجه الكلمات المعربة أو تسيء إليها بإهمالها . والإعراض عنها . والبحث عن كلمة عربية منسيّة سواها . إن كنت ولا بدّ فاعلاً فابدأْ قبل كل شيء بكلمات ورد . والماس . وباذنجان . ودرابزين . وعربون . ومسك . وناى . وأُترجّ . ولوبيا . وجاسوس . وخوخ . الأعجميات المعربات المحبّبات إلى الأذواق والأسماع ، واستعمل في كلامك مكانها حوجم . سامور . حدج . جَلْفَق . مسكان . مشموم . زمخر . مَتْك . دجر . ناطس . فِرسك . فإن هذه هي الكلمات العربية المحضة التي كان يستعملها أجدادنا[1] العرب قبل أن يظفروا بتلك الكلمات الأعجمية . فما بالهم جَفَوْها وعدلوا عنها إلى هذه الكلمات وهم أبرّ الناس بلغتهم وأحناهم عليها ؟ لو لم يعرفوا أن المعرّبات أصبحت جزءاً من أجزاء لغتهم . وفرداً من أفراد أُسرتها — لما جنحوا إليها . ولما عوّلوا في الاستعمال عليها : يعرفون أن في لغتهم الصَرَفان ومع ذلك استعملوا من الأعجمية كلمة ترادفها وهي الرصاص . ويعرفون البنايق . وقد تعرفوا بأعجميتها فاستعملوها أيضاً أعني الدخاريص . ويعرفون المِقْلى فاستعملوا أعجميتها وهي الطاجن . ويعرفون المِثْعَب وقد استعملوا أعجميته أعني الميزاب[2] . ويعرفون الفرصاد ولم يمنعهم ذلك عن النطق بأعجميته وهي التوت . وامرؤ القيس يعرف المرآة والوذيلة لكنه مع هذا لم يجد بأْساً في استعمال سجنجل فاستعلها في معلّقته التي كانت العرب تسجد لفصاحتها . وقال أبو العلاء المعري (إذا قيل لك اخش الله مولاك فقل آرا) و (آرا) كلمة فارسية بمعنى

(١) في كتاب الثقلاء لابن المرزبان (وهو مخطوط في دار الكتب الظاهرية بدمشق ما نصه (حدثنا أحمد بن زهير حدثنا يحيي بن أيوب حدثنا رجل عن شريك قال : كان رجل يتكلم عند شريك فيكثر فقال له شريك (كران كران سخت) أي ما أثقلك ما أثقلك اهـ . أقول وكلمة (كران) فارسية بمعنى ثقيل و (سخت) فارسية أيضا بمعنى قوى شديد ومنه جلد السختيان . وشريك قاضي الكوفة من أشهر قضاة السلف توفي في زمن هرون الرشيد سنة ١٧٧ هـ وقوله (كران كران سخت) ليس من موضوع كتابنا لأن القاضي تكلم بالفارسية ولم يقتبس كلمة فارسية ، وإنما ذكرناها استجماما للقارئ وترفيهاً عنه .

(٢) في المخصص (جزء ١٠ ص ٣٤) وعن الأصمعي الميزاب فارسي معرب تفسيره (كأنه الذي يبول الماء) وقد استعمله أهل الحجاز ومكة فقالوا صلّ تحت الميزاب اهـ . أقول : لكن في اللغة يوجد وزب بمعنى سال فيكون أصل ميزاب موزاب وتكون عربية . إلا أن يدعى بأن فعل وزب نفسه ولّده المولدون من ميزاب كما ولّدوا هندس من مهندس ؟

نعم . وسأل عليٌّ رضى الله عنه قاضيه شريحاً مسألة فأجابه بما سرَّه فقال له عليٌّ : « قالون » وهى معرَّبة عن الرومية ومعناها أحسنت[1] . ونقول اليوم فى مقامها « براڤو » . وهل تحسب أمير المؤمنين لم يعرف كلمة فى العربية تقوم مقام « قالون » حتى رأى نفسه مضطرًّا إلى استعمالها فى خطاب شريح ؟ وهل عزبت عن ذهنه يا ترى كلمات أصبتَ وأجدت وأحسنت ومرحى مرحى الخ وهو أمير البلاغة ، وحامل لوائها ، ومُشْرِع نهجها ؟ ولو كان استعمال المعرَّب مع وجود العربى مخلاً بالفصاحة ، أو مشوّهاً للكلام الفصيح لكان أحقّ ما روعى هذا فى كلام رب العالمين الذى بلغ فى الفصاحة والبلاغة مبلغاً «انحدر عنهُ السيل . ولم يرقَ إليهِ الطير» لا سيما والبلاغةُ والفصاحة فيهِ مقصودتان لمنزله سبحانه قصداً اقتضتهُ الحكمة فى التحدِّى والإعجاز ولأجل أن تحقّ الكلمة على العرب . ومع هذا كله فقد قال تعالى أرائك ولم يقل سُرُرا وجبت ولم يقل شيطان أو ساحر . على أن شيطان يونانية الأصل . ودُرِّىّ ولم يقل مُضىء . ويم ولم يقل بحر . وحصَب ولم يقل حطب ، وسَرِىّ ولم يقل نَهر . وفُوم ولم يقل حنطة . وقسطاس ولم يقل ميزان . وغَسَّاق ولم يقل بارد منتن . وسجّيل ولم يقل حجارة من طين . وصراط ولم يقل طريق . وطور ولم يقل جبل . وكل ما قاله سبحانهُ أعجمى دخيل . وكل ما سكت عنه عربى أصيل ، مع ملاحظةِ أن المسكوت عنه ليس بالحوشىّ أو المتنافر ، بل هو فصيح وقد استعمله القرآن نفسه . ولحكمة يعلمها الله تعالى ونكتة اقتضتها أرقى رتب البلاغة — عدل سبحانه عن العربى إلى الدخيل . ولعل الحكمة فى ذلك تنبيهنا معشر العرب إلى ما يجب علينا من العناية بالمعرَّبات ، والانتفاع بها والاستكثار من سوادها بين ظهرانى لغتنا ، فتحيي بها ، وتنمى ، وتصير صالحة لأن تلتحم مع مدنيات الأمم كافة . كما أن دين تلك اللغة أعنى دين الإسلام أُنزل ليكون دين الأُمم كافة . فإذا لم نتدبر تلك الحكمة ، ولم نُعْنَ بالتعريب ونفسح مجالاً للمعرَّبات على أسلات ألسنتنا ، وأسنان أقلامنا — كنا عاملين على إماتة اللغة ، أو وقوف نموّها ، كما أننا نحن الآن عاملون على إماتة الدين بعدم نشره بين الأمم ، ودعوتهم إليه بطرق الدعوة المعروفة ، وأساليبها المألوفة . ولبعض العلماء فى هذا المقام كلام نفيس يحسن نقله والاستشهاد به على صحة ما ذهبنا

---

(١) أو جيِّد وقد لقب بقالون أبو موسى عيسى المقرئ الذى لقبه به الإمام مالك . وتوفى قالون سنة ٢١١ هـ .

إليه من أن المعرّب الدخيل فى العربية قد يكون فصيحاً بل أفصح من غيره ولو كان هذا الغير عريقاً فى العروبة . قال :

إن قيل إن لفظ « إستبرق » (الوارد فى القرآن) ليس بعربى . وغير العربى من الألفاظ دون العربى فى الفصاحة والبلاغة—فنقول لو اجتمع فصحاء العالم وأرادوا أن يتركوا هذه اللفظة « إستبرق » ويأتوا بلفظ يقوم مقامها فى الفصاحة لعجزوا عن ذلك (وبعد أن ذكر وجه كون الفصاحة تستدعى اختيار كلمة « إستبرق » دون غيرها من الكلمات من حيث إن الفصاحة توجب ذكر ضربٍ من ضروب الحرير يكون الأثقل الأثخن قال) :فإما أن يُذكَر ذلك الضرب من الحرير بلفظ واحد موضوع له صريحٍ ، أو لا يذكر بمثل هذا ، ولا شك أن ذكره باللفظ الواحد الصريح أولى ، لأنه أوجز وأظهر فى الإفادة ، وذلك اللفظ الواحد هو «الإستبرق» . فإن أراد الفصيح أن يترك هذا اللفظ ويأتى بلفظٍ آخر لم يمكنه ؛ لأن ما يقوم مقامه إما لفظ واحد أو ألفاظ متعددة . ولايجد العربى لفظاً واحداً يدل عليه ؛ لأن الثياب من الحرير عرفها العرب من الفرس ، ولم يكن لهم بها عهد ، ولا وُضِع فى اللغة العربية للديباج الثخين اسم . وإنما عرّبوا ما سمعوا من العجم . واستغنوا به عن الوضع . لقلة وجوده عندهم ، ونزرة تلفظهم به — وإما أن يذكره بلفظين فأكثر ، ويكون حينئذ قد أخلّ بالبلاغة ؛ لأن ذكر لفظين بمعنى يمكن ذكره بلفظ — تطويل ؛ فعُلم بهذا أن لفظ « إستبرق » يجب على كل فصيح أن يتكلم به فى موضعه ، ولا يجد ما يقوم مقامه ، وأىُّ فصاحة أبلغ من أن لا يوجد غيره مثله . انتهى .

طائفة من معرب كلام الفصحاء

وقد مشى كبار البلغاء والكتاب على سنن القرآن الحكيم فى استعمال الكلمات الأعجمية المعرّبة فى كلامهم مع إمكان أن يجدوا أو يشتقوا لها مرادفا فى اللغة العربية : قال عدىُّ بن زيد الشاعر الجاهلى الكبير من قصيدة :

(أرقتُ لمكفهرٍّ بات فيه بوارق يعتلين رؤوسَ شِيب)

(تظلُّ المشرفيَّة فى ذَراه ويجلو صفح «دخدار» قشيب)

يقول إنه غلب عليه الأزرق لرؤيته فى السماء سحاباً أسود ، وكانت البروق تتهاوى فى رؤوس ذلك السحاب وهى بيضاء كأنها شائبة ، ثم شبه البروق تشبيهاً آخر فقال هى كسيوف مشرفيَّة تومض فى أعالى السحاب . ورجع إلى تشبيه السحاب فقال إنه يجلو ويبدى للناظر إليه صفحات ثوبٍ مصون جديد . فدخدار كلمة معربة عن الفارسية وهى بمعنى ثوب مصون ، وأصلها « تخت دار » وتخت بالفارسية الوعاء تصان فيه الثياب وهو الذى يسمى فى العربية صوان وصيان وعيبة . و« دار » أداة نسبة فى الفارسية كهى فى « دفتردار » . كأنه يقول ويُرينا ذلك السحاب صفحَ ثوب مصون .

وروى أبو عبيدة :

قد علمت فارسٌ وحميرُ والأعراب بالدَشْتِ أيّكم نزلا

الدشت[1] فارسى معرّب ، ومعناه الصحراء ، ومنه (دشت قفجاق) وهو اسم لصحراء كبيرة مشهورة فى بلاد الترك الأصلية . وقال امرؤ القيس : (ترائبها مصقولة كالسجنجل) والسجنجل المرآة وهى معربة . وقال آخر :

(ودوِّيَّة قفر تمشَّى نعاجها كمشى النصارى فى خفاف الأرندج)

الأرندج كلمة معرَّبة ، وهى اسم لضرب من الجلد أسود اللون أو المدبوغ بالعفص . وكان من عادة النصارى أن يتخذوا ذلك الضرب من النعال ، فالشاعر يصف ظِبَاءَ الدويَّة وهى الفلاة بأن مشيها بأظلافها السوداء كمشى النصارى فى خفافهم السود . وقال آخر :

(إنما الذلفاء ياقوتة أُخرجت من كيس دهقان)

والدِهقان فارسية الأصل ومعناها التاجر ورئيس القرية ، وهو ما يسمى فى مصر بالعمدة ، وقال ابن قيس الرُقيَّات :

(تـكنُّه خِرقة الدِرَفْسِ من الشمس كليثٍ يفرِّجُ الأَجَمَا)

« الدرفس » على وزان قِمَطْر العَلَم الكبير . وهو فارسى معرب درفش بالشين المعجمة ، وأصله اسمٌ للواء كبير خاص ، كان مقدساً فى نظر الفرس ، ويسمونه « درفش كاويان »

(١) هذا أصل اللفظ بالفارسية وقد نطقوا به كما سمعت . ونطقوا به بالسين المهملة أيضا وهو مقتضى التعريب ففى المخصص (جزء ١١ ص ١٦٢) مانصه (أبو حنيفة : الغُملول بقلة دستية تبكر فى أول الربيع ويأكلها الناس . قال ابن سيده : ويعنى بالدستية الصحراوية لأن الدست الصحراء بالفارسية اهـ) .

وكاويان اسم حَدّاد ، ولهذا الحداد ولوائه قصــة مشهورة فى تاريخ الفرس القديم ، وقد عناه البحترى فى قوله من قصيدته السينية التى وصف بها إيوان كسرى والصُوَر التى فيه :

(والمنـــايا مواثــلٌ وأنوشر وان يُزْجِى الصفوفَ تحت الدِرَفْسِ)

وقال أحد أحفاد المهلَّب يفخر به :

(أنا ابنُ المهلَّب ما فوق ذا لِعــالٍ إلى شرَفٍ مرتقى)

(قريعُ العـــراق و بِطْرِيقُهم وعزُّهمُ المرتجى المتَّــقى)

والبِطريق معرب ، وأصلهُ القائد الـكبير من قواد الروم .

وقال المتنبىُّ :

(بياض وجه يُريك الشمس حالـكةً ودرُّ لفظ يُريك الدرَّ مُشْخَلبا)

والمُشْخَلب كلمة معرَّبة ومعناها أردأُ الخرز .

وقد استعمل ابن خـــلدون — وكفى به حجة فيما يحسن بلاغة وما لا يحسن — كلمة برنامج وغيرها من كلمات الأعاجم فى مقدمتــه المشهورة ، و برنامج يقرب معناها من معنى فهرست ونموذج الفارسيتين . وشدَّ ما استعملهما كبار الـكتاب و بلغاء المصنفين فى كتاباتهم ، وتستعمل فى معناها من العربية كلمة « مثال » . ور بمـا كانت كلمة « برجرام » الإفرنكية التى عربها المعاصرون مما يُعطى معنى برنامج ونموذج ، ومعناها فى الأصل بيان و إعلان .

وقال الجاحظ فى كتابه البيان والتبيين : « وحين صار المال فى أيديهما قصدا بعض الـكرابج فابتاعا من الطعام ما اشتهيا » ، فقوله الـكرابج جمع (كُرْبُج) على وزان برثن ، وهو فارسى معرّب ، ومعناه الحانوت أو المتاع الذى يكون فى حانوت البقّال من خبز وجبن ونحوهما . والظاهر من كلام الجاحظ أنه يعنى المعـنى الأول وهو الحانوت ، والجاحظ لم يرَ فرقا فى الاستعمال بين الـكرابج الأعجمية والدكاكين والحوانيت العربيتين . على أن كلمة الحوانيت نفسها سريانية لا عربيــة ، ولم يرَ أن الـكرابج مخلَّةٌ بفصاحة كلامه ، ولذلك استعملها ولم يخش عارها . والفقرة المذكورة من جملة قصة عن أعرابيين كانا يمشيان فى بعض أسواق المدن ، وكان اسم أحدهما حيدان ، فأَوطأَ فارسٌ دابَّته إصبع حيدان فقطعها . فأخذ الأعرابيان بتلابيب الفارس ، حتى أدى إليهما أرش الإصبع . فذهبا بالمال إلى بعض

« الكرابج » ولما أكل رفيق حيدان وشبع جعل يتغنى ويقول :

(فلا غَرَثٌ ما كان فى الناس كُربج   وما بقيت فى رجل حيدان إِصبعُ)

الغَرَث الجوع . والكربج الحانوت كما قلنا . فانظر إلى الأعرابى كيف استعمل الكُربج المعربة ولم تأنف عروبته من عجمتها ، ومثله فى ذلك أبو الغطمش الحنفى فقد قال يهجو امرأته :

(مُنيت بِزَنْمَرْدَةٍ كالعصا   ألصّ وأخبث من كندش)

(كأن التآليل فى وجهها   إذا أسفرت بَدَدُ الكشمش)

فقوله « زَنْمَرْدة » كلمة فارسية مركبة من كلمتين « زن » مرأة و « مرد » رجل ، ركبتا وجعلتا كلمة واحدة ، توصف بها المرأة المترجلة ، وقد أصبحت كالكلمات العربية . ولذلك أجرى عليها أبو الغطمش حكمها ، فأدخل عليها تاء التأنيث التى تفيد معنى الوحدة ، ولعل الوحدة هى المرادة هنا لا التأنيث . يقول أبو الغطمش إنه ابتُلى بامرأةٍ مترجلةٍ أشدَّ خبثاً ، وأكثر لصوصية من (كندش) . وكندش أحد لصوص العرب ، وهو أيضاً اسم للعقعق الطائر المشهور بالسرقة والخبث . والكشمش فى البيت الثانى كلمة معربة أيضاً ، وتطلق على ضرب من العنب أو الزبيب صغير الحب لا عَجَمَ له ، ويسمى فى بلاد الشام اشلميش، ولعله محرف عن كِشمِش ويسمونه فى مصر الزبيب البناتى . وقال آخر يصف ديوكا :

(كأن أعرافها من فوقها شُرَفٌ   حُمْرٌ بُنين عَلَى بعض الجواسيقِ)

(كأنها لَبست أو أُلبست فَنَكا   فقلّصت من حواشيه عَلَى السوقِ)

والجواسيق جمع جوسق وهو القصر ، ويسمى اليوم الكُوشك وهو أصله الفارسى . والفَنَك ضرب من فاخر الفراء ، وكلتاهما أعجميتان . ووصف آخر امرأة فقال :

(ذَقَنٌ ناقصٌ وأنفٌ غليظ   وجبينٌ كساجة القسطار)

الساجة القطعة من خشب الساج ، والقسطار الصيرفى أعنى الصَرّاف الذى يَنْقُد الدراهم ، وهى كلمة معرّبة دخيلة . ومثل كلمة (الكرابج) التى ذكرها الجاحظ فى كتابه « البيان والتبيين » كثيرٌ فى كلامه وكتبه : من ذلك قوله فى كتابه « البخلاء » عن لسان بخيل : « اشتكيت أياماً صدرى من سعال كان أصابنى ، فأمرنى قوم بالفانيذ السكرى ، وأشار علىّ آخرون بالحريرة تتخذ من الشاهنج والسكّر ودهن اللوز وأشباه ذلك ، فاستثقلت

المؤونة ، وكرهت الكلفة ، ورجوت العافية . فبينا أنا أدافع الأيام ، إذ قال لى بعض الموقَّين : عليك بماء النخالة فاحسُه (اشربه) حارًّا . فحسوت . فإذا هو طيب » فقوله الفانيذ والشاهنج والسكر واللوز كلها كلمات أعجمية عربوها ، ولم يأنف أكبر بليغ قام فى العرب من استعمالها و إيداعها كتبه ؛ ذلك لأن تلك الكلمات المعربة بعد أن تعارفوا عليها وتداولوها بينهم وصقلتها ألسنتهم بالاستعمال — أصبحت عربية كسائر الكلام العربى . ويشترط لتناولها وصحة استعمالها ما يشترط فيه هو مما ذكرناه لك آنفاً : خذ مثلاً كلمة (الجُوالق) فإنها معربة عن « چوال » بالجيم الفارسية . والعامة تقول له شوال بالشين العربية . ويسمى فى الفصيح « غرارة » والغرارة و إن كانت فصيحةً صحيحةَ النسب لا تضارُّ كلمة (الجوالق) المعربة ، ولا تقضى عليها ، بل إن منزلتهما فى نفوس الفصحاء واحدة ، وحظهما فى الاستعمال سواء . قال الشاعر يصف امرأة :

(وهى شوهاء كالجوالق فوها مستجافٌ يضِلُّ فيه الشكيم)

يقول إنها دميمة ، وفمها كالغِرارة (الزكيبة) وهو مستجاف أى متسع ، مشتق من الجوف . والشكيم الحديدة تكون فى فم الفرس .

وقال أبو الفتح البستى :

(لا تُنكرنَّ إذا أهديتُ نحوك من علومك الغُرّ أو آدابك النُتَفَا)

(فقيّمُ الباغ قد يُهدِى لمالكه برسم خدمته من باغه التحفا)

والباغ ليست عربية و إنما هى تركية أو فارسية ، ويُلحق الأتراك بها أداة التصغير «چه» فيقولون « بغچه » أى حديقة أو بستان صغير .

وقد استعمل ابن المقفع فى كتابه (كليلة ودمنة) كثيراً من الكلمات الأعجمية مثل « بازيار » مربّى البُزاة ، و « سِرجين » الزبل ، « وفَيْج » رسول السلطان القادم على رجليه ، و « أساورة » جمع أسوار لمن يحسن الرمى . وكل هذه الكلمات فارسية . وكلمة « نيلوفر » اسم للزهر المعروف وهى رومية .

ومن الغريب أن ابن سينا كان حريصاً على الكلمات العلمية الأعجمية والاحتفاظ بأصلها ولو ترجمها إلى العربية ، كقوله فى قانونه « فصلٌ فى قملة النسر ، المسماة دذه بالفارسية وصملوك باليونانية وطفانوس بالهندية » .

ومن تصفح المعاجم ودواوين اللغة العربية وجد فيها كثيراً من المواد تحسبها أوّلَ وهلةٍ عربيةً لكثرة ما تداولتها ألسنة العرب ، وجرت فى مجارى كلامهم ومسارب أحاديثهم ، ثم لا تلبث أن تجدها أعجمية : ففى مادة « طرز » يقولون — الطراز علم الثوب والجيد من كل شئ ، وهو فارسى معرب عن « تراز » بالتاء ، ومعناه بالفارسية التقدير المستوى . فجعلت التاء طاء ، وقد جاء فى الشعر العربى . قال حسان بن ثابت رضى الله عنه :

(بيض الوجوه كريمة أحسابهم شُمُّ الأنوف من الطراز الأوّل)

وفى مادة « طنز » الطنز السخرية ، وطنز به سَخِر وكلَّمه باستهزاء ، فهو طنَّاز . قال الجوهرى أظنه مولداً أو معرباً . وفى نوادر الأعراب « هؤلاء قوم مَطْنَزَة » إذا كانوا لا خير فيهم ، هيِّنة أنفسهم عليهم . والعامة اليوم يقولون « مَسْخَرة » فى مقام « مطنزة » ، وهى هى وزناً ومعنى .

ويقولون فى مادة « بوص » البُوصىُّ ضرب من سفن البحر وهى كلمة معربة . قال الأعشى(١) :

(مثلُ الفراتىِّ إذا ما طَمَا يقذف بالبوصىِّ والماهر)

ويقولون « دخريصُ » القميصِ — ما يوصل به بدنه ليتسع ، وهو فارسى معرب ، جمعه دخاريص ودخارص . قال الأعشى (كما زدتَ فى عرض القميصِ الدخارصا) والدِخريص فى العربية البنيقة ، جمعها بنايق ، والقميص نفسه معرب لا عربى ، ويقولون

---

(١) وقال الأعشى أيضا :

(لنا جُلُّسان عندها وبنفسجٌ وسِيسَنْبرٌ والمرزجوش منمنما)

أسماء هذه الأزهار الأربعة فارسية . وجلسان نثار الورد فى المجلس — والورد الأبيض وضرب من الريحان كما فى التاج .

وقال أيضا يصف الثور — جلده وأظلافه :

(عليه ديابوذٌ تسربل تحته أرندج إسكاف يخالط عظلما)

(الديابوذ) جمع ديبوذ وهو ثوب حيك على نيرين أى لحمتين معرب (دوپوذ) .

وقال الأعشى أيضا فى الملك النعمان الذى مات فى سجن كسرى :

فذاك وما أنجى من الموت ربه بساباط حتى مات وهو محزرق)

قال ابن قتيبة فى أدب الكاتب (محزرق) بمعنى محبوس وهو فى اللغة النبطية هرزوقا اهـ . وقوله (محرزق) بتقديم الراء على الزاى كما يرويها أبو عمرو الشيبانى ، أما أبو زيد الأنصارى فيرويها محزرق بتقديم الزاى وتأخير الراء . قال التوزى : قلت للأنصارى : إن الشيبانى يقول إنها بتقديم الراء فأجابنى إن الكلمة نبطية وأم الشيبانى نبطية : فهو أعلم بها منا اهـ ملخصا من التاج .

« الإِصْطَفْلينة » على وزن «جِردحلينة» وهى الجزرة التى تؤكل ، وهو لفظ فارسى معرب . قال معاوية بن أبى سفيان فى كتاب له إلى ملك الروم : « لأنزِعنَّك من ملكك نزعَ الإصطفلينة ، ولأردنَّك أريسا من الأرايسة ترعى الدوابل » الدوابل الخنانيص وهى صغار الخنازير ، واحدها دوبل . خصَّها بالذكر لأن راعيها أوضع من راعى الكبار . أما الأريس على وزن أمير فهو لفظ دخيل ، ومعناه فى لغة أهل الشام الأكَّار ، وهو الفلاَّح أو الحرَّاث ويجمع على أرايسة . ويروى إرِّيساً على وزان سِكِّيت ، ويجمع حينئذ على أرارسة . وقد وردت هذه الكلمة على اختلاف روايتها بصيغة جمع المذكر السالم فى كتاب النبى صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ملك الروم : « فإن توليتَ فإنما عليك إثم الأريسيين » جمع إريس بالتشديد والتخفيف . وقال بعض شرَّاح الحديث إن الأريسيين نسبة إلى « الآريوسية » وهى طائفة من طوائف النصارى اه . أقول إذا كان ذلك كذلك فأول ما يقع فى الخيال أن أتباع هذه الطائفة هم الآريوسيون الذين ينتمون إلى « آريوس » وهو الذى قال بالوحدانية ، وأنكر ألوهية المسيح . فالتأم ضد آرائه المجمع المسكونى الأول بأمر قسطنطين الكبير فى نيقيه سنة ٣٢٥ م ، فقرر عقيدة التثليث ، وعمل على نشرها . وحمل الكافة عليها ، وحكم على أريوس بالهرتقة ، وهى ما يعبّر عنه المسلمون بالزندقة[(١)] .

وهكذا ترى فى الحديث وأقوال فصحاء العرب جاهليةً وإسلاماً كلمات كثيرة . تحسبها عربية . وليست هى سوى أعجمية تسرَّبت إلى ألسنة أهل اللغة بواسطة المعاملة والمخالطة ، كما يتسرب إلينا فى هذا العصر كثير من الكلمات الأفرنجية . ثم تصقلها ألسنتنا ، وتألفها آذاننا ، وتشيع بيننا ، فلا نعود نتوقف فى فهمها . ومن الجمود والمكابرة أن نصادر تلك

(١) وفى كتاب المحاسن والأضداد المنسوب للجاحظ فى (باب المفاخرة وضدها) ما نصه : (قيل اتخذ يزيد بن المهلب بستانا فى داره بخراسان فلما ولى قتيبة بن مسلم مكانه فى ولاية خراسان جعل البستان مراحاً أو معطنا لإبله . فقال له مرزبان مرو : هذا المكان كان بستاناً وقد اتخذته معطنا لإبلك ! ! ! فأجابه قتيبة : أبى كان «أشتربان» . وكان أبو يزيد «بستانيان» فنها صار ذلك كذلك اهـ . و «أشتر» معناه بعير أو جمل و (بان) أداة تدل على صاحب الصنعة فأشتربان معناه جمال و (بستانيان) بستانى . ويقال أيضا (باغبان) و (بغجه بان) . وهكذا نرى العربى القح قتيبة لم يستنكف من استعمال كلمتين فارسيتين ما دام يعلم أن كلامه بجملته عربى وأسلوبه أسلوب فصيح عربى . فكلمة أو كلمتان غير عربيتين لا تفسده ولا تحط من قدره ولا سيا إذا كان الخطاب لفارسى ؟ فيكون للمقامات دخل فى استعمال هذه الكلمات الأعجمية طبقاً لما قاله علماء البلاغة من أن لكل مقام كلاما .

الـكلمات ونحاربها بكل قوة لدينا ، مما لم يفعله أجدادنا الأولون ، بل كانوا يرحِّبون بأمثال تلك الـكلمات الدخيلة فى لغتهم ، كما يُرحِّبون بالطوائف الداخلة فى ملَّتهم وطىّ جنسيتهم .

المولَّد

يعنون بالمُوَلَّد ما لم يعرفهُ أهل اللغة ولم ينطقوا بهِ من الـكلام ، و إنما استعمله المولدون وجرَوْا عليهِ فى منثورهم ومنظومهم . والمولدون ليسوا من أهل اللغة الذين يحتج بهم فى إثبات كلمها وصحة صيغها ، ولا يحتج فى ذلك إلاَّ بكلام الجاهلى أو المخضرم الذى عاش فى الجاهلية والإسلام كلبيد الشاعر الذى يقول :

(ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هـذا الناس كيف لبيد)

سمى مخضرماً تشبيهاً لهُ بالناقة المخضرمة ، وهى التى قطع طرف أُذنها . والمخضرم قد اقتطع طرف من عمره ، لأن عمر الشرك لا اعتداد به .

هاتان الطبقتان : الجاهليون والمخضرمون هم الحجة فى اللغة . أما الطبقة الثالثة وهم المولدون الذين وُلِدوا وعاشوا فى الإسلام فإذا نطقوا بكلمة ، أو أتوا بتركيب لم يعرفه الجاهليون ولا المخضرمون قيل له مولد ، فلا يحتج به ، ولا يقاس عليه ، وكثير من الـكلمات تدور على ألسنة الفصحاء ، فتحسب فصيحة وهى مولدة ؛ مثـل اكتنه الشىء إذا عرف كنهه وحقيقته . ويرجع التوليـــد فى الـكلمات المولدة إلى ثلاثة طرق (١) طريق الاشتقاق (٢) طريق التعريب (٣) طريق الاستعمال التشبيهى :

(الأول) أن يشتق المولدون كلمة من مادة عربية يعرفها أهل اللسان لـكنهم لم يعرفوا الـكلمة المذكورة ولم يشتقوها . مثال ذلك كلمة «فسقية» للحوض الصغير الذى له أنبوبة فى وسطه ينبثق منها الماء ويخرج بقوة . وقد اشتق لها هذا الاسم من مادة الفسق ، وهو فى اللغة بمعنى الخروج . ومنه سمى الفاسق فاسقاً لأنه خارج من طاعة الله . وسميت الفسقية بذلك لأن المـاء يخرج منها . فمادة الفسق عربية ، وأما ما اشتق منها أعنى الفسقية فمولد لا يعرفه العرب .

وقال بعض الفضلاء إن الفسقية لفظة لاتينية أصلها فسقينا (Fiscina) فتكون مولدة بطريق التعريب ، لا بطريق الاشتقاق . ومن المولد كلمة « عَرْقيَّة » لمـا يلبس على الرأس

تحت الطربوش وقاية له من العَرَق ، ويمكن أن تكون منسوبة إلى العِراق حيث اتخذت أو اصطنعت أولاً فيكون أصلها عراقية . كما سموا الكوفية كوفية نسبة إلى بلدة الكوفة .

ومن المولد الاشتقاقى كلمة المخرقة ، بمعنى اللعب والمزاح ، مشتق من المخراق ، وهو منديل يلفُّ و يلعب به . فالمخراق يعرفه العرب ، وأما المخرقة فلا يعرفونها ، و إنما هى مما استحدثه المولدون . ومنه « المزوَّرة » مرقة تطبخ للمريض خالية من الأدهان ، وهى مشتقة من مادة الزور وهو الكذب والبهتان : لأن تلك المرقة تشبه الطعام وليست هى بطعام . ومنه «ماهية» الشىء : يعنون كنهه وحقيقته مشتق من « ما هو » : الأصل عربى ، أما الاشتقاق فمولد . ومنه « صينية » . للوعاء المعروف وهى — إن لم تكن منسوبة إلى الصين — فمشتقة من مادة الصون لأنه يصان ما يوضع فيها ، والعرب لا تعرف الكلمة ، و إنما تعرف الصوان والصيان لما يصان فيه الثوب .

ومنه « مقطف » للوعاء الذى يوضع فيه ما يقطف من الفواكه والأثمار . لا تعرفه العرب ، و إنما كانوا يعرفون القطف . ومنه « مبوسر » لمن كان به بواسير . المادة معروفة عند أهل اللغة لكن اشتقاق هذه الصيغة مجهول لديهم ؛ وهم إنما يسمونه مبسوراً . ومنه « بارية » للحصير مولدة . والعرب تعرف مادتها على غير هذه الصورة ، فيسمون الحصير « بارى » و « بورى » . ومنه « بارود » للمادة الملتهبة المعروفة ، مشتقة من مادة البُرادة ، وهى السُحالة التى تتحاتّ بسبب حك المبرد . سمى البارود بارودا لشبهه بها . ومن المولد كلمة « تلاشى » نحتوها من لا شىء . الأصل عربى . والاشتقاق مولد . ومنه « غيط » من مادة الغائط والغوطة ، وهى الأرض المنخفضة ، فالغيط ليست من كلام العرب ، و إنما هى من صنيع المولدين ومشتقاتهم . ومن ذلك كلمة « العائلة » ، المادة عربية ، أما هذه الصيغة بهذا المعنى فلم تكن معروفة للعرب . ومن ذلك قولهم لمن مارس الشعر وحذق العلوم العربية وأخبار العرب « أديب » وأطلقوا على علومه هذه « علوم الأدب » . هذا الاشتقاق لاتعرفه العرب بهذا المعنى ؛ و إن كان الأدب معروفا عندهم ومن مواد لغتهم ، ويريدون به حسن الطباع ومكارم الأخلاق . ومن المولد الاشتقاقى كلمة « عربة » وهو اسم لمقعد ذى عجلات يسير بواسطة جر الدواب له . المادة عربية . أما الاشتقاق والصيغة فلا يعرفهما العرب ، و إنما هو من صنيع المولدين . ولماذا سموها عربة ؟ كان أهل الجزيرة يطلقون اسم العربة على

ضرب من سفنهم يجرى فى دجلة بواسطة دولاب يشبه الرحى يدور بقوة الماء الجارى . فلعل اسم عربة الدواب مقتبس من اسم عربة الماء هذه . ومن معانى العربة فى اللغة النهر الشديد الجرية ؛ فقد يقال إن عربة الدواب سميت بالعربة تشبيهاً لها بذلك النهر . واعلم أن مادة «عرب» ومقلوبها برع وعبر و بعر ورعب كلها تدل على الانتقال من مكان إلى مكان أو من حالة إلى حالة ؛ هذا الذى يعرفه العرب ، ولما عرف المولدون العربة ، ورأوها تسير وتنتقل من مكان إلى آخر اشتقوا لها من مادة عرب « عربة » .

(والثانى) الكلمات المولدة بطريق التعريب : وهو أن ينقل المولدون إلى لغتهم العربية كلمة من لغة أعجمية لم يكن يعرفها أهل اللغة العربية من قبل ، فهى معربة ، لكنهم يخصُّونها باسم مولدة للتفرقة بينها و بين الكلمات التى عرَّبها العرب أنفسهم : مثل كلمة « ماهية » التى يراد بها المرتب يتناوله الموظف أو المستخدم فى آخر كل شهر . هذه الكلمة مولدة من أصل فارسى : فإن « ماه » بمعنى شهر فى الفارسية ، والماهية نسبة إليه ، أى شهرية كما يقولون أحيانا . لكن هذا التعريب لم يجر على ألسنة العرب ، و إنما جرى على ألسنة المولدين ، ولذلك اعتبروا كلمة ماهية مولدة ، وهى فى الواقع ونفس الأمر معربة أيضاً . فكما أن الكلمة التى اشتقها المولدون مثل «تلاشى» و«مزورة» يضنون عليها بلقب المشتق مع أنها مشتقة — كذلك الكلمة التى عربوها من لغة أعجمية لا يسمونها معربة ، و إنما يسمونها مولدة للتفرقة بينها و بين ما عرَّبه العرب أنفسهم . ومن المولد عن طريق التعريب كلمة « قصطل » وهو معرب كستانة ، ثمر معروف يسمى « شاه بلوط » . ويقال له فى مصر « أبو فروة » . ومما عربه المولدون ولم يعرفه العرب كلمة « دبُّوقة » الذوآبة تجدلها الفتاة وترسلها على ظهرها ، وهى معربة عن دنبوقة ومنها « باسه يبوسه » يريدون قبَّله ، عربه المولدون عن الفارسية من مصدر « بوسيدن » ولا يعرفه العرب . ومنه « بازهر » معرب بادزهر ، وهو حجر كريم ، وأشهر خواصّه أنه ترياق للسموم شرباً ووضعاً على الجرح ، وأشهر ألوانه الأخضر قال الشاعر :

كأنما الزيتون حول النهر بين رياض زُخرفت بالزهر
عِقد زمرد هوى من نحـر أو خرزٌ خُرِطن من بازهر

شبه الزيتون الأخضر بخرزات اتخذن من ذلك الحجر الأخضر ، و باعة الليمون

الحامض فى مصر ينادون عليه « بان زهر » وهو محرف عن بادزهر . فهل يعنون تشبيهه بالبادزهر فى اللون ، ولا سيما أن حجم الليمون الصغير المسمى بالبلدى يساعد على هـذا التشبيه كما شبه الشاعر الزيتون به فى البيتين المذكورين . أو أن الباعة يريدون إلقاء الفال فى الخيال ، فيوهمون أن عصـير الليمون الذى يبيعونه كالبازهر : فى أن كلاً منهما ترياق للسموم وأنه ناجع فى الشفاء من الأدواء والأسواء .

(والثالث) من الكلمات المولدة ما استعمله المولدون على طريق التشبيه والـكناية . وقد سميتُه مولداً بطريق الاستعمال التشبيهى لأنه لم يشتق من مادة لغوية اشتقاقاً ، ولم ينقل عن أصل أعجمى تعريباً ، وإنما هو كلمة أو تركيب كان أهل اللغة يستعملونه فى معنى . ثم جاء المولدون ونقلوه إلى معنى آخر واستعملوه فيه ، لما لاحظوه من وجود الشبه بين المنقول والمنقول إليه تارة ، ولقصد الـكناية تارة أخرى : مثاله « القَطْر » كان العرب يستعملونه فى معنى المطر . أما المولدون فإنهم استعملوه فى هـذا المعنى وفى السكَّر المذاب والمغلى على النار . وهذا الاستعمال الأخير لم يعرفه العرب . وتوليده لم يكن بطريق الاشتقاق ، ولا بطريق التعريب ، وإنما كان بطريق النقل التشبيهى : أى أن ذلك السكر يحكى قطر السماء فى الصفاء واللألاء .

ومن هذا القبيل كلمة « قطائف » جمع قطيفة وهى دثار مخمل . هذا ما تعرفه العرب . أما المولدون فلما رأوا ذلك الضرب من الخبز الذى يصنعون منـه نوعا من الحلوى — مشابهاً لثوب القطيفة فى خمله ولينه سمّوه قطائف ، فالقطائف بهذا المعنى مولد .

ومن هذا النوع قولهم « منخطف اللون » لمن تغـيَّر لونه بسرعة ، فـكان كأنه خطفه خاطف . والعرب لم تقله وإنما ولده المولدون . ويشـبه أن يكون من هذا الضرب قولهم : « ملائكة الأرض » يعنون بهم أهل العراق للطفهم وظرفهم . قال الشاعر :

(ملائكة الأرض أهل العرا ق وأهل الشآم شياطينها)

العرب لم تعرف هذا الاستعمال ، وإنما أبدعه المولدون . ويشبه هذا تسمية القاضى الفاضل لحمام الزاجل — الذى يأتى الملوك بالرسائل وأخبار الأقاليم — ملائكة الملوك .

وإذا عددنا أمثال هذين التركيبين فى المولد فالمولد لا يحد ، ولا ينفد له عد ، كما لا يخفى على من كان له حظ من الاطلاع على دواوين الشعر ، وابتكارات المتأدبين . ومن المولد

بطريق الاستعمال التشبيهى قولهم « تملّق » الماء إذا جرى وسال ، وهو فى هذا المعنى مولد لا يعرفه العرب ، وإنما هم يقولون تملق الرجل إذا تزلّف وتودد وتلطف ، ولما كانت حالة الماء[1] فى سيلانه تحكى حالة المتودد المتلطف سمى المولدون سيلانه تملقاً قال الأُندلسى :

(وكان بمصر السحر قِدْمًا فأصبحت وأسحارها أشـــجارها تترقرقُ)

(ويعجبنى منهـــــا تملُّق أهلها وقد زاد حـــتى ماؤها يتملّقُ)

ومن ذلك إطلاقهم « بغلات » على ضرب من جوارى الرقيق تُنتَج بين جنســين : الصقالبة وجنس آخر ، وهى مما يُتَّجَر به قديماً فى مصر . وتسمى الواحدة منها بغلة ، لأن كلاً منهما متولد بين جنسين .

وكلمة « بدرى » كان العرب يسـتعملونها فى الغيث يهطل قبل فصل الشتاء : يقولون غيث بدرى ، ثم استعمله أهل مصر فى كل شئ حدث قبل أوانه حتى الوقت والفاكهة ، ويقولون لمن أراد الانصراف « بدرى » أى أن انصرافك أحدثته قبل أوانه .

ومنه قولهم للنمام الذى ينقل الحديث « آذان الحيطان» ويقولون « إن للحيطان آذاناً » . ومما نقله العرب عن أصلهِ واستعملوه فى معنى كنائى قولهم « أبناء السكك » و « أبناء الدهاليز» و « تربيــة القاضى » يريدون بذلك أولاد الزنا وأراذل الناس وخشارتهم . وكلمة قرنان لمن لا يغار على أهله مأخوذة من مادة « القرن » : إشارة إلى أنه حيوان يصلح أن يكون له قرنان ، والعرب لا تعرف شيئاً من ذلك ، وإنما هو من مواضعات المولدين واستعمالاتهم التى اعتمدوا فيها التعريض والـكناية .

و « جيبُ » القميص طوقهُ ، حيثُ يُدخل الرأس ، واستعماله فيما يكون على جنابتى الثوب حيث يضع المرء دراهمه وأشياءه مولد لم يعرفه العرب .

وفى الـكلمات التى أحدثها المولدون ما كان طريق إحداثه التحريف عن أصله العربى الصحيح : كالست للمرأة ، محرّف عن سيدة ، وكالسَّبَت المحرّف عن سفط . قال فى القاموس السفَط وعاء كالجوالق (الزكيبة) أو كالقفَّة ، والعامة فى مصر يسـتعملون السبت

---

(١) وقد قال أحد شعراء الهند شعراً مآله (لا تنخدع بتملق العدو لك فإن الماء الذى يجرى فى أسفل الجدار يتملق له ويقبِّل قدميه لـكنه فى الحقيقة إنما يعمل على تقويضه ودكّه من أساسه) .

فيما يشبه الأخير . ويراد بالسبَت فى بلاد الشام الصندوق من جلد متين يضع فيه المسافر أمتعته وثيابه ، ويسميه المصريون شنطة ، ولعلّ العيبة عند العرب بمعنى ذلك ؛ فقد قالوا فى تفسيرها إنها «مستودع الثياب» ؛ على أن السفط بالفاء كانوا يستعملونه قديما فى الوعاء الذى يستودع الطيب والحلى والذخائر النفيسة ، لا الأشياء التافهــة الحقيرة ، وقد قال لى بعض علماء الفرس إن كلمة « سبَت » بالباء فارسية الأصل ، وليست محرّفة عن سفط العربية . وقال إن أصلها الفارسى (سبد) بالدال ، ومعناهُ عندهم وعاء يتخذ من أغصان الأشجار أو دقاق العيدان ؛ فالسَّبَت معرّب سَبَد ، لا محرف سفط ، ولعل هذا هو الأصح(١) .

وبالجملة فإن المولَّد وضروبه وشُعَب استعمالاته كثيرة جدًّا ، لا يمكن الإحاطة بهـا . أو تصويرها لذهن القارئ ، مالم يعرض عليه جميع ما نظمه المولدون وكتبوه ، فإنه لا تـكاد تخلو قصيدة من منظومهم ، ولا مقالة من منثورهم — من كلمة أو كلمات مولدة اشتقاقاً أو تعريباً ، ومن تركيب تشبيهى أو كنائى اصـطلحوا عليه وزينوا كلامهم به ، ولم يعرفه أهل اللغة ، ولم ينتبهوا إليه .

المحدث أو العامى

واعلم أن ما سميناه مولداً كان يحسن بنا أن نميِّز بينه ، ونقسمه إلى قسمين مولد ومحدث ، تبعاً لانقسام الذين وجدوا بعد الإسلام إلى مولدين ومحدثين : فالمولدون من كانوا فى صدر الإسلام ، والمحدثون من عاشوا بعدهم إلى عصورنا هذه ، وما أحدثه هؤلاء المحدثون فى كلامهم من الـكلمات والتراكيب والاصطلاحات كان يسميه الأدباء « محدثًا » ؛ تمييزاً له عن المولد ، ونسميه نحن اليوم « عاميًّا » غير أن تتبُّع الـكلمات التى نشأت فى الإسلام وتمييزها وإرجاع بعضها إلى زمن الصدر الأول ، وبعضها إلى الزمن بعده — من الصعوبة بمكان ، وهو ممـا يحتاج إلى بحث وتنقيب . وقلما يمكن للفرد أن يستقل بهذا العمل ، ويتيسر له الإحاطة به ، وإنما يتيسر للمجامع العلمية واللغوية التى تخدم اللغة وآدابها ، وتبحث فى موادها وجميع

(١) أو لعل (سفط) نفسها معربة من (سبت) وسبت معربة من (سبد) فتكون سبد الفارسية هى أصل الـكلمتين . وفى معجم (كنز لغات) أن سپت بالباء ذات الثلاث النقط فارسية بمعنى القفّة كالسبد بالدال ، إذ أن التوليد فى سبت إنما هو فى إبدال الباء الموحدة بالباء المثلثة .

مفرداتها أصلية أو دخيلة ، بحثا تحليليا تاريخيا ، فتعرف معدن الكلمة ، ومن أية لغة نبتت ، والزمن الذى نشأت فيه ؛ ثم كيف جعلت تنتقل من طور إلى طور فى الاشتقاق والصيغة والاستعمال ، حتى وصلت إلى آخر عصورها .

وما قلناه فى المولد من أن طريقة توليده تكون تارة الاشتقاق ، وطوراً التعريب ، وآونة الاستعمال التشبيهى أو الكنائى يقال مثله فى المحدث أو العامى ، فكم من كلمة عامية تسمعها على ألسنة الخاصة بَلْهَ العامة ، ويكون أصلها من اللغات الأعجمية ، أو تكون مشتقة من أصل عربى فتصرّفوا فيها ، وغيَّروا شكلها وأبقوها فى معناها ، أو نقلوها إلى معنى آخر بطريق التشبيه أو الكناية ، والأمثلة على ذلك كثيرة جدا ، لا نتكلف عناء ذكر شىء منها ، وإنما نحيل القارئ الفطن على مجالات العامة ، وما يسمعه من أفواههم ، وإعمال ذهنه فى فهم كلماتهم وتراكيبهم ، فإنه يجد فيها أمثلة لما ذكرناه من أحوال الكلمات العامية التى تماثل فيها أحوال الكلمات المولدة .

نتائج وملاحظات

قد تحصَّل معنا أن الكلمات التى تستعمل اليوم فى اللغة العربية ، وينطق بها المتكلمون بتلك اللغة قسمان : قسم عربى محض وقسم دخيل ، والدخيل أنواع : منه ما أدخله أهل اللغة أنفسهم إلى لغتهم قبل الإسلام كسندس وإبريق ، ويسمى فى الاصطلاح معرباً ، ومنه ما أدخله المولدون فى صدر الإسلام ويسمى مولَّداً ، ومنه ما أدخله المحدثون بعد هذين الدورين ويسمى محدثاً أو عامياً ، والطريقة فى إحداث النوعين الأخيرين — المولّد والعامى — قد تكون الاشتقاق : كالعربة والبارود والفسقية ، وقد تكون التعريب : كالبوس والبازهر والماهية ، وقد تكون التصرُّف فى الاستعمال : بأن نستعمل الكلمة على خلاف المعنى المستعملة فيه عند العرب : كالقطر والقطائف .

والدخيل بأنواعه الثلاثة لا يحطُّ من قدر الكلام العربى إذا وقع فيه ، وإن كان فى أصله غير عربى ؛ لما قدمناه من الأدلة على ذلك عند الكلام على التعريب ، والأدلة المذكورة تصلح أن تكون مقدمات منطقية نتيجتها « أن الكلمات المعربة عربية أو بقوّة العربية » حتى لا يكون ثَمَّ فرقٌ فى صحة الاستعمال بينها وبين تلك التى تكون عربية

الأصل ، بحيث يصح لك أن تستعمل كلمة « رصاص » الأعجمية المعرّبة فى كل موضع تستعمل فيه كلمة « صَرَفان » العربية ، وما يدرينا أن صرفان وأمثالها من الألفاظ القديمة التى نحسبها عربية والتى لا رائحة فيها للاشتقاق من مادة عربية — غير عربيّةٍ فى أصلها وإنما هى دخيلة .

وقد ذكرنا فى جملة تلك الأدلة دليلاً لا نزاع فى صدق دلالته : وهو أن علماء البلاغة أنفسهم حصروا شروط فصاحة المفرد فى ثلاثة أمور : خلوصه من تنافر الحروف ، ومن الغرابة ، ومن مخالفة القياس ، ولم يشترطوا فى فصاحته قط أن يكون عربياً قحاً لا شائبة فيه للعجمة .

إذا راعيت فى الكلمة الدخيلة التى تودعها كلامك — خلوصها مما ذكره علماء البلاغة كان كلامك فصيح المفردات ، وعليك بعد ذلك أن تراعى سائر ما اشترطه أولئك العلماء فى فصاحة الكلام وبلاغته ، حتى إذا فعلت كان كلامك فصيحاً بليغاً .

لا يكون كلامك فصيحاً إذا أودعته من الكلمات المعرّبة ما كان غريباً عن أفهام المخاطبين ، أو مما تنبو عنه أذواقهم ، وتتجافى طباعهم ، مثل أن تقول : « وكان الطُهاة يغرفون ألوان الطعام بالفقشليل » ، والفقشليل كلمة معربة عن قفجليز الأعجمية ، ومعناها المغرفة — كما لا يكون فصيحاً إذا أودعته من الكلمات العربية المحضة ما كان من بابة تلك الكلمات : كأن تقول : « أتانا مختالاً فى مشيته ، منفشلاً للحيته » تعنى منفّشاً لها ، أو تقول « لحاه الله من رجل عفنجش » أى فظٍّ جافى الطباع . ومن هذا القبيل الكلمات الإنكليزية أو الألمانية مثلا التى تكون مخارج حروفها صعبة متنافرة ، يتعذر أو يتعسر علينا النطق بها ، ولم نعهد مثلها فى مخارج لغتنا ، حتى إذا اضطررنا إلى إدخال كلمة من هذا الصنف فى لغتنا كان علينا حينئذ أن نُشَذِّبَها ونهذبها ونوفّق بينها وبين أوزان لغتنا ، ما استطعنا إلى ذلك سبيلا . كى تواتينا ويسهل علينا النطق بها ، وإلاَّ كان علينا أن نهجرها ونعدَّ الكلام الذى يتضمنها غير فصيح ، كما إذا تضمن كلمة متنافرة مثلها من الكلمات العربية الأصل كالهعخع وهو اسم نبات . قيل لأعرابى أين تركت ناقتك ؟ قال تركتها ترعى الهعخع . وكأن تقول لآخر : إياك أن تتزوج الهُمَّقْعَة ، بضم الهاء وتشديد الميم المفتوحة ، تعنى الحمقاء الورهاء .

واعلم أن الـكلمات الدخيلة فى لغتنا مهما كان أصلها ترجع إلى قسمين : قسم مدلوله الجواهر والأعيان ، مثل نرجس ولجام ، وقسم مدلوله المعانى والأحداث ، مثل البوس .

فـكلمات القسم الأول — إذا شاعت بيننا وحلّت فى أسماعنا وتداولتها الخاصة كما تداولتها العامة ، وتنزهت عن أن تكون من «ألفاظ السفلة» كما سيجىء فى قول ابن المقفع — ينبغى أن يجوز لنا استعمالها و إدماجها فى كلامنا ؛ لأن الـكلمة التى من هذا القبيل إما أن لا يكون لها مرادف فى لغتنا ، أو لهـا مرادف مهجور ، وحينئذ يكون الوجه فى استعمالها ظاهراً ، وعذرنا فيه مقبولا ، و إما أن يكون لتلك الكلمة مرادف معروف ومشهور ، فيكون لنا الحق فى أن نستعملها أيضاً اقتداء بأهل اللغة أنفسهم الذين كانوا يتركون كلماتهم العربية إلى مرادفاتها من الـكلمات المعربة الدخيلة : مثال ذلك كلمة « كوسج » الأعجمية فإنهم لا يكادون يطلقون على الـكوسج سواها ، وقلما تراهم يستعملون كلمة الأَثَطّ العربية ، بل إذا وردت هذه فى كلامهم فسروها بالـكوسج ، لـكونها أشهر منها ، وأعلق بأذهان الناس ، كما يفسِّر شرَّاح الحديث كلمتى « الدجر » و « اللياء » العربيتين بكلمة اللوبياء الأعجمية المعربة . وكما فسر بعضهم كلمة (الـكثنا) النبطية بكلمة نَوَرْدَجَة الفارسية ، والنَوَرْدَجَة سفط أو طبق من عيدان توضع فيه الأزهار والأثمار ويُطوى عليها .

وقد كثر استعمال الدخيل والإعراض عن الأصيل فى كلامهم كثرةً تشعر بأن هـذا الصنيع طبيعىٌّ فى اللغة ، وضرورةٌ لا يمكن دفعها ، بل يشبه أن يكون قياسيًّا ، لأهل اللغة من ورائه غاية محمودة ، هى توسيع نطاق لغتهم ، وتسهيل أمرها على ممارسها .

هذا فى كلمات القسم الأول الذى مدلوله الجواهر والأعيان . أما القسم الثانى الذى تدل كلماته على المعانى والأحداث كالبوس فهذا ربمـا ضرَّ الاستكثار منه فيما أظن ؛ إذ يكون مدرجة لضياع اللغة ومسخها وتحويلها عن أصلها . وقلما تجد العرب نقلوا إلى لغتهم فعلاً أو مصدراً أو أسلوباً خاصًّا من أساليب كلام الأعاجم ، وشاهد ذلك معاجم اللغة ودواوين آدابها ؛ وإن كان شىء من ذلك فهو قليل جداً : كـكلمتى[1] « الهَرْج » و « النفاق »

---

(١) وكـكلمة (البذرقة) بمعنى الخفارة قال المتنبى وقد عرض عليه أن يحرسوه : « أُبَذْرَقُ ومعى سيفى ؟ » ثم قاتل حتى قتل . والمبذرق الخفير . وأصل الـكلمة فارسى مركب من (بد) و (راه) أى الطريق الردىء فعربوها بالذال المعجمة وقلب الهاء قافا .

الحبشيتين ، ومعنى (الهرج) القتال والاختلاط .

وأكثر ما كان حدوث هذا النوع من الكلمات فى زمن ترجمة الاصطلاحات العلمية فى العصر العباسى . أما فى زمن الجاهلية فلعله لم يتخطَّ القبائل التى عاشت مع الأعاجم وكثر امتزاجها بهم كغسَّان ولخم وجذام . ومثل هـذا لا يصلح حجة للقياس والجواز العام . نعم إن اللغة بمجموعها جواهر وأحداثاً محوَّلة عن لغة أعجمية كما أثبتناه فى صدر هذا الكتاب ، ولكن هذا فى تحوُّل اللغة وتولُّدها المتوغل فى القدم ، لا فى التحول التدريجى الذى يفهم من إطلاق كلمة التعريب ، والذى كان يحصل على ألسنة العرب بعد أن قامت لغتهم بنفسها واستقلت بأُصولها وقواعدها ، فإنهم إذ ذاك ما كانوا يرجعون فى وضع كلمات الأحداث والمعانى إلى الاستعانة بلغات غيرهم . وإنما يرجعون إلى فضل ذكائهم ، وذلاقة لسانهم ، وحسن طريقة الاشتقاق فى لغتهم ؛ فهم يضعون أو يشتقون للمعانى التى تجول فى نفوسهم من الكلمات ما يغنيهم عن التطفُّل فى ذلك على سواهم . أما الجواهر والأعيان فقد يتعذَّر أو يتعسَّر عليهم أن يضعوا لها كلمات ، بعد أن ضرب المستبضعون والتجار فى طول جَزِيرتهم وعرضها ، وهم ينادون باسم الخيار واللوبيا والباذنجان والكوب والإبريق والمسك والبنفسج والسندس والإستبرق والفيروز والبلور واللجام والدانق والدرهم والدينار والعربون ، إلى غير ذلك من أسماء الأدوات والُخرثى والماعون ؛ وقد ضاق ذرع العرب بهذه الأسماء ، وأعجزتهم كثرتها ، فاضطروا إلى أن يرحِّبوا بها ، ويلقوا حبلها على غاربها ، والفرق بين استعمال الكلمات التى مدلولها عين وجوهر ، وبين استعمال تلك التى مدلولها معنى وحدث — يتجلى لك بهذين المثالين :

يستعمل المصريون مصدر « العشم » مكان « الأمل » فيقولون : عشمى كذا وأتعشم كذا . وعندى أن استعمال هذه الكلمة فى مثل قولنا « تتعشم للبلاد المصرية مستقبلا سعيداً لما نشاهده من نهضة أبنائها وثباتهم وشجاعتهم الأدبية » مخلٌّ بفصاحة الكلام ، ما دام أهل اللغة أنفسهم لم يستعملوا أمثالها من الكلمات الأعجمية الدالة على المعانى والأحداث ، وما دام لديهم ما ينوب منابها ، ويربو عليها فصاحة وعروبة ، مثل : أرجو وآمُل وأطمع وأتوقَّع وأنتظر وأتوسَّم وأترقَّب وأستشرف وأتطاول وأتشوَّف . فاستعمالنا لأتعشم وإعراضنا عن هذا المنهل العذب عقوق للغة وعدول بها عن مناهج أربابها وأساليب أصحابها .

وهناك كلمة أخرى مولدة يستعملها المصريون للدلالة على ذات وعين وهى « الجبلاية » الجبل معروف ، أنثوه وصغّروه وحرّفوه فصار جبلاية ، ويريدون بها الربوة الصغيرة تقام فى المتنزهات ، ويقلد بها الهضاب والآكام الطبيعية التى تكون فى الصحارى والفلوات ، بأشكالها ونخاريبها وتضاريسها ومياهها المتقاطرة منها ، وما يعلوها من نباتات ، وما يتكوّن تحتها من كهوف ومغارات . مثل جبلايات حدائق الأزبكية والجزيرة والجيزة . فقد يعرض للكاتب أن يصف تلك الحدائق وما فيها . ويجرى فى وصفهِ ذكر تلك الروابى ، فأى اسم يطلقهُ عليها غير الاسم الذى استعمله الناس وأنِسوا به ، وكان معناه أسرع إلى نفوسهم ، أعنى الجبلاية ؟ إن للجبل الصغير فى اللغة العربية أسماء تُربى على الأربعين ، ومهما تأنّق الكاتب فى تخيّر اسمٍ يقوم مقام اسمها المتعارف فلن يجيء ملائماً لنفوس المخاطبين ، ولا مستملحا فى أذواقهم ؛ فلو لم تقل «ثم علونا الجبلاية ، وشاهدنا مِن عليها غروب الشمس وراء شجيرات النخيل» — بل قلت «ثم علونا التلة أو الكثيب أو الأكمة أو الرابية أو الهضبة أو النجوة أو النَشَز أو اليفاع أو القَارَة أو النبكة أو الفلكة أو الربوة أو الزُبيـة أو الرِيع أو الصمّان أو القَرْدَد أو الجَفْجَف أو الهَوْبَج الخ الخ ، لما كنت فى تعبيرك هذا إلاّ معمِّياً على السامعين ، حابساً نفوسهم عن المضىّ فى الفهم ، حاملاً لهم على الاستفهام منك : أىُّ شىء هذا الجفجف والهوبج ؟ ونحن إنما نعهدُ فى الحديقة جبلاية لا جفجفا ولا هوبجا ، دع الجفجف والهوبج لمقال تنشئه فى وصف صحراء ليبيا أو حضرموت فتقول : وكنا نرى الظباء تعلو الهوابج والكثبان ، وكانت إذا آنستنا عن بعد نَصَّت أعناقها وولت هاربة» ولا يحسن منك أن تقول « وكانت الظباءُ تعلو التلال والجبلايات » فإن الجبلايات هنا سخافة يتعوذ منها الذوق والأدب . وللجاحظ كلام بليغ فى معنى ما قلنا راجعه فى الملاحق .

ويسمى المصريون الوعاء يكون من قصبٍ أو عيدانٍ ، يضعون فيهِ الفواكه والأثمار — سَبَتاً ؛ فلو لم تقل « وكان السُيّاح يرون فى سكك القاهرة باعة العنب ، يحمل أحدهم على رأسـهِ « سَبَتَه » وهو ينادى « جواهر يا عنب » — بل قلت « كان يحمل سفطه » تعنى سبته . ذهاباً منك إلى أن سفط هى الأصل الصحيح واللفظ الفصيح — كنت فى ذلك مباعداً ومتنطعاً وقاطعاً على سامع كلامك سلسلة الفهم ؛ لأن السامع الجاهل لا يفهم للسَفَط

معنى ، والعالم يعهد أهل الأدب إنما يستعملون السَفَط فى الوعاء الذى تصان فيه النفائس والأذخار ، لا الفواكه والأثمار .

ولو سمع العربى من يقول للسفط « سبت » لتعلّمه منه ، واستعمله فى كلامه . من دون أن يجد فى نفسه حرجاً ، أو فى لغته رطانة . ومهما حاولت أن تنيب السفط مناب السبت ففسرتها بها فى كل كلام أو كتاب وردت فيه — لما أطقت ذلك ، ولما تيسر لك ، اللهم إلا إذا أرسلت فى المدائن حاشرين ، يأتونك بالعامة والباعة والسوقة وأهل الأرياف والقرى العاملين فى الحقول والمزارع ، ثم قمت فيهم خطيباً ، فوعظت وأنذرت ، وأبرقت وأرعدت ، وكلفتهم أن يسموا وعاءهم هذا سفطاً ، ويدعوا كلة سبت ، ولا أظنك فاعلاً ، ولا أظنهم فاعلين .

ولو كنت فى بلاد يسمى أهلوها السبت سَلّة أو قفة أو قَرْطلاً أو زنبيلاً لكان من مقتضى الحال والفصاحة أن تسميها فى كتابك أو خطابك بما يسمونها به ، وتعدل عن تسميتها بمثل « دوخَلّة » و « قوصرّة » و « مكتل » و «صنّ» وكلها بمعنى الوعاء من خوص فى اللغة الفصحى ، وذلك لأن مدار الفصاحة على الإفصاح عما فى نفسك ، ومدار البلاغة البلاغ بما فى نفسك إلى نفس مخاطبك بحيث يحيك المعنى فى نفسه مثلما حاك فى نفسك . نعم إن من الفصاحة أن تسمى البطيخ بطيخاً فى مصر ، وحجبا فى الحجاز ، وجَبَساً فى شمالى سوريا ، وخربزاً فى البلاد التى يسميه أهلوها به . ولو لم تفعل كنت ملغزاً أو محاجياً . وقد يكون للكلمة الأجنبية المعرّبة وقع فى نفوس المخاطبين وتأثير لا يكون للكلمة بمعناها فى اللغة الصحيحة ؛ يعرف ذلك كبار الكتاب ، وشدّ ما توخوه فى كتاباتهم . قال الأستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده فى ترجمة رسالة السيد « جمال الدين » فى الرد على الدهريين — بصدد التشنيع على طبيعيِّى الهند : « ولا يظنَّن ظانٌّ أنما نقصد من مقالنا هذا تشنيعاً بهؤلاء البياجوات الهنديين » ثم قال الأستاذ المترجم فى تفسير كلة البياجو «هو اسم إيطالياني اشتهر فى الهند لمن يقلد الماهر فى اللعب بحركات غير متّسقة لإضحاك الناظرين . ويعبَّر عنهُ فى العربية بالخلابيس ، وأصله الشئ لا نظام لهُ ، والطبيعيُّون فى الهند يمثّلون أحوال الدهريين فى أوربا تمثيلاً مضحكاً » فانظر كيف أن إمامى البلاغة فى هذا العصر استعملا كلة « البياجو » وعدلا عن كلة « الخلابيس » : لما يعلمانِه من أن تأثير النفرة فى نفوس أهل

زماننا يكون بالكلمة الأولى أتمّ وأشد منه بالكلمة الثانية . بقى علينا أمر لا يصح إغفاله وهو أن يقال : سلّمنا أن الكلمات الدخيلة الدالة على الأحداث والمعانى لا تعتبر فصيحة ، ولا يكون استعمالها من الحسن فى شىء ، وذلك لأن فى اللغة ما يسدّ مسدّها كما مرّ فى كلمتى العشم والبوس ، لكن ليست كلمات الأحداث والمعانى كلها بحيث ذكرتَ ووصفت ؛ ما ذكرتَه إنما هو فى الأحداث والمعانى التى ترجع إلى قوى النفس ومدركاتها ، أو إلى أعمال الجسم التى تتعلق بشىء فى الخارج يعهده أهل اللغة . أو إلى ظواهر تقع فى الكون وقد شاهدها الواضعون وأحسّوا بها — فإن لديهم من الألفاظ والتعابير الدالة على كل ذلك مايفى بالغرض ، ويسدّ الحاجة ، فلا يجوز أن نُدخل إلى لغتنا من لغة أجنبية كلمةً بمعنى الأمل مثلاً وفى لغتنا مثل ما سردنا لك آنفاً من الكلمات ، ولا أن ندخل إلى لغتنا كلمةً بمعنى الصعود وفى لغتنا مثل علا وصعد وتسنّم وتسلّق وتسوّر وتوقّل ، ولا كلمةً بمعنى غروب الشمس وفى لغتنا مثل غابت وغربت ووجبت وأفلت وغارت وجنحت وآبت . ثم تقول : ولكن هناك اختراعات أوجدها قوم من غير أبناء لغتنا . ووضعوا من كلمات الأحداث والمعانى التى تشتقّ ويشتق منها — ما يتعلق باستعمال تلك الاختراعات ، ويدل على طرق الانتفاع بها : اخترعوا الأوتوموبيل مثلا . وسموه بهذا الاسم ، فنحن معشر العرب نأخذه ونأخذ اسمه ، كما أخذ أسلافنا المنجنيق واسمه من لغة اليونان ، ومخترعو الأوتوموبيل أنفسهم وضعوا كلمات أخر للدلالة على أفعال وأعمال تتعلق به ، مما لا يمكن أن يكون موجوداً فى لغتنا ، ما دام الأوتوموبيل نفسه ما كان معروفاً لدى أهلها ، وواضعى كَلِمها ؛ ومثل ذلك يقال فى جميع الأدوات والآلات المخترعة التى لها أفعال خاصة بها ، يزاولها المرء عند استعمالها والانتفاع بها . فما نحن صانعون بإزاء ذلك ؟ هل نأخذ اسم الأوتوموبيل مثلاً ونهمل الأفعال المتعلقة به فلا نزاولها ؟ وهذا لا يمكن ولا يتأتى لنا — أو إننا نشتق من أُصول لغتنا كلمات لتلك الأفعال ؟ وهذا فى غالب الظن غير مقدور لنا أيضاً ، أو إننا نكل الأمر لطبيعة الناس ، والمستعملين لذلك الاختراع ، فنتابعهم فيما اصطلحوا عليه ، ونقول إذا استخدم أحدنا التلغراف فى مخابرة آخر — « ضرب فلان تلغرافاً إلى فلان » أو « تال فلان فلاناً » يعنون راسله بالتلغراف . وفِعْل « تال » منحوت من اسم التلغراف ، كما اصطلح على ذلك التجار فى سوريا ؟ أو إننا نأخذ كلمات الأحداث والأفعال نفسها التى نطق بها مخترعو ذلك الشىء

فنتصرف فيها ، ونشتق منها من الصيغ ما نحن فى حاجة إليه : فنشتق لسوّاق الأوتوموبيل اسماً من مادتهِ فنقول : «آتم» أو « تامل »[1] مثلاً كما سمى العرب صاحب المنجنيق الذى يباشر الرمى به « ناجق » اشتقاقاً من كلمة « منجنيق » الأعجمية .

هذا ما يمكن أن يورده الُموردِ فى مثل هذا المقام ، وليس لمثلى أن يبتّ الرأى فيه ، لاسيما وهو مما يتعلق بحياة اللغة و بثباتها فى هذا الموقف الهائل الذى تزدحم فيه اللغات الحيّـة — و إنما أَكل الحـكم فيه إلى المجامع اللغوية التى تتمخَّض عنها البلاد ، و يتحفَّز إلى إنشائها من فضلائنا أفراد .

الخاتمة

ومن أراد أن يكون على بصيرة من أمر الألفاظ مطلقاً عربية أو دخيلة ، ومن كيفية استعمالها ، ومعرفة الفصيح من غير الفصيح منها — فلا يكفى أن نقول له ما قاله علماءُ البلاغة من أن فصاحة المفرد خلوصه من الأمور الثلاثة التى مرَّ ذكرها . و إنما يجب أن نُلِمَّ بالموضوع من جهة أخرى ونبنيَه على ما قاله علماء البلاغة أيضاً من أن « لـكل كلمة مع صاحبتها مقاماً » . وعلى ما قاله ابن المقفع — وقد سأله سائلٌ عن فصيح الـكلام — « عليك بما سهل من الألفاظ مع التجنُّب لألفاظ السفلة » . تلك الألفاظ التى تَبرَّأَ منها أبو الأسود الدؤلى فقال :

(ولا أقول لقِدْرِ القوم قد غَلِيَت   ولا أقول لبـاب الدار مغلوق)

يعنى أنه يقول : غَلَت لا غليت ، ومُغْلَق لا مغلوق .

إعلم أن الـكلمات مطلقاً عربية أودخيلة لها وضع ولها استعمال ، فمهما عرفنا أن الـكلمة وضعها أهل اللغة لمعنىً ما ، ومهما عرفنا أنهـا خالصةٌ من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس — لا نكون على بيِّنة من أمر استعمالها فى كلامنا استعمالاً فصيحا بحيث نكون

---

(١) حكى لى بعض من كان فى الركب الذى قطع البادية من دمشق إلى الحجاز منذ بضع سنوات أن أدلاءهم الأعراب كانوا يعلون الروابى الرملية ليتبينوا الطريق أحيانا حتى إذا اطمأنوا نادوا سواق السيارات (ياشوفريه شوفرِنْ شوفرِنْ) أى شوفروا أى سوقوا وسيروا .

موافقين فيه أساليب البلغاء — ما لم نعرف كيفية استعمال تلك الكلمة ، وكيف اعتاد الفصحاء أن يقرنوها بغيرها ، مما يناسبها من الكلم .

فإذا عرض لك فى مقالة تكتبها مثلاً أن تقول « إن فلاناً لما تُوُفِّى صديقه كان يريد أن يبكى ، لكنه ما كان يقدر على البكاء » ثم اتفق أن وقع نظرك فى معاجم اللغة على كلمةٍ تفيد هذا المعنى المركَّب وهى كلمة « العسقفة » : قالوا ومعناها « أن يريد الرجل البكاء فلا يقدر » . فهل يصح لك أن تقول فى مقالك المذكور « وإن فلاناً لما توفى صديقه كان يعسقف » . اعتماداً على أن الكلمة مما وضعه العرب ، وقد ذكرت فى معاجم لغتهم ، وأنها فصيحة خالصة من التنافر ومن الغرابة ومن مخالفة القياس اللغوى ؟ أنت إذا استعملت هذه الكلمة فى الجملة المذكورة لمجرد رؤيتك لها فى المعاجم تكون مجازفاً غير متثبِّت من أمر فصاحة كلامك ، ولا تكون متثبّتاً فى ذلك ما لم تعرف وراء وضع الكلمة طريقةَ استعمالها فى كلام البلغاء ، وبأية كلمةٍ يقرنونها ؟ وفى أى مقام يأتون بها ؟ وهل هى من ألفاظ السفلة ، أو من الكلمات التافهة المبتذلة ؟ إذ « لكل كلمة مع صاحبتها مقام » كما قال علماء البلاغة . وعلى الكاتب أن يتجنّب ألفاظ السفلة ، كما قال ابن المقفع ، ولا فائدة للمرء فى معرفة كون الكلمة موضوعة وفصيحة ما لم يعرف طريقة استعمالها . ومعرفةُ طريقة الاستعمال تتوقف على كثرة قراءة كلام الفصحاء ، والتأمُّل فى أساليبهم والموازنة بينها ، ونقد مواضع الضعف فيها . فالذى يعطيك ملكة الفصاحة والبلاغة هو ما ذكر . أما المعاجم التى تسرد موادَّ اللغة سرداً ، وتفسر معناها ، فهى إنما تفيدك بيان معنى ما أُشكل عليك فهمه من الكلمات التى وقعت فى كلام أُولئك البلغاء والفصحاء ؛ وهذه القاعدة تتمشَّى على كل كلمة عربية أصيلة ، أو معربة دخيلة . فإذا كان كاتب السطور ممن يتسع صدره لكل كلمة دخيلة فى اللغة فليس معنى ذلك أنه يمهِّد الطريق أمام اللخلخانية (العجمة) تتغلغل فى أحشاء لغته العربية ، ولا أنه يرحِّب بقول العامة الأزمة المالية (بتشديد الميم) ولا بقولهم « أخذ فلان أُهبة السفر » (بتشديد الباء) ولا بقولهم وما افترَّ يعمل كذا (بتشديد الراء على وزن احمرّ) ولا بقولهم الأمر مناط أو مُنَوَّط بك (بتشديد الواو) موضع منوط (بتخفيفها) — وليس هو ممن يسوّغ حشر الكلمة الدخيلة فى الكلام أيَّةً كانت ، وكيفما اتفق ، من دون قيد ولا شرط .

كلا : القيد والشرط هو الملكة الصحيحة أو الذوق السليم الذى يكتسبه المرء بمزاولة

كلام البلغاء ، ونظره فى أساليب الفصحاء : فيعرف إن كان يحسن أن تستعمل هــذه الــكلمة العربية أو الدخيلة هنا ، أو لا يحسن ؟ وتحصيل تلك الملــكة أو هذا الذوق يتوقف أولاً على القابلية والاستعداد الفطرى ، ثم على دراسة الــكتب والتصانيف التى رُكِّبت فيها الــكلمات الفصيحة تركيباً : أى عُرضت على أنظارنا مستعملة فى الــكلام البليغ ، مثْبَتَةً فى موضعها منه ، لا مسرودةً سرداً . كما هو الشأن فى المعاجم ، لــكن على المرء أن لا يستهين بتلك المعاجم . فإنها مرجع كلام البلغاء وعليها يتوقف حل رموزهم ، واستخراج كنوزهم . فلا غرو إذن إذا قلنا إن الملــكة الصحيحة إنمــا تنال من تردد الذهن بين كتب البلغاء ، و بين معاجم اللغة ، ومراوحة النفس بين مراجعة هذه ، و بين التأمل فى تلك . بعد التمــكن والرسوخ فى قواعد العربية .

أما المعاجم فأشهرها لسان العرب والقاموس وشرحه والصحاح ومحيط المحيط وأقرب الموارد ، و يمتاز هذا الأخير بسهولة المراجعة فيه ، وتناول الــكلمات منه عن كثَب .

وأما الــكتب التى ترشدنا إلى طريقة تركيب الكلمات وتدرِّبنا على كيفية استعمالهــا ، فهى قسمان : قسم لم يكن الغرض منه الإرشاد والتدريب ، و إنمــا أريد منه شؤون ومقاصد أُخر . فجاءت هذه الشؤون والمقاصد مفرَغة فى قالب بليغ فصيح : وهذا كالقرآن والحديث وشعر عرب الجاهلية والمخضرمين و بلغاء الإسلاميين ، وخطب أهل الصدر الأوّل ومنشآت كتَّابه ، وكنهج البلاغة وكتابات الجاحظ وابن المقفع ، وكــكتاب الأغانى والعقد الفريد ومقدمة ابن خلدون ، وكالإحياء وتهذيب الأخلاق وأدب الدنيا والدين وكليلة ودمنة .

والقسم الثانى ما كان القصد فيه تمرين الطالب و إرشاده إلى كيفية استعمال الــكلمات الفصيحة ، والتراكيب الصحيحة . وهذا أيضاً قسمان : قسم التُزم فيه السجع ، وروعى فيه المواعظ والرقائق والآداب : كمقامات البديع والحريرى والزمخشرى والأطواق والأطباق ، وقسم لم يلتزم فيه شىء من ذلك : كأساس البلاغة والمثــل السائر والألفاظ الــكتابية ونجعة الرائد .

وعندى أن القسم الأول الذى لم يقصَد فى وضــعه التمرين والتدريب — مفيد فيهما ، ومساعد على تحصيل ملــكة البلاغة أكثر من القسم الثانى الذى قصد فيه ذلك ، وهذا على

حدِّ ماجاء فى الحديث الشريف : « من أخلص أربعين صباحاً لله تتفجَّر ينابيع الحكمة من قلبه ، ومن أخلص لأن تتفجَّر فلن تتفجَّر » .

هذا هو الاشتقاق والتعريب . وهـذه كلمتى فيهما ألقيها على مسامع أهل الفضل والأدب ، وجهابذة النقد فى لغة العرب .

تنبيـــــه

استشهدت فى فصل «نتائج وملاحظات» (صفحة ٦٨) بمادة (العشم) — على المولَّد الذى مدلوله حدث ، وبعد طبع الملزمة ارتبت فى صحة هـذا الاستشهاد . وكاشفت المعاجم : فإذا من معانى العشم (الطمع) عشم عشما من باب فرح طمع ، والطمع قد يكون بمعنى الرجاء الذى يريده المصريون فى استعمال كلمـة « العشم » . قال تعالى : « والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين » . وإذ لم يصب عشمى فى كلمة (العشم) فليعتبر القارئ استشهادى بها على سبيل الفرض ثم ليمثِّل فى ذلك المقام بكلمةٍ غيرها ، فلن يعدمها إذا طلبها .

المقالة التالية للمؤلف كتبها فى موضوع الكتاب نفسه ، وقد نشرت فى المؤيد عدد ٥٢٨٨ الصادر فى ٨ اكتوبر سنة ١٩٠٧ :

بحث لغوى

وكتاب جديد فيه

هل يباح فى اللغة العربية دخول كلمة أعجمية إليها ؟ أو أن يُحدِث المتكلمون بالعربية اليوم أو قبله — كلمةً لا يعرفها العرب أنفسهم ، سواء أ كان ذلك بالاشتقاق من لغتهم . أم بالاقتباس من لغات جيرانهم ؟ وبالجملة : هل إن المعرَّب والمولَّد مما يصح استعماله فى الكلام العربى ؟ أو لا يصح فيكون الكلام الذى يتضمنه مشوّهاً غير فصيح أو غير بليغ ؟

هذا السؤال أو هذا الإشكال مما يخطر لكل كاتب ، ويتردد فى نفس كل قارئ .

وقد كتب بعض القرّاء إلى المؤيد ينتقد استعمال كلمة « سبَت » للوعاء الذى يضع فيه الباعة فى مصر الفواكه والأثمار ، وقال صوابه « سفط » فاللازم استعماله ، لأنه العربىُّ المحض ، أما سبَت فمولد أو محرّف عن سفَط ، وكتب آخر مقالاً مسهباً فى التمثيل فقال : إن « المرسح » خطأ وصوابه « المرزح » بالزاى . لأن أهل اللغة قالوا فى تفسير المرزح هو المطمئن من الأرض ، أما كلمة المرسح فلا وجود لها فى كتب اللغة ، ثم جعل الكاتب يكرر « المرزح » فى كل مقام اقتضى ذكر المرسح فيه من مقالهِ المذكور . وكتب أديب آخر يقول : شاع فى أيامنا استعمال كلمة «سكرتير» نقلاً عن اللغات الأجنبية حتى أضحت جزءاً من العربية ، وهى (أى العربية) فى غنى عنها ؛ ففى لغتنا كلمة «ناموس» وهى أملأ معنىً، وأوفى غرضاً ، من كلمة سكرتير . قال فى القاموس « الناموس صاحب السرّ المطّلع على باطن أمرك ، ونامسه سارّه » ثم قال الأديب : « ولا أرى عذراً مطلقاً لحشو كلمة « سكرتير » فى المواضع العربية البحتة كما كان الحال فى لائحة نظام المدارس الأميرية أيام كان المستر « دنلوب » « ناموساً » بنظارة المعارف ، يعنى سكرتيراً لها . الكتابُ كثيرون ، والقراء أكثر ، والكلمات الدخيلة أكثر منهما ، وقد أخذت شكاوى محبى اللغة العربية فى التكاثر خائفين أن تفسد اللغة ، أو تموت كلماتها التى يصح أن تنوب مناب الأخرى الدخيلة . وقد

سمعتَ آنفاً نموذجا من شكاوى الـكتّاب والقرّاء ، ولو كنت تصغى إلى حديث أولى الفضل والأدب لسمعت فى حديثهم وحوارهم ما يرشدك إلى مبلغ عنايتهم بهذا البحث ، واختلافهم فى شأن الـكلمات الدخيلة وما هو المقبول منها وما هو غير المقبول ؟

إن لى رأياً فى المسألة ربما لم يوافقنى عليه إلاّ القليل ، وهذا لا يمنعنى من إبدائه ونشره وتأييده : اللغات ليست بمادتها وكلماتها ، وإنما هى بأساليبها وتراكيبها . فهذه هى المزيّة التى تميز لغة عن لغة ، وبالمحافظة على أساليب اللغة وتراكيبها تحصل المحافظة على نفس اللغة . أما الـكلم والألفاظ فإنها تتغيّر وتتبدّل وتتجدّد من عصر إلى آخر ، تبعاً لتجدُّد البيئات والمؤثِّرات : فقد تموت وتندثر كلمات من قديم اللغة ، ويقوم مقامها كلمات حديثة من لغة أخرى ، احتكّت بهـا ، أو بارتها فى ميدان واحد ، فتتقمّصها اللغة الأولى ، وتبقى على حالها ، فلا يقولنّ قائل إن تلك اللغة صارت بهذه الـكلمات الجديدة الطارئة عليها — لغةً أخرى جديدة .

ليس له أن يقول ذلك لأن الأسلوب الخاصّ بتلك اللغة ثابت باق ؛ فهو يطوِّر الـكلمات الدخيلة ، ويمثِّلها إلى بِنْية لغته ، كما يمثِّل جسم الإنسان الدقائقَ الغذائية التى يتناولها من لحوم الحيوان — إلى جسمه ، ويبقى مع هـذا إنساناً : لمحافظته على شكله وصورته ، وإن كانت كل دقيقة من جسده محوّلة عن دقيقة من أجسام الحيوانات التى أكلها .

وأظهر مثال لما قلنا — اللغة التركية ؛ فإنها مستقلة بأساليبها وتراكيبها الخاصة بها التى تميزها عن غيرها من اللغات ، وإن كانت (أعنى اللغة التركية) مؤلفة من كلمات متعددة ومن لغات مختلفة ، كالعربية والفارسية والفرنساوية ؛ فلو كانت الـكلمات الدخيلة فى اللغة تضير اللغة أو تحطُّ من قدرها لضار ذلك اللغة التركية ، وأفسدها ، وأذهب رونقها . على أن الأمر بالعكس ؛ فإن تلك اللغة باقتباسها الـكلمات العذبة الرشيقة من اللغات المختلفة تعدُّ من أحسن اللغات وأعذبها وأرشقها أسلوباً . لا نقول إنه يحسن بنا معشر أبناء اللغة العربية أن نعقّ أُمّنا فنحشر إلى أحضانها من الـكلمات الأعجمية ما اتفق — كلا ، وإنمـا أُريد أن لا نرفض استعمال الـكلمة الأعجمية أو المولّدة إذا اصطلحنا عليها ، وألفتها أذواقنا ، وأنِست بها أسماعنا ؛ فـكلمة (مرسح) شاعت بيننا فنحن نفهمها بسهولة ، ولا ينبو سمعنا عنها .

فلماذا نَقلَاهَا ونبحث عن أُخرى سواها ؟ كان أسلافنا يستعملون الـكلمات المعربة من لغة أخرى مع علمهم أن فى لغتهم كلمات تقوم مقامها . فـكيف نجفو نحن كلمة « مرسح » ولم يكن فى لغتنا ما ينوب منابها ؟ المرزح الأرض الواطئة ، وأين الأرض الواطئة التى قد تكون مستنقعاً تسرح فيه الديدان — من الأرض العالية التى تتجلى عليها الغيد الحسان ؟ ويقول آخر : المرسح مقلوب « مسرح » فالواجب أن نستعمل الأصل ، ولـكن كيف نسمى المرسح مسرحا ؟ وأىُّ شىء يسرح فيه ؟ وليس هو من الاتساع بحيث يكون مسرحاً للاّعبين فيه . اللهم إلا إذا قلنا إن الأبصار تسرح فى نواحيه ، وكل هذا فى اعتقادى تـكلُّف(١) لا حاجة إليه ، ولا جهابذة اللغة يلزموننا به أو يحضوننا عليه ، وكلمة « سكرتير » اعتدناها وصقلتها ألسنتنا ، كما اعتاد أسلافنا « سكنجبين » وصقلوها بألسنتهم ، وساغوها بلَهَواتهم . فما الحاجة إلى نبذ كلمة السكرتير وعزلها وتعيين « الناموس » ليؤدى وظيفتها ؟ يمكن للـكتّاب أن يثابروا على تفسير « السكرتير » بالناموس كلما عرضت فى كلامهم ، بحيث تشيع ويتلقّفها الفهم كما يتلقف معنى « السكرتير » على نحو ما صنعوا فى كلمة « بالون » فإنهم ما زالوا يفسرونها بالمنطاد ، ويقرنونها بها ، حتى شاعت هذه وتعورفت بيننا ، وهو حسن ، ولـكننى مع هذا لا أرى أن نهجر كلمة « بالون » بالمرة ، وننسى صحبتها لألسنتنا وأقلامنا سنين عديدة . بل أرى أن نحفظ عهدها ، ونرعى ودها ، ونستعملها أحياناً كما نستعمل كلمة «منطاد» ونعتبرهما كلمتين مترادفتين فى لغتنا العربية كما اعتبرنا كلمتى « يمّ » و « بحر » مترادفتين مع أن الأولى معربة ، وكلمتى « صراط » و « طريق » مترادفتين مع أن الأولى معرّبة أيضاً .

إذا تنكرنا لتلك الـكلمات الدخيلة ، وأسأْنا بها الظنّ ، وقلبنا لها ظهر المجنّ ، وعملنا على طردها من بين أظهرنا — أخشى أن يدركها الحنق علينا ، وتعمل على الانتقام منا . فتُغرى بنات جنسها أعنى الـكلمات المعربة كلها من قديم وحديث — بالاعتصاب العام

(١) كتب بعض الفضلاء ، وأظنه الأمير شكيب أرسلان فى كيف تولدت كلمة (المرسح) ما خلاصته : يقيم أهل قرى لبنان أفراحهم فى الضاحية حيث يجتمع اللاعبون بالسيف والفرس على صوت الطبل والزمر فى منخفض من الأرض بينا يكون المتفرجون على المرتفعات وكانوا يسمون هـذا الملعب المنخفض (مرسحا) وأصلها مرزح والمرزح فى اللغة العربية معناه المطمئن أى المنخفض من الأرض ، وقلب الزاى سينا معهود فى كلمات اللغة مثل بزاق وبساق . هـذا ما كتبه الفاضل . فالمرسح إذن تمت إلى أصل فى اللغة الفصحى وهى باعتبار التشبيه تناسب معنى (التياترو) وكلمة (المسرح) التى معناها فى اللغة مرعى المواشى لا صلة مجازية بين معناها ومعنى التياترو ، ولذا أرجحها على كلمة المسرح . راجع ما قاله الدكتور يعقوب صروف فى الملاحق .

فيصممن على الجلاء والانسحاب من بين سطور لغتنا ، و بيوت أشعارنا ، و بديهى أن كلمة « الله » تكون معهن ، لأنها سريانية أو عبرانية ، وما ظنك بفئة « الله » معها ؟ لمن يكون الفَلْجُ والنصر والغلبة ؟ لا جرم أن تلك الـكلمات الدخيلة الأعجمية الأصل التى لا عداد لها — لو غادرت لغتنا لأبقت فيها فراغاً واسعاً ، يعسر علينا أن نملأه بكلمات عر بية أصلية : من ذلك عدة آيات وأحاديث إذا غادرتها كلماتها الأعجمية مسَّت الحاجة إلى أن يخلفها غيرها من العر بية المحضة ، وفى هذا ما يدعو إلى وقف دورة الفلك ، و إعادة ما مضى من الزمن ، وتجديد أمر البعثة ، و إنزال الوحى ، اللهم غفرا .

وقد سبق لبعض قرّاء المؤيد أن كتب ينتقد بعض كلمات جاءت فى كلامى من قبيل الدخيل ، وعاتبنى على ذلك ، ذاهباً إلى أن تلك الـكلمات مما يحطُّ من قدر الـكلام ، و يشوِّه فصاحته ؛ فكان هذا باعثاً لى على تأليف كتاب فى هذا الموضوع ، وسيقدَّم إلى الطبع فالنشر ، و يعرَض على حضرات الأدباء والفضلاء فنرى فيـه رأيهم ، ونسمع عليه حكمهم . انتهى .

وهذا هو الـكتاب قد تمَّ طبعه

والحمد لله

المعرب

وكيف كان يقع على ألسنة العرب

هذا هو موضوع محاضرتنا أيها السادة :

أصوّر لكم فيها الطريقة التى ينتهجها العرب فى استعمال الكلمات الأعجمية . وقد يكون سلوك هذه الطريقة على غير اختيار أو قصد منهم ولا لجنة ترجمة لديهم ولا مجمع علمى ؛ وإنما هم مسوقون إلى اقتباس الكلمات الأعجمية بنابل الفطرة وتأثير البيئة ، وحبّ المحاكاة .

وقبل الشروع فى تصوير تلك الطريقة نمهّد لها بمقدمة ، نلخّص فيها ما قاله العلماء فى التعريب واختلافهم فيه :

قال الجوهرى : « تعريب الاسم الأعجمى هو أن تَتَفوَّه به العرب على منهاجها » .

وقد اختلفوا فى وقوع الأسماء الأعجمية فى القرآن . وانتَهَوْا أخيراً إلى القول بأن الكلمة الأعجمية إذا استعملتها العرب على مناهجها أصبحت عربية أو نقول تحولت عربية بحيث يصح أن ينزل بها الوحى الإلهى ؛ فمن قال إنها عربية كان صادقا ، ومن قال إنها أعجمية كان صادقاً ؛ فهى أعجمية فى الابتداء عربية فى الانتهاء ، وعلى هذا يكون قوله تعالى (إنا أنزلناه قرآنا عربياً) حقًّا وصدقاً .

وهذا الخلاف إنما شجر بينهم فى وقوع الأعجمى فى القرآن . أما وقوعه فى غير القرآن من كلام العرب فلا خلاف فيه ، لوضوح أمره ، ولكثرة الشواهد عليه .

وهل للمولّدين الذين جاءوا بعد العرب ممن يتكلم بلغتهم أن يعرِّب ، أىْ أن يُدخلَ كلمة أعجمية فى كلام العرب فتُصبحَ عربية ؟

قالوا : لا . وإنما التعريب خاص بالعرب وهو حقّهم وملكُ ألسنتهم ، والكلمات التى يعرّبونها يجوز لنا نحن المولدين استعمالها كسائر كلمات لغتهم .

وإذا أطلق لفظ (المعرَّب) إنما يراد به هذا اللفظ أعنى الذى عرَّبته العرب ؛ فيدوَّنُ فى المعاجم ولا يُخلُّ استعماله فى الكلام الفصيح ولو كان هذا الفصيح معجزاً كالقرآن الكريم

أما من جاء بعد العرب الخلص من المتكلمين بالعربية فليس لهم حقُّ التعريب ، ولا إدخالُ كلمةٍ أعجمية فى اللغة العربية .

تقولون أيها السادة : ولكنهم أى هؤلاء المتكلمين بالعربية عرّبوا بالفعل ، ودخلت معرّباتهم فى الكلام العربى المنظوم منه والمنثور وفى المصنفات العربية أيضاً القديمة والحديثة

فيقال فى الجواب : نعم . حصَلَ هذا منهم ، ولكن عملهم لا يسمّى (تعريباً) وإنما يسمى (توليداً) واللفظ الأعجمى الذى أدخلوه فى اللغة يسمى (مولّداً) لا (معرّباً) فلا يجوز أن يدوَّن فى المعاجم ، ومن دَوَّنه كصاحب القاموس ، عيب عليه . وإذا وقع هذا اللفظ المولد فى الكلام الفصيح أَخَلَّ بفصاحته وشوه ديباجته .

فمعرَّباتنا نحن المتأخرين لها ثلاثة أحكام .

(١) أنها تسمّى مولَّدة لا معرَّبة .

(٢) لا يصح تدوينها مع كلمات اللغة الأصلية فى المعاجم ، وإن دوّنت فعلى الهامش ، لا فى المتن والعمود .

(٣) إذا استعملت فى الكلام الفصيح أخلّت بفصاحته .

هذا ملخّص ما يقوله كتّابنا الأقدمون فى هذا البحث ، بحث التعريب وفى تحديد موقفه من اللغة الفصحى .

ونعقّب عليه فنقول إنه لم يكن للتعريب كبير شأن ولا كثير اهتمام ولا شديد حاجة فى العصور الإسلامية الأولى ؛ وذلك لقلّة الكلمات الأعجمية التى تدخل العربية ، ولأن اللغة العربية كانت ذات سلطان شامل وحكم نافذ فى تلك العصور ؛ فلم تكن ثمّة حاجة إلى استعمال الكلمات الأعجمية فى كلام العرب ولا فى كتابات العرب إلا إلى حد محدود ، إذ كانت لغة العرب كفيلةً بسدّ حاجات العرب فى مختلف مناحى حياتهم الثقافية والأدبية والسياسية .

أما فى عصرنا الحاضر فقد أصبح لهذا البحث — بحث التعريب — شأن كبير وخطر عظيم ؛ وذلك لفيضان الكلمات الأعجمية على لهجتنا اليومية وللحاجة الملحّة إلى استعمالها فى كتاباتنا ومصنفاتنا ، ولا سيما المترجم منها فى العلوم والفنون الحديثة ؛ وبيان ذلك يحتاج إلى

محاضرة خاصّة ، بل لا يحتاج إلى محاضرة لعمرى ، لأنه أصبح متعالماً مشهوراً ، وأصبحت آراء كتابنا المعاصرين فيه غير آراء علمائنا الأقدمين ، وهم جريئون على التشبث بآرائهم والنضال عنها بقوة وعنف .

وخلاصة آراء هؤلاء .

(١) يحق لنا أن نعرّب ألفاظاً من اللغات الأعجمية ولا يهمّنا أن نسميها معرّبة أو مولدة ، نفعل ذلك كما فعل أسلافنا لأننا عرب مثلُهم ، ولأن اللغة مِلك المتكلمين بها سواء أعاشوا فى أول الدهر أو فى آخره .

(٢) يجب أن ندوّن معرّباتنا فى معاجمنا الحديثة ليفهم أولادنا معانيها و يضعوها مواضعها من الاستعمال .

(٣) نستعمل معرباتنا من دون نكير . ولا نرى أنها تخلّ بفصاحة كلامنا ولا برونق ديباجته وجمال أسلوبه .

ثم إن هؤلاء الفضلاء المعاصرين منهم المتطرّفُ الذى يرى أن نعرّب الألفاظ الأعجمية كيفما اتفق ثم نستعملها من دون قيدٍ ولا شرط إلا ذوق الكاتب . ومنهم المعتدلُ الذى ينصح بأن لا ندوِّنَ أو نستعمل كلمة أجنبية إلا عند الضرورة ؛ وتفصيل ذلك يحتاج أيضاً إلى محاضرة ، أو نقول أيضا لا يحتاج إلى محاضرة ، وذلك لشهرة أمره وتداول ذكره بيننا ، ومن أجله أنشئت مجامعنا اللغوية .

* * *

ثم إن هذه الألفاظ الأعجمية التى أدخلت إلى لغتنا العربية سماها علماؤنا (معرّبات) ، وواحدها (معرَّب) وهو بتشديد الراء من باب (التفعيل) ويجوز أن يقال فيها مُعْرَبات من دون تشديد فيكون من باب (الإفعال) .

قال الشهاب الخفاجى : « المشهور أن يقال (تعريب) وسماه (سيبويه) (إعراباً) وعليه يصح أن يقال لفظ مُعْرَب كما يقال لفظ مُعَرَّب » .

واللفظ العربىُّ إذا أخذه العجم من لغتنا واستعملوه فى لغتهم كما قال الإنكليز acme من قُمَّة أو أكمة العربية ، والافرنسيون mesquin من مسكين العربية . والاسبانيول فلأنسيا fallencia من أفلس العربية وغيرهم وغيرهم ، فماذا يسمون هذه الألفاظ ؟

سؤال غريب لا يجاوب أسلافنا عليه ، بل لم تخطر هذه الألفاظ المتداولة عند الافرنج فى باللهم حتى يضعوا لها اسماً .

و إنما على الباحثين من المستشرقين الإفرنج أنفسهم أن يتتبعوا ألفاظنا العربية التى فى لغاتهم ويدوّنوها فى أسفار خاصة (وربما كانوا فعلوا) ، وإذ ذاك نسمّيها لهم مُعْجَمات أو معجَّمات قياساً على قولنا مُعْرَبات ومعرَّبات .

وإنما قلنا (قياساً عليها) لأنه لا يوجد فى لغتنا فعل (عَجَّم) اللفظ أو أعجمه إذا أدخله فى لغة العجم . نعم قد نستأنس فى جواز معجَّمات بالتشديد بعبارة قالها إمام العربية فى هذا العصر (الشيخ حسين والى) العالم الأزهرى المشهور رحمه الله .

فقد قرأ فى إحدى جلسات المجمع اللغوى المصرى وكان عضواً فيه بحثاً فى التعريب جاء فيه قوله (ثم إن العَرَبَ كما تُعَربّ الأعجمىّ كذلك العجم تعجّم العربى الخ) .

فقلنا له يومئذ يا أستاذ وضعت لنا لفظاً جديداً من حيث لا تقصده ومن حيث زملاؤنا المستشرقون فى حاجة إليه ، ولو لم تقل الكلمات المعجَّمات لقلنا الكلمات المفرنجات .

فلنا إذن أن نقول أو نشير على أدباء الأفرنج إن سألونا أن يسموا ألفاظنا العربية فى لغاتهم (معجَّمات) استناداً إلى فتوى الشيخ حسين والى .

وبعد هذا التمهيد نعود أيها السادة إلى موضوع محاضرتنا الذى هو تصوير وقوع المعرَّب على ألسنة العَرَب والتمثيل له تمثيلا يدنيه من المشاهدة : كثيراً ما يلمح فى الألفاظ المعرَّبة أنها تدلّ على منازع اجتماعية وراء دلالتها على معانيها اللغوية الدالة عليها بالوضع ؛ ويظهر هذا بنوعٍ خاص فى الكلمات التى اقتبسها العرب من جيرانهم الفرس .

فإن العرب كانوا أكثر اختلاطاً بالفرس من غير الفرس ، ومصالحهم السياسية والقبلية ومرافقهم الاقتصادية والمعاشية أعظم اشتباكاً ، وأشدّ احتباكا .

وقد كانت المدائنُ عاصمةُ فارس والحيرةُ عاصمة العرب مُنتجَعَ الفريقين ، وملتقى العقليتين أو الثقافتين (إذا صح هذا التعبير) وكان لعرب الجاهلية ثقافة يعتدّ بها .

ففى تينك الحاضرتين وغيرهما من قرى الحدود ودساكرها كان الفرس والعرب يتقارضون الكلمات والعادات ، مثلما كانوا يتقايضون السِلعَ وضروب البياعات ، وذلك بالقدر الذى تطيقه حالة عرب الجاهلية يومئذ ويتحمّله محيطهم .

نزور مدينة الحيْرة عاصمة العرب فى ذلك العهد ، ونجول فى ساحاتها وأرباضها . فنرى

هنا وفوداً من العرب عَقَلوا أباعرهم ، ولاثوا عمائمهم ، وتنكّبوا قسيّهم ، ومَشَوْا الخيلاء بمطارف الخز ، وبرود اليمن ، وهم سُمر صلع مسترسلو اللحى شُم ّ الأنوف من الطراز الأول .

ونرى هناك نساءً من النصارى يرفلن فى الدمقس وفى الحرير ، يتراكضن إلى الكنيسة ليسمعن قُداساً يقوم به جاثليقها (صبر يشوع) .

وبجانبهنّ على برازيق الطريق أسراب من أولادهن يهرولون إلى الكتاتيب يحملون الدفاتر والألواح ، وفى أعناقهم وأعناق أمهاتهم صلبان الفضة والذهب ، وفى أرجلهم النعال من جلد (الأرندج) وهو الجلد الأسود أو المدهون بالدهان الأسود (البويا) .

ثم لا نلبث أن نسمع قعقعة اللُّجم ووقع حوافر خيل البريد قادمة إلى الحيرة من (المدائن) عاصمة فارس تنهب الأرض نهباً تحمل إلى ملكها (النعمان بن المنذر) رسائل الملك (كسرى) يأمره فيها وينهاه ، ومع البريد أساورة ودهاقين من عظماء فارس حمر الوجوه صهب الشوارب محلوقو اللحى على رؤوسهم القلانس البُطح أو الضاربة فى الهواء صُعُدا ، وقد أفرغوا على أبدانهم أقبية الحرير الملونة بالأرجوان ، والمخوّصة بالذهب ، وفى أوساطهم مناطق الفضة تتدلىّ منها السيوف والخناجر المرصعة .

وإذا أحد هؤلاء الدهاقين يحاور رجلاً فى أمر بيع وشراء ، وقد ارتفع صوت الدهقان واحمرّ لونه ، فنسأل سوقيا من عرب الحيرة عن الخبر فيقول لنا :

إن الدهقان أعطى هذا (السِفسير) الذى يجادله (نُمِّياً) ليبتاع له به (فصافص) لفرسه وكأنَّ (الفصافص) لم تعجب الدهقان فردها إلى (السِفْسير) واسترد منه (نُمِّيَّه) .

فقلنا للعربى الحيرى : ويحك ماذا تقول ؟ فإننا لم نفهم مما قلت شيئا . فتفرّس فى وجوهنا قليلا ، ثم قال : (السفسير) كلمة فارسية بمعنى السمسار و (الفصافص) جمع فصفصة القت أو الباقية التى تعلفها الدواب ، وهى أى الفصفصة كلمة فارسية معربة من (إسفِست) و (النُمِّىُّ) كلمة رومية تدل على ضرب من النقود يتعامل به أهل بلدنا .

فامتعضنا وقلنا له : ويلكم يا أهل الحِيرة ! أوقعتمونا من أمركم فى حَيرة ! تتكلمون بالكلمات الفارسية وأنتم عرب !

قال : وما علينا فى ذلك ؟ وهذا النابغة شاعر مليكنا النعمان يصف ناقته التى لم تَجْرَبْ ويذكر شراء الفصفصة لها بالنمىّ بواسطة السِفسير فيقول :

(وقارفت وهى لم تَجْرَبْ وباع لها من الفصافص بالنُمىّ سِفسير)

ومثلما كانت دهاقنة الفرس وأساورة كسرى يزورون الحيرة عاصمة العرب ، كان رؤساء القبائل من العرب يزورون المدائن عاصمة كسرى ، فيقضون لباناتهم ويتزوّدون حاجاتهم .

فلقيط بن زرارة سيد بنى تميم والذى عاش قبل الإسلام بنحو خمسين سنة ما كان يفتر عن زيارة (المدائن) ولا فى التردد على أنديتها وشهود مواسمها ومهرجاناتها [١] .

وكان إذا جاء المدائن يسمع سكانها يلهجون بذكر ابنة كسرى المسّماة (دخترنوش) ويتحدّثون بأخبارها ، وجميل صفاتها ، ورجع يوما من المدائن إلى قبيلته فبشروه بأن زوجته وضعت أنثى فسرّ بها وسمّاها (دخترنوش) باسم الأميرة دخترنوش ابنة كسرى ، ولفظ (دخترنوش) مركب من كلمتين فارسيتين (دختر) ومعناها بنت و (نوش) ومعناها الهناء ، أى أن تلك البنت المسماة بهذا الاسم تملأ بيت أبيها هناء وصفاء وأنسا . ولكن هل بقى لقيط ونسوة بيته يلفظون اسم (دخترنوش) كما يلفظها الفرس أنفسهم . كلا ، وإنما هم عربوه أى أفرغوه فى قوالب كلمات لغتهم ونحتوا من الكلمتين كلمة واحدة فقالوا (دختنوس) . ثم إن الفتاة دختنوس العربية التميمية هذه كبرت واشتهرت فى قومها بالعقل وأصالة الرأى . ولما نشبت الحرب بين قبائل العرب فى يوم (جبلة) وهو من أيام العرب المشهورة أو هو أشهرها بعد (يوم ذى قار) كان (لقيط) أبو (دختنوس) قطبَ رحى تلك الحرب وموقد نارها ؛ وقد اصطحب معه ابنته (دختنوس) للاستضاءة بنور رأيها فى ظلمات ذلك اليوم العصيب . أما هى فقد وجدت أن الهزيمة ستكون من نصيب أبيها وحلفائه ، فقالت له (ردّنى إلى أهلى ولا تعرّضنى لبنى عبس وعامر) أى للسبى ، فاستحمقها أبوها وردها ، ثم كانت عاقبة الحرب وفق ما تنبأت به (دختنوس) ، وطعَنَ عنترة العبسى أباها طعنة قصم بها صلبه ، فذكر وهو يجود بنفسه ابنته دختنوس ، فقال :

(يا ليت شعرى اليوم دختنوس إذا أتاها الخـــبرُ المرموس)
(أتُحلق الشـــعور أم تنوس لا بل تنوس إنهـا عروس)

---

(١) ولا سيا بعد أن رهن أخوه (حاجب بن زرارة) قوسه عند كسرى ، فقد تعهد حاجب للملك أن لا يعيث العرب فساداً فى الحدود وأعطى قوسه رهينة على ذلك فأصبح قوسه مضربا للمثل .

يقول إن ابنته إذا بلغها الخبر المرموس ، وهو خبر موته[١] ماذا تصنع ؟ هل تحلق ذوائب شعرها كما هي عادة نساء العرب حزناً على موتاهن أو أنها تترك ذوائبها تنوس وتتموج على ظهرها ؟ ثم أجاب نفسه قائلاً : لا . لا ينبغي أن يُحلق شعرها وتشوه محاسنها ، وإنما عليها أن تدع ذوائبها ترقص على ظهرها ، لأنها عروس والعرائس يزينهن جمال الشعر وطول الذوائب[٢] .

فاسم دختنوس الذى كان أصله فارسيا فعرّب وأصبح عربيا دلنا فوق معناه اللغوى على مغزى اجتماعى وهو اتصال عرب الجاهلية بالفرس وتقليدهم لهم فى بعض شؤون الحياة حتى فى تسمية أولادهم بأسماء أولاد الفرس ، وفى لغة العرب القدماء شواهد كثيرة على هذا الاتصال والتقليد .

وإذا كان لقيط سيد تميم سرّه أن يتخذ لابنته اسماً من أسماء بنات فارس ، فإن أعرابيا آخر أعجبه أن يكون لابنته سوار تديره على معصمها من الخرز البراق ويكون من صنع الفرس فتتزين به وتباهى فتيات الحى بحسنه وجمال صياغته .

وهذا السوار المتخذ من الخرز كان الفرس يسمونه (رَسْوة) ويسمونه (دسْتِينَج) أيضا . فقد جاء فى المخصص (ج ٤ ص ٤٩) ما نصه : (قال بعض الأعراب الرسوة هى الدسْتِينَج) . وفى التاج (الرسوة والدستينج كلاهما معربان) أى أن العرب نقلوهما إلى لغتهم من لغة الفرس[٣] .

---

(١) لأن معنى الرمس أن تطمر الشىء وتخفيه بإلقاء التراب عليه ، ومن هنا سمى القبر رمساً ؛ فخبر الموت غير المنتظر لا يعلن فى أول الأمر إعلانا وإنما يقصه الناعى على الآخر سرا ، بل ربما استكتمه إياه أو كلفه أن لا يرويه عنه ، ثم يشيع على هذه الصورة رويداً رويداً . فلقيط يقول فى شعره : إنه إذا بلغ ابنته دختنوس خبر موته من أهل الحى وهم يتناجون به مستخفين متهامسين .

(٢) ولا نعلم إن كانت دختنوس عروساً بالفعل يوم قال أبوها هذا الشعر أو هو يعنى كما نعنى اليوم مذ نسمى الجويرية الجميلة بالعروس ولا تكون هى عروساً ، وإنما نحن نتفاءل بأنها ستصبح عروسا أو صلحت لأن تكون عروساً ، لكن يظهر من كلام المؤرخين أن دختنوس كانت عروساً بالفعل فى ذلك الحين وكان زوجها واسمه عمرو بن عدس[١] ممن شهد الوقعة التى قتل فيها ختنه لقيط وقد أسر ثم أطلق وكان ذا مال كثير إلا أنه كبير السن فلم يطب لدختنوس العيش معه فأبغضته ولم تزل به حتى طلقها .

(٣) وكلمة (الدستينج) داخل فى تركيبها لفظ (الدست) ولا يخفى أن الدست بلغة الفرس معناها السيد .

---

(١) وعدس التميمى هذا يلفظ بضمتين كعنق ، أما من سواه من الرجال المسمين بعدس فيلفظ بضم ففتح على وزان زفر .

وكان الناس فى الصدر الأول يعرفون الدساتج أو الدستينجات وأنها أسورة تتخذ من منظوم الخرز ، ثم شاعت بينهم كلمة (الرسوة) فكأنهم لم يفهموا معناها لأول وهلة ، فسألوا ذلك الأعرابى من سكان البادية عنها فأجابهم مبتسما مُدِلاً عليهم بمعرفته لمعناها دونهم قائلا (الرسوة) هى الدستينج التى تعرفونها يا قوم .

فلا جرم أن هذا الأعرابى الأديب يستحق منا الإعجاب والثناء على ذكائه ، وحفظه للكلمات المترادفة فى لغته ولو كانت الكلمات أعجمية .

ولم تكن عرب الجاهلية تمارس الصناعات ولا سيما سكان البادية منهم ، فكانوا إذا احتاجوا إلى ماعون أو متاع شروه من القرى الفارسية أو الرومية القريبة من أطراف جزيرتهم ، كما شرى ذلك الأعرابى السوار من التاجر الفارسى .

وها كم أيها السادة أعرابيا آخر أحب أن يشرىَ لابنه اليافع لُعبة يلهو بها فقصد بابنه إلى الحيرة وذهب توا إلى سوق الجوالى (أى النزلاء) من أهل فارس حيث يبيعون أمتعة بلادهم ومصنوعات قومهم ، ودخل حانوتاً تباع فيه اللعب . فجعل الصبى العربى يقلب نظره فى أىّ اللُعب أعجبُ وأمتعُ للهوه ، فوقع نظره على حصان من خشب له رأس وناصية وعنق وقوائم وصهوة ، يمتطيها الغلام فيدرج به الفرس هنا وهناك ؛ فلم يكن شىء من اللُّعب أعجبَ لهذا الناشى العربى من ذلك المهر .

ولا بدع إذا فضّل غلمان العرب لُعبة هذا الحصان على كل لعبةٍ سواها ، وهم يشاهدون آباءهم وأعمامهم يكرمون الخيل كما يرون فتيان القبيلة يمتطونها ، ويطاردون عليها :

فكأنها نُتجت قياماً تحتهم   وكأنهم ولدوا على صهواتها

فركب الصبى المهر وجعل يجرّب الكرّ والفرّ عليه ، فقال التاجر الفارسى له هذا (الكُرّة) صغير لا يناسبك ، ودونك هذا ؛ وأعطاه كُرّةً أكبر منه . فانتبه الأب وابنه إلى كلمة (الكرّة) وعلما أنها اسم فارسى لهذا المهر الخشبى فجعلوا ينطقون بها مكان كلمة الحصان .

وأخيراً اشترى الأعرابى الكرة وحمله وحمل اسمه ورجع بهما إلى الحى .

و بعد قليل شاعت كلمة الكرة على ألسنة العرب لكنهم عرّبوها بقلب الهاء جيما وقالوا كُرّج .

ولكلمة (الكرّج) فى آدابنا العربية مجال واسع سنورده فى محاضرة خاصة .

وإذا زرت النعمان أو غيره من أمراء العرب المتحضرين ، وجدت آثار الصناعة الفارسية من متاع ورياش ، وماعون مبثوثة هنا وهناك فى دورهم ، وأبهاء قصورهم ، فإذا دخلت أحد هذه القصور قابلك أحد الخدم وهو من عرب الحيرة ليُريك تحفه ، وضروب الزينة التى فيه فيعرّفك بنفسه أولاً قائلاً : إنه شاكرى من شاكرية القصر . والشاكرى كما فى كتب اللغة كلمة فارسية تكون بمعنى المستخدم ، وهى معربة عن كلمة چاكر أو چاكرد التى استعملها الأتراك العثمانيون بمعنى التلميذ .

وترى فى القصر موائدصغيرة مستديرة من رُخام و بعضها من فضة . فيقول لك الشاكرى إن هذه الفواثير يقدم عليها الطعام للأمير ولضيوفه . وواحد الفواثير (فاثور) وهو خُوان الطعام .

وفى حديث سيدنا على رضى الله عنه أنهم دخلوا عليه يوم عيد ، فإذا بين يديه فاثور عليه خبز حنطة .

ويشبّه شعراء الجاهلية نحر المرأة وصدرها الأبيض بفاثور الفضة أو الرخام .

وقال جميل فى بثينة : (وصدر كفاثور اللجين وجيدُ) ، وقال آخر : (لها جيدُ ريم فوق فاثور فضة) ، فكلمة (فاثور) الفارسية شاعت فى كلام العرب الأولين شيوع كلمتى (طاولة) و (ترابيزة) فى كلامنا اليوم .

ويطوف بنا الشاكرى أروقة الخورنق ومقاصيره . والخورنق قصر النعمان ، واسمه مركب من كلمتين فارسيتين (خور نكاه) أى مكان الأكل والشرب ، أو هو المقصف بالعربية الفصحى ، فكانت تجرى على لسان الشاكرى — وهو عربى فى بلاط ملك عربى — كلمات فارسية كثيرة لا نفهمها ، فكان يفسرها لنا و يستشهد لكل كلمة منها بشاهد من أقوال العرب .

من ذلك أننا رأينا رجلين عاكفين على شىء أمامهما . فقال لنا إنهما يلعبان بالأَسْبرَنج يعنى بالشطرنج ، وقد سمى الشطرنج بالأسبرنج تسمية له ببعض قطعه ، وهى الفرس ،

إذ أن كلمة اسبرنج مركبة من كلمتين فارسيتين (أسْب) بمعنى فرس و (رنك) بمعنى شكل . وفى الحديث الشريف من لعب بالأسبرنج والنرد ، فقد غمس يده فى دم خنزير .

وكانت تجرى على لسان الشاكرى مراراً كلمة (آيين) وفسرها لنا بالقانون والعادة المرعية فى قصور الأكاسرة .

وعند الفرس كتاب اسمه (آيين) دوّنوا فيه آداب ملوكهم ومراسيمهم فى قصورهم . قال ابن قتيبة فى كتابه (عيون الأخبار) : « قرأت فى الآيين أن الرجل إذا اجتمع فيه خصال ثلاث : قِصَر ، وحَوَل ، وشَدَق كان لا يستعمل فى دار الملك » . فإذا كان الآيين بمعنى الآداب والمراسم التى تراعى فى قصور ملوك الفرس وعربها العرب كذلك صلحت أن تحل محل كلمة (بروتوكول) بل هى أخف منها وأفصح .

و إذا تشاءم متشائم بكلمتى (آيين) و (بروتوكول) لعجمتهما أمكننا الاستغناء عنهما بكلمة (الرسم) و (الرسوم) فيقال مثلا (الرسم فى حفلات قصر الجمهورية أن يفعل كذا ويترك كذا) .

ولهلال الصابىء المتوفى (سنة ٤٤٨ هـ) مصنَّف نفيس سماه (رسوم دار الخلافة) نشره الأستاذ ميخائيل عواد العراقى وقال يراد بكلمة الرسوم معنيان : الإتيكيت (étiquette) والبروتوكول (Protocole) .

أقول : وخلاصة الفرق بينهما أن الإتيكيت آداب المعاشرة بين الناس كافة ، والبروتوكول آداب الاجتماعات فى قصور العظماء ، وكلمة الرسوم العربية نستعملها فى المعنى الثانى .

ومن الرسوم اشتق الأتراك العثمانيون كلمة (مراسم) للدلالة على معنى قريب من معنى (البروتوكول) . ومن كلمة الرسم جاءتنا بل غمرت لغتنا كلمة (الرسمى) اجتماع رسمى و (رسمية) حفلة رسمية الخ . وأخيراً مرسوم وصدر المرسوم ولم يصدر المرسوم بعد .

على أن كلمة (آيين) شاعت فى العهد العباسى ، وتوسعوا فى معناها حتى أطلقوها على معنى (العادة) .

من ذلك أن المأمون قال لجلسائه يوماً ، وقد أمر (صاحب الطعام) أن يتخذ (رؤوس

حُملان) غداءً لهم : « إن من آيين الرؤوس أن تؤكل فى الشتاء خاصة وأن يبكِّر آكلها عليها وألّا يخلط بها غيرها ولا يستعمل بعقبها الماء » ، فقوله : (آيين الرؤوس) يعنى العادة فى أكلها — أو أنه أراد الإشارة إلى أن ما ذكره فى طريقة أكلها هو المعهود منذ القديم فى مآدب كسرى .

ومرتِ على لسان (الشاكرى) كلمة (موانيذ) الفارسية ، ففسرها لنا ببقايا الأموال الأميرية أو الخراجية تتجمع على الزمن فى ذمم الرعية كما فسَّر كلمة (السَّمَرَّج) وهو لفظ فارسى عرّبه العرب ، قال العجاج (يوم خراج يخرج السَّمَرَّجا) وأصله بالفارسية (شَمَرج) بالشين المعجمة ، ومعناه استخراج مال الخراج من الأهالى وجبايته منهم على ثلاث دفعات أو أقساط .

فالسمرَّج والموانيذ كلمتان أو اصطلاحان ماليان اقتبسهما العرب من الفرس فى العهد العباسى ، ويراد بموانيذ بقايا من أموال الويركو ، وبالسمرَّج تقسيط أموال الويركو ثلاثة أقساط .

وجاء فى بعض كلام الشاكرى كلمة (جردبان) ففسرها لنا بالشرِهِ النهِم الذى يأكل مع رفاقه ، ويضع يده الأخرى على الرغيف الذى بجانبه لئلا يتناوله غيره ، قال الشاعر :

(إذا ما كنت فى قومٍ شهاوى   فلا تجعل يمينك جردبانا)

وكنا أحيانا نكلم الشاكرى فيقول (آرا) وقد فسرها لنا بكلمة (نعم) على حد قول إخواننا العراقيين اليوم (خوش) . ومعنى خوش بالفارسية حسن ، كأنهم أرادوا الموافقة على قول جليسهم .

ووصف الشاكرى رجلا فقال هو (خوش) وفسرها بضئيل الجسم صغيره . ووصف حرارة الجو فقال (حَرّسَخْت) وفسر السخت بالتشديد ، ومنه كلمة (سختيان) لضرب من الجلود . وسمى الدولاب الصغير الذى يدور على نفسه ويستعمله الخرّاط وحفار الخواتم — سماه (الشهرق) . وأشار إلى رجل يلبس ثوباً لفت نظرنا فقال : إن هذا الثوب هو (الديابوز) وفسره بثوب ينسج على نيرين وأصله بالفارسية (دوبوز) .

وكان يستشهد على كل هذه الكلمات المعرّبة بشاهد من كلام العرب . وأكثر ما كان

يتمثل بشعر الأعشى ؛ فقد أشار مرة إلى فرقة موسيقية عربية ، فسمى آلات الطرب التى تعزف بها تلك الفرقة واحدة واحدة ، ثم قال إن هذه الأسماء وردت فى شعر للأعشى ، وهو قوله :

ومُسْتَق سِيسَمْنٍ .ووَنًا . وبَرْبَطاً   يجاوبه صنجٌ إذا ما ترنّما)

(مُستَق سِيسمن) مزمار يؤخذ باليد و (الوَنّ) صنج يضرب بالأصابع و (البربط) العود أو شبهه و (الصنج) معروف .

وقد هالنى ما سمعته من الشاكرى من الكلمات الفارسية الدخيلة فى لغة الجاهلية ؛ فقال رفيق لى بجانبى : لا ينبغى لك أن تعجب بعد ما سمعت الوحى الإلهى يقول (إذا الشمس كورت) .

قلت : وماذا تعنى بهذا ؟ .

قال : ألا تدرى أن بعض علماء اللغة جعل فعل (كُوِّرت) معرباً من أصل فارسى ؟ فكما استعمل العرب فعل هندس يهندس هندسة من كلمة (أندازه) الفارسية استعملوا أيضا فعل (كَوَّر يكور تكويراً) أى أعمى يعمى إعماءً من كلمة (كور) فى لغة الفرس والترك أيضا ومعناها فى اللغتين الأعمى الذى فقد نور عينيه . ويقول الفرس مجازا (كور أوطه) أى غرفة مظلمة لا نور فيها (كور قنديل) أى قنديل مطفأ أو يكاد ينطفىء ؛ وعلى هذا الأساس أنزل الله فى كتابه العزيز قوله واصفاً حالة الشمس يوم القيامة (إذا الشمس كورت) أى إذا قامت القيامة وكان من آياتها الكبرى أن تكوَّر الشمس (أى يُعميها الله تعالى) فَتَطْمُسَ ويذهب نورها كما يذهبُ نور البصر فى الرجل الأعمى ؛ وربما كان هذا المعنى هو الذى أراده كل من قتادة والفراء ؛ فإنهما قالا : (كورت أى ذهب ضوؤها) ويشهد لتفسير تكوير الشمس بمعنى العمى وذهاب نور البصر ما قاله (السير أوليفرلدج) الإنكليزى ، فقد حقق أنه يذهب من المادة المنيرة فى الشمس كل يوم (٣٤٥٦٠٠) مليون طن . وبعد (٣٠٠) مليون سنة تعمى الشمس وتفقد نورها تماماً اهـ .

وعرب الجاهلية ما كانوا يجهلون كلمة (كور) الفارسية التى معناها أعمى بدليل استعمالهم لكلمة (شبكور) ومعناها الذى لا يبصر فى الليل ، وهى مركبة من (شب) ليل (كور)

أعمى . واشتق العرب من شبكور (الشبكرة) ، وفسروها بالعشاء وهو ضعف البصر فى الليل . وقال الجاحظ ما نصه : « ليس للعرب اسم لمن لا يبصر فى الليل وهو الذى يقال له شبكور أكثر من أن يقولوا عنه (هُدَبِد) » اهـ . ولنا الحق أن نعتب على الجاحظ مذ قال إن العرب ليس لهم اسم لضعيف البصر فى الليل إلا كلمة هُدبِد ، وقد ذهل عن كلمة العشاء بمعنى ضعف البصر فى الليل ، والوصف منه أعشى ، وقد سُمِّيَ خمسة شعراء باسم الأعشى فى الجاهلية والإسلام . ومن فصيح أمثال العرب (سقط بك العشاء على سرحان) لكن لكل جواد كبوة وهذه واحدة من كبوات الجاحظ .

ولما انتهى رفيقى فى حديثه إلى هنا قلت له : ومن أين جاءك أن تفسير (كوّرت) فى الآية بمعنى عميت وأنها من كلمة (كور) الفارسية . قال : جاءنى هذا من عبارة التاج فى مستدركه ، فقد قال ما نصه : « إذا الشمس كُوِّرت أى عوّرت حكاه الجوهرى عن ابن عباس وهو بالفارسية كور » اهـ ، ولا يخفى أن طائفة من المفسرين يجعلون معنى (كوّرت) لُفّت وجمع بعضها على بعض كما تكوّر العمامة ، وهذا هو الأشهر فى تفسير الآية .

ثم إن رفيقى أتم حديثه قائلاً : وهكذا تدفق سيل التعريب من عهد الجاهلية إلى صدر الإسلام ، فعدّت معرّبات القرآن بالمئات إلى عهد العباسيين ، فعهد ملوك الأعاجم فى القرون الإسلامية الوسطى ، فعهد العصور المتأخرة ؛ عندها طمى السيل وطفح التعريب عن الكيل .

قال : وبالأمس كنت أطالع رحلة الشيخ عبد الغنى النابلسى إلى طرابلس سنة ١١١٢هـ أى منذ مائتين وخمسين سنة ، فكان مما ذكر فيها أنه مرّ بمدينة بعلبك وأنه زار متنزهها الشهير المسمى برأس العين . قال (فإذا فيه صفصاف يقال له صفصاف السرنكون غصونه متدلية إلى الماء اهـ) ، والسرنكون كلمة فارسية مركبة من كلمتين : (سر) رأس و (نكون) معكوس منكوس ، يعنى أن رؤوس أغصانه منكسة إلى تحت . وهذا الصفصاف هو الذى تسميه العامة اليوم الصفصاف المستحى .

فقلت لصاحبى : إن كلمة (السرنكون) لا يعرفها عرب الجاهلية الأولون ، بل ولا الإسلاميون الأولون ، ولم أرها فى معاجم اللغة ولم أسمعها إلا من الشيخ النابلسى ، نقلاً عن أهل بعلبك فى ذلك العهد ، وقد حققت من أهل بعلبك ومن المعمرين من أسرة حيدر

بواسطة صديقنا الأستاذ سعيد بك حيدر ، عما إذا كان عندهم علم بكلمة (السرنكون) قديماً أو حديثاً ، فقالوا : إنهم لم يستعملوا هذه الكلمة فى معنى الصفصاف المذكور ، ولم يبلغهم أن أحداً من أهل بعلبك الأقدمين استعملها . فقلت لسعيد بك إذن لم يبق إلا أن نفرض أن أديباً من أدباء إيران زار إخوانه من شيعة بعلبك منذ ثلاثمائة سنة ، فوصف رأس العين وقال شعراً فى صفصافه وسماه سرنكون ، ودار الشعر على أفواه العامة فى تلك البلد وعلقت كلمة سرنكون فى أذهانهم وعلى ألسنتهم ، وسمعها الشيخ النابلسى منهم ثم ماتت ، وهذا ككلمة (خنذيذ) يصفون بها الشاعر ، فقد شاع استعمالها فى سوريا منذ أكثر من خمسين سنة ، فكانوا يقولون شاعر خنذيذ ، ثم استثقلوها وأهملوها فماتت وعاش مكانها شاعر ملهم وشاعر عبقرى . وحبذا لو ندرى ما إذا كان الإيرانيون اليوم أو الفرس قبل اليوم يسمون الصفصاف المستحى (سرنكون) . ويظهر أن الأتراك أو أدباءهم يعرفون كلمة (السرنكون) وقد استعملها شاعر الترك الأكبر بمعناها الفارسى أعنى معكوس منكوس ، فقد قال بيتين خاطب بهما السلطان عثمان الأول مذ زار قبره فى (بروسه) وجاءت فيهما كلمة (سرنكون)[١] فقال :

(أويان أرتق أويان أى حضرت عثمان ذى همت
أو ياندر كورنه حاله كيردى تأسيس أنديكك دولت)

(يتش امداد ينه بى كس قالان أرباب إيمانك
يتش كه (سرنكون) اولدى لواى نصرت ملت)

هذا أيها السادة لون من ألوان البحث فى التعريب أحببت أن أورده على هذه الصورة تليناً لعريكة إخواننا المتشائمين به ، الناقمين منه ، الزارين عليه المحرّمين لاستعماله ؛ ولا عذر لهم فى كل هذا الزهد فيه ، إلا أن يقولوا إن الزمن اختلف ، والاختلاط بالأمم الأعجمية المتغلبة ازداد ، بحيث أصبح التعريب خطراً يهدّد سلامة اللغة ، بعد أن كان كالطراز المنمنم

---

(١) هذا وكما قلت فى كلمة (سرنكون) إنها من المعربات الحديثة التى لا يعرفها العرب الأقحاح أقول مثله فى كلمات معربة أخرى ذكرت آنفا إن عرب الجاهلية نطقوا بها وفى ذلك شك ، إذ ربما كانت مما عرب فى العهد العباسى وقت أن اشتد اختلاط العرب بالفرس وتقليدهم لهم فى التراتيب الإدارية والأوضاع الاجتماعية مثل كلمات (آيين) (موانيذ) (شاكرى) (بربط) (ديابوز) فى نظائرها .

على حواشيها ، يشب[1] حسنه حسنها ويُحَلِّيها . فالواجب يقضى بمنعه وسد الطريق فى وجهـه ، اللهم إلا عند الضرورة القصوى التى حدّدها مجمع فؤاد الأول ، فـكان على ما قال المعوّل .

دمشق فى ١٦ نيسان ١٩٤٣

---

(١) قالت عائشة له صلى الله عليه وسلم وقد لبس مدرعة سوداء : « ما أحسنها عليك ! يشب سوادها بياضك وبياضك سوادها » .

تعريب الأساليب[1]

نريد بتعريب الأساليب نحواً مما أراده « مجمع اللغة العربية الملكى » بتعريب الكلمات مذ قال فى القرار السادس من قراراته : هو « إدخال العرب فى كلامها كلمة أعجمية » ونحن نقول فى «تعريب الأساليب» : هو إدخال العرب فى أساليبها أسلوباً أعجمياً ، واللغات يستعير بعضها من بعض أساليب كما يستعير كلمات ، وهذا معنى قول الجاحظ (كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى وتأخذ منها) .

وليس بين أدبائنا كبير نزاع فى أمر قبول الأساليب الأعجمية وعدم قبولها ، وجل ما اشترطوه فى قبول هذه الأساليب ألا تكون مخالفة فى تراكيبها لقواعد اللغة العربية ، وألا تكون نابية عن الذوق السليم ، ولم يشترطوا قط فى إدخالها إلى أساليبنا (الضرورة) كما اشترطه « المجمع الملكى » فى تعريب الكلمات مذ قال : « ومجمع اللغة العربية الملكى يجيز تعريب الكلمات عند الضرورة » .

فالباب مفتوح للأساليب الأعجمية تدخله بسلام ، إذ ليس فى هذه الأساليب كلمة أعجمية ، ولا تركيب أعجمى ، وإنما هى كلمات عربية محضة ركبت تركيباً عربيا خالصاً . لكنها تفيد معنى لم يسبق لأهل اللسان أن أفادوه بتلك الكلمات . فقولهم « طلب فلان يد فلانة » كلمات عربية مركبة تركيباً عربياً ؛ لكننا إذا خاطبنا بها العربى القح لم يفهم منها المغزى الأعجمى ، وهو خِطبة الفتاة ؛ وإنما هو اعتاد أن يفهم خطبتها بمثل « خطب فلان فلانة » .

وقد حاول بعضهم أن يمنع استعمال الأسلوب الأعجمى إذا كان فى الأساليب العربية ما يُغنى عنه . وردّ هذا بأن المحققين لم يشترطوا فى تعريب الكلمة الأعجمية أن يكون فى اللغة العربية ما يغنى عنها ، فكيف يشترط ذلك فى الأسلوب الأعجمى ؟

على أن كلاً من « تعريب الأساليب » و « تعريب الكلمات » أمر طبيعى فى لغات البشر ، يتعذر تجنبه والاحتراز منه . بل إن العناية الإلٰهية التى جعلت لتفرق بذور النباتات

---

(١) نشرت هذه المقالة للمؤلف فى مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية جزء ١ ص ٣٣٢ .

نواميس تساعد على نموها و بقاء جنسها ، كذلك هى جعلت للغات نواميس تساعد على نموها وتكاثر تعابيرها .

ودخول الأساليب الأعجمية فى اللغة العربية قديم يتصل بالعهد الجاهلى ، ثم نشط فى العهد الإسلامى ، منذ حمل راية الكتابة فيه عبد الحميد الكاتب ، ثم تكاثر ونما فى العصر العباسى ، وحامل راية التعريب فيه ابن المقفع ؛ حتى كانت نهضتنا الحديثة ، فرجح ميزانه ، وطغى طوفانه .

وقد أصبح تمييز الأسلوب الأعجمى من الأسلوب العربى سهلا ، لكثرة المتكلمين باللغات الأعجمية بيننا ، على العكس من تمييزها فى العصور الأولى ؛ فإن هذا التمييز من الصعوبة بمكان . لكن الأساليب الأعجمية موجودة فى اللغة العربية على كل حال . وربما وجد له شواهد فى شعر عدى بن زيد العبادى ، الذى تربى فى بلاط الأكاسرة . وله شعر كثير مملوء بالكلمات الأعجمية ، فيبعد ألا يكون فى شعره أساليب أعجمية أيضاً . وكذا يقال فى شعر الأعشى وغيره من الشعراء الذين خالطوا الأعاجم ، وتأثروا بثقافتهم .

أما نشوء الأساليب الأعجمية فى صدر الإسلام ، فيكفى شاهداً عليه ما قاله أبو هلال العسكرى صاحب كتاب « الصناعتين » :

« ومن عرف ترتيب المعانى ، واستعمال الألفاظ على وجوهها ، بلغة من اللغات ، ثم انتقل إلى لغة أخرى ، تهيأ له فيها من صنعة الكلام ، ما تهيأ له فى الأولى . ألا ترى أن عبد الحميد الكاتب استخرج أمثلة الكتابة التى رسمها لمن بعده من اللسان الفارسى ، وحولها إلى اللسان العربى ؟ » اهـ

ولا يعنى بأمثلة الكتابة الفارسية إلا أساليبها التى لا عهد للعرب بها .

وكما أن عبد الحميد الكاتب تأثر بالثقافة الفارسية ، ونقل أساليبها إلى العربية ، كذلك أبناؤنا منذ فجر هذه النهضة الحديثة ، تأثروا بالثقافات الأوربية المختلفة ، التى تمرسوا بها ، وتعلموا لغاتها . وكل طائفة منهم نقلت من اللغة التى تعلمتها طائفة من الأساليب إلى لغتنا . وكثير من هذه الأساليب جاءنا عن طريق الثقافة التركية ، المتأثرة بالثقافات الأوربية ، (ولا سيما الثقافة الفرنسية) بأشد من تأثر ثقافتنا بها .

فيجدر بنا نحن المنقطعين لخدمة اللغة العربية فى المجامع اللغوية أن نتقصى هذه الأساليب الأعجمية الدخيلة ، فندونها كما دون من سبقنا الكلمات الأعجمية المعربة ، ونميز الغث من السمين من تلك الأساليب ، ونهيئها للدخول فى المعجم الجديد ، الذى عينت له لجنة خاصة فى مجمع اللغة العربية الملكى .

ثم إن البحث فى الأساليب الأعجمية يتناول وجوهاً :

(١)

قد يقع التوارد بين لغتنا ولغة غيرنا فى الأساليب : فلهم أساليب ولنا أساليب بمعناها . ولدينا طائفة من الأساليب العربية ، نرى مثلها فى كلام الأعاجم . وتكون هناك قرائن تدل على أن لا تواطؤ ولا علاقة بينهما . وأن كلا منهما نشأ فى لغته و بيئته من دون أن يتأثر بالآخر . ويكون السبب فى ذلك أن منشأ الأسلوبين والباعث عليهما والحافز إليهما فى اللغتين واحد ؛ كأن يكون طبيعياً فى البشر على اختلاف أجناسهم وثقافاتهم ؛ فمن سرح الدابة بعد أن كان يقودها بزمامها ، لا يدع الزمام على الأرض ، بل يطرحه عادة على كتفها أو عنقها . العرب يفعلون ذلك فى مطاياهم ، والإفرنج يفعلونه فى دوابهم . ثم إن كلا الفريقين من دون أن يتأثر بالآخر نقل استعمال تسريح الدابة إلى معنى تسريح الشخص الذى تهمل أمره ، وتترك له حريته يتصرف كما يشاء ؛ فقالت العرب : « ألقيت حبل فلان على غاربه » وقالت مدام دى سيفينيه الكاتبة الفرنسية فى معنى جعل قلمها يكتب ما يشاء : أترك حبل القلم على عنقه "Je laisse la corde sur le cou"

والعرب يستعملون السهام فى القتال ، كما كان الإفرنج يفعلون ذلك ، ومن عادة الرامى أن يوفر فى سهمه كل ما يجعله يصل إلى الرميّة ويصرعها . وهذا أمر طبيعى فى كل الشعوب التى استعملت السهام . ومثله فى كونه طبيعىّ الحدوث أن يتفطن العرب والإفرنج إلى أن الكلام الذى يقال من دون تدبر أو ترو ، لا يؤثر الأثر المطلوب فى نفوس المخاطبين ، ومن ثم قال العرب فى حكمهم :

وإن كلام المرء فى غير كنهه لكالنبل تهوى ليس فيها نصالها

وقال الإنكليز فى أمثالهم : « الكلام بلا تفكير كرمى السهم بلا تسديد » . ومثله قول

العرب فى استنفاد الوسائل : « رمى آخر سهم فى كنانته » والإفرنج يقولون ما ترجمته : « رمى آخر خرطوشة لديه » .

ونحن نقول فى وصف الرجل بالغيظ « صَرَفَ أسنانه » و « حَرَق الارَّم » : أى حك أسنانه بعضها ببعض . وهم يقولون : "Grincer des dents" .

ونحن نقول بالتنويه بالحب القديم : « ما الحب إلا للحبيب الأول » . وهم يقولون :

"L. homme revient toujours à ses premiers amours"

ونحن نقول فى طلب شدة الانتباه : « افتح أذنيك » . وهم يقولون :

"Ouvrez les oreilles"

ونحن نقول : « خانته قواه » . وهم يقولون : "Les forces le trahirent'

ونحن نستعمل « أكل اللحم » (كما فى القرآن) أو « تمزيقه بالأسنان » للدلالة على الغيبة وذكر الآخر بالسوء . وهم يقولون :

"Déchirer à belles dents" "Coup de dents"

وفى القرآن الكريم أيضا « وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم » ويقول الإفرنسيون فى أمثالهم : « A qulque chose malheur est bon »

ونحن نقول : « شرب الكأس حتى الثُّمالة » وهم يقولون :

"Boire le calice jusqu'à la lie"

ونحن نقول : « فلان ذَرِبُ اللسان » : أى مشحوذ اللسان ، كما يشحذ السلاح ، وهم يقولون : "Avoir la langue bein affileé" إلى غير ذلك من التعابير التى تولدت فى اللغتين بالاستقلال ، من دون أن تستعير إحداها من الأخرى .

وقال الشاعر العربى :

(فيومٌ علينا ويوم لنـــا ويوم نُســـاء ويوم نُسرّ)

وقال الشاعر الإفرنسى :

"Un jour de fête"
"un jour de deuil"
"La vie est fête"
"en un coup d'oeil"

وقال الشاعر العربى :

إذا رأيت أمـــــوراً منها الفـــؤاد تفتت
فتِّش عليهـــــا تجدها من النســـاء تأتت

وقال المثل الإفرنسى : "Cherchez la femme"

(٢)

أساليب تسربت إلى لغتنا فى العهد الأخير ، وكان الظاهر من حالها أنها أعجمية لا يعرفها العرب . ولـكن قد يدعى مدّع عروبتها و إرجاعها إلى عرق فى الأساليب العربية . من ذلك قولنا مثلا : « فلان لا يقدر أن يسافر » و « فلان ما عاد يقدر أن يسافر » « فلان رأيته » «فلان ما عدت رأيته أو لم أعد أراه » « لا يسعفنا الدهر بمثل فلان » « ما عاد أو لم يعد الدهر يسعفنا بمثل فلان » « فلان كان صديقاً لى » و « فلان ما عاد صديقاً لى أو لم يعد صديقا لى » الخ الخ .

فالتعابير الأولى عربية أصيلة ، أما التعابير التى استعمل فى نفيها فعل « عاد يعود » فهى تعابير إفرنجية دخيلة لا يعرفها العرب . و إنما يعرفون النفى الساذج الذى لا يكون فيه فعل «العود» . قالوا : ودخول فعل «العود» فى هذه التعابير قد حدث فى أواسط القرن الماضى منذ شاعت الترجمة عن اللغة الفرنسية ، وقد وجدوا فيها للنفى أداتين (ne pas) و (ne plus) فجعل المترجمون يترجمون الجملة التى فيها (plus) بإلحاق فعل « العود » فيها . ولا يخفى أن النفى مختلف فى الجملتين ؛ فقولنا : « ما قدرت أن أرى زيداً » يفيد مجرد نفى القدرة . أما قولنا : « ما عدت أقدر أن أرى زيداً» ، فيفيد نفى القدرة مع الإشارة إلى أنى كنت أقدر أن أراه قبل ذلك ، أو المعنى « إنى لا أقدر أن أراه الآن ، أما قبل الآن فـكنت أقدر أن أراه » ، وهكذا قولنا : « فلان ليس صديقاً لى » و «ما عاد صديقاً لى» ، فإن الثانية تفيد نفى صداقته بعد أن كانت حاصلة .

ودعوى أن النفى مع فعـــل « عاد » غير عربى موضع شك ؛ إذ يقال : وكيف يفعل العرب إذا أرادوا أن يقولوا إن فلاناً كان صديقاً ثم تحول عن الصداقة . فيرد المترجمون بأن العرب الأقدمين يؤدون هذا المعنى بمختلف الأساليب إلا الأسلوب الذى فيه فعل « عاد يعود» فإنهم لا يعرفونه ، ولا معنى لفعل العود فيه .

فيرد عليهم بأن الأسلوب عربى ، وفعل « العود » فيه بمعنى الصيرورة ، فعاد هى أخت « رجع » وكلتاهما من أخوات « كان » و « صار » ، فمعنى « ما عاد زيد صديقاً لى » ما رجع أو ما صار صديقاً لى . وجاء فى الحديث الشريف : « لا ترجعوا بعدى كفاراً » أى لا تصيروا .

لا يقال كيف يمكن أن تكون « عاد » بمعنى « صار » وهى لا تؤدى تمام معناها لو حلت محلها ، وقيل « ما صار صديقاً لى » .

والجواب أن أخوات « كان » تعمل عملها ، ولكن يبقى لكل منها معنى خاص يميزها ، أو مقام خاص تستعمل فيه . فقول الحديث : « لا ترجعوا بعدى كفاراً » صرّحوا بأن « ترجعوا » فيه بمعنى « تصيروا » ولكن لو حلت محلها « تصيروا » لما أدت تمام معناها . لأن « لا ترجعوا » تفيد معنى « بعد أن كنتم مسلمين » ولو قال « لا تصيروا » لما أفاد تمام هذا المعنى . وهكذا يقال فى مثل « ما عاد صديقاً لى » أن « عاد » بمعنى « صار » وإن لم يمكن أن تحل محلها . ونؤيد قولنا بحديث آخر أصرح فى الدلالة على ما نريد ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم للصحابى معاذ رضى الله عنه : « أعدت فتّاناً يا مُعاذ » ، فقوله : « أعدت » قالوا بأنه بمعنى « أصرت » مع أنها لا يجوز أن تحل محلها بلاغة . وانظر لو أن معاذاً أراد أن يجيب النبى عن قوله ، أيقول له : « لست فتّاناً يا رسول الله » أم يقول : « لم أعد فتّاناً » . وقوله « لم أعد فتّاناً » هو من الأساليب الجديدة نفسها التى تكون فيها«عاد» بمعنى « صار » وزعم المترجمون أنها غير عربية .

ويمكن أن نلخص البحث بقولنا إن استعمال فعل « عاد » فى النفى عربى صحيح ، لكنه قليل الاستعمال فى كلام الفصحاء الأقدمين ؛ وإنما كثر استعماله فى عصر الترجمة الأخير . فهو إذن ليس أسلوباً إفرنجياً محضاً .

ومن الأساليب التى فى عجمتها شك قولهم : «تبادلا التحيات» «تبادلا الشتائم» «تبادلا بعض الكلمات » ، ويقول الإفرنج : (Echanger quelques paroles) ولكن فعل «التبادل» فصيح ، وهو مستعمل فى كلام البلغاء ، يقال « تبادلا ثوبيهما » ؛ غير أن الإفرنج يستعملون فعل «التبادل» فى الأمور المعنوية ، كالأقوال والإشارات ، كما يستعملونه فى الأمور المادية . وقد يقال إن فعل « تقارض » بمعنى تبادل يستعمله فصحاء العرب فى المعنويات ،

كما يستعملونه فى الماديات فيقولون : « تقارض فلان وفلان الثناء » و « تقارضا الزيارة » ، وهكذا ؛ فيا ليت المترجمين الأولين استعملوا فعل « تقارض » فى ترجماتهم مكان فعل « تبادل » ، ولو فعلوا لكانوا وقعوا على اللفظ العربى المستعمل فى هذا المقام .

ويقال أخيراً إن « تبادل التحيات والشتائم » ليس أسلوباً إفرنجياً محضاً كما زعموا .

ومن تلك الأساليب المشتبه فى عجمتها قولهم : « بكى بدموع حارة » . ويقول الإفرنج : (Pleurer à chaudes larmes) فزعم بعضهم أن وصف الدموع بالحرارة أسلوب إفرنجى مترجم لم يعرفه العرب . ورد هذا بأن العرب إن لم يصفوا الدموع بلفظ الحرارة فإنهم وصفوها بمرادف الحرارة أعنى « السخونة » والإحراق ؛ إذ هم يتخيلون أن دمع الحزن سخين ، ودمع الفرح بارد ؛ فإذا دعوا لأحد بالمسرة قالوا : « أقر الله عينه » و « فلان قرير العين » وإذا دعوا عليه بالمساءة قالوا : « أسخن الله عينه » و « عين سخينة » . والفرق بين العرب والإفرنج أن الأولين ينسبون السخونة إلى العين نفسها ، والإفرنج ينسبون الحرارة إلى دموعها[1] .

أما وصف البكاء بالحرارة فقد اتفق فيه الأسلوب الإفرنجى والعربى . الإفرنج يقولون : « بكى بكاء حاراً أو بحرارة » ، والعرب يقولون : « بكى أحر بكاء » و « كان ينشج أحر نشيج » . ويقول العرب أيضاً : « بكى فلان حتى أحرق الدمع مآقيه » .

ومحصل القول أن وصف الدموع بالحرارة ليس بدعاً من أساليب العرب ، ولا يحسن أن يعد فى الأساليب الأعجمية المحضة .

أما وصف البكاء بالمرارة فى قولهم : « بكى فلان بكاء مرًّا ، أو بكى فلان بمرارة »

---

(١) على أن العرب أحيانا يفعلون ذلك . قالت الخنساء :

من كان يوماً باكياً سيداً — فليبكه بالعبرات الحرار

نبه إلى هذا الفاضل (محمد حصار) من مدينة (سلا) فى المغرب الأقصى ونشره فى الرسالة (سنة ٤ صفحة ٥٥٧) ، ثم اهتديت إلى شاهد أصرح وأقوم ، وهو كما فى التاج واللسان فى مادة (حرر) قول الشاعر :

بدمع ذى حرارات — على الخدين ذى هَيْدَبْ

وإنما قلت إن هذا الشاهد أصرح وأقوم لأن (الحرار) فى بيت الخنساء هو فى الراجح محرف عن الجوار أصله (الجوارى) جمع جارية إذ لا يوجد فى اللغة جمع حرار فى جمع حرة وصفاً من الحرارة ضد البرودة .

(Pleurer ameremcnt) فإنه من صنيع الأعاجم ، إذ لا علاقة بين البكاء وطعم المرارة إلا فى أذواقهم . أما العرب فجعلوا وصف المرارة للعيش وللحياة :

« والموت خير من حياة مرة   تقضى لياليها كقضم الجلمد »

وقد أحسنوا صنعاً فى ذلك ، فإن من يقاسى نكد الحياة كان كأنما يتلمظ بشىء مر ، فإنك تراهما كليهما كالحين عابسى الوجه .

ومما ينبغى أن يعد من الأساليب الأعجمية المحضة : وصف التقبيل والقبلات (جمع قبلة بضم القاف) بالحرارة . وربما كان هذا الأسلوب فى الوصف من صنع الإنكليز . ولا نعلم ماذا يريدون بالحرارة فى قولهم : « قبلات حارة » ، أيريدون بها حرارة النفس والجوف ؟ أم يريدون المعنى المجازى ، فيعنون أن القبلات حارة أى لذيذة . ولا جرم فإن الحرارة والدفء هو منبعث اللذة والنعمة فى بلادهم الباردة . كما أن البرودة والخَصَر منبعث النعمة واللذة فى بلاد العرب الحارة . ومن ثم يقولون : « عيش بارد » و « برد الفؤاد والكبد » و « ثلج الفؤاد والصدر » .

ومن الأساليب التى يشككون فى عروبتها قولهم مثلا : « سأسافر غداً برغم المطر أو بالرغم من المطر » وهو ترجمة كلمة (malgré) أو (en dépit de) الفرنسيتين . ولكن قبل أن يترجم المترجمون هذه الكلمة الفرنسية بكلمة « رغم » العربية كانت « رغم » شائعة مستعملة فى فصيح الكلام العربى ؛ إذ يقولون : « فعلت كذا على الرغم من فلان ، وبرغم منه » . وكثيراً ما استعمل العرب كلمة « رغم » مع الأنف فيقولون « على رغم أنفه » و « رغم أنف فلان » . ولعل الفرق بين الاستعمالين العربى والإفرنجى أن العرب يستعملون الرغم مع الأشخاص فيقولون « برغمى » و « برغم فلان » . أما الإفرنج فيستعملونه مع غير الأشخاص أيضاً مذ يقولون مثلا : « زرتك برغم المطر » .

ومن الأساليب الأعجمية التى غلبت على الكتاب المصريين وفى عجمتها شك قولهم : «أثر عليه» وهو تعريب (Influer sur) . وإنما ذهبوا إلى عجمة هذا الأسلوب من حيث إن فعل (التأثير) فى اللغة العربية يتعدى بحرف الجر (فى) فيقولون : «أثر فى نفسه» لا «أثر على نفسه» . والذى ينازع فى ذلك يقول : إن مجمع اللغة العربية الملكى قد قرر قياسية التضمين

فلا بدع إذا ضمن المصريون فعل (أثر) معنى فعل آخر يتعدى بعلى . فقولهم «أثر عليه» مضمن معنى أثر متسلطاً عليه أو متغلباً عليه . والحق أن استعمال فعل « أثر » فى مثل هذا المقام ليس كثيراً فى كلام فصحاء العرب ، و إنما الفصيح أو الأفصح استعمال فعل « حاك يحيك» مكان « أثر يؤثر » . وهاك هذا الشاهد : وهو قوله صلى الله عليه وسلم « البِرُّ حُسنُ الخلق ، والإثم ما حاك فى نفسك » قال اللسان : « أى أثر فى نفسك » ثم قال : (أى اللسان) « فلان ما يحيك فيه الملام » إذا لم يؤثر فيه .

ومن الأساليب المشتبه فى عجمتها قول كتابنا اليوم : « قرأت لامرتين . ودرست فيكتور هيجو » فيُعدون فعلى « قرأ » و « درس » إلى الذات ، وهما فى العربية إنما يعديان إلى الآثار المكتوبة . فيقولون : « درست كتابات فيكتور هيجو » و « قرأت آثار لامرتين » .

وهناك عدا ما ذكرنا أساليب عدة يكثر النزاع حول اعتبارها عربية أو أعجمية . و يمكن أن يقال بوجه الإجمال إنها عربية ، لكن الفصحاء لم يستعملوها استغناء عنها بغيرها أو استعملوها بقلة حتى نهض أبطال الترجمة فى القرن الماضى فاضطروا إلى استعمالها توفية لحق الترجمة الحرفية ، ولاسيما أن تلك الأساليب وردت بكثرة مملة فى الكتابات الإفرنجية ؛ ومن يومئذ شاعت تلك الأساليب على ألسنة كتابنا وفى لغة صحافتنا ولغة التخاطب بيننا .

فمن هذه التعابير الشائعة قولهم :

و بالنظر إلى ...	A l'égard de
و فى الوقت نفسه جاء فلان ...	En même temps
فلان يعمل ضد فلان . ولقحه ضد الكوليرا ...	Contre lui
قتل الوقت (يعنون إضاعته عبثاً) ...	Tuer le temps
فلان يمثل المجمع فى الحفلات الرسمية ...	Représenter
هم عشرة على الأقل أو على الأكثر ...	Au moins ou au plus
أعطى رأيه فى هذه القضية ...	Donner son avis
أقول هذا و بالحرى يقوله كل الناس ...	Plutôt

سهر على كذا (أى اعتنى به) ...	Veiller sur
ألقى المسألة على بساط البحث ...	Mettre une affaire sur

وقد أخذ كتاب الصحف يستعملون تعبير « الطاولة الخضراء » ويوشك أن يكثر حتى يزاحم عبارة « بساط البحث » .

المسألة الآن تحت الدرس ...

المسألة الآن قيد التحقيق أو قيد البحث ...

هذه مسألة جوهرية ...	Essentiel

الأمر كذا و بعبارة أوضح أو بعبارة أصح هو كذا وكذا ...

جو السياسة مكهرب ...	Electrisé

(٣)

أما الأساليب التى لا نزاع فى عجمتها فكثيرة جدا منها قولهم :

عاش ستة عشر ربيعاً ...	Il a vecu seize printemps
ذر الرماد فى العيون ...	Jeter de la poudre aux geux
فلان يكسب خبزه بعرق جبينه ...	Gagner son péin à la sueur de son front
فلان لا يرى أبعد من أرنبة أنفه	Il ne voit pas plus loin que le bout de son nez
فلان يلعب بالنار (أى يعرض نفسه للخطر) ...	Jouer avec le feu
لا جديد تحت الشمس ...	Rien de nouveau sous le soleil
أعطاه فرماناً على بياض أى أعطاه ملء السلطة ...	Donner carte blanche. Plein pouvoir
أعطاه صوته (فى الانتخاب) ...	Donner sa voix
قبض على دفة الحكومة	Tenir la gouvernail de l'Etat.
أزهر العمران . أزهرت المعارف . ازدهرت التجارة ...	Fleurir, Le commerce fleurissait
ساد الجهل . سادت الفوضى	Régner :

والعرب إذا نسبوا السيادة نسبوها إلى الأشخاص والأقوام ، فيقولون : ساد زيد وسادت العرب .

فلان لعب دوراً ، أو مثل دوراً فى هذه القضية … Jouer un rôle

فلان يؤيده الرأى العام … Opinion générale

فلان رجل الساعة ، فلان ينقذ الموقف .

كلّمه بطرَف شفتيه (أى باحتقار) … Du bout des lèvres

وأقول أنا فى دورى … a mon tour

وحاول بعضهم أن يجعل هذا التركيب عربيا فوضع كلمة « نوبتى » مكان « دورى » لـكنه لم يوفق فى محاولته ، و بقى الأسلوب أعجميا لا يعرفه العرب .

توترت العلائق بين الحـكومتين … Rapports tendus

تلبّد جوّ السياسة بالغيوم … S'embrunir

الشيء الفلانى حجر عثرة فى سبيل كذا … Pierre d'achoppement

إلى الملتقى . إلى الغد … Au revoir. à demain

فلان يصطاد فى الماء العكر : Pêcher en eau trouble

شرب على صحة فلان أو شرف فلان … A l'honneur de

والعرب لا يعرفون هذا التعبير . وقد استعمل كتابنا المتأخرون تعبير : (شرب فلان نخب فلان) بمعنى شرب على صحته . وشاع بينهم أنه أسلوب عربى فصيح . لـكن الذى فى القاموس « النخب الشربة العظيمة » قال وهى بالفارسية « دوستكانى »[1] ، وعزا التاج تفسيرها بالدوستكانى إلى الإمام (الصاغانى) وهو خراسانى ، فيكون أعلم باللغة الفارسية من زملائه اللغويين . و يظهر أن معنى « دوستكانى » أن يشرب الشارب الخمرة على صحة صديقه . ومن ثم فسرها بذلك صاحب أقرب الموارد وغيره من أرباب المعاجم المعاصرين ، اعتماداً على قول الصاغانى إن «النخب» هو بالفارسية دوستكانى . أما القاموس فقد اقتصر على قوله « النخب الشربة العظيمة » ، ولم يتعرض لسان العرب لذلك ، و إنما ذكر مصححه فى هامشه أن النخبة الشربة العظيمة ، فليحرر .

ضحك ضحكة صفراء (أو صفراوية) … Rire janue

---

(١) وبالإفرنسية toast واشتقوا منها فعل toaster وقال لاروس إنها إنكليزية ، وهو وهم لأنها فارسية كما قال الصاغانى .

تأثير الوسط . الأوساط السياسية ... Milieu

فعل كذا بصفته حاكما للبلاد . وفلان فعل كذا أو قال كذا كمؤرخ أو كشاعر أو كصحفى أو كرجل مسن عركه الدهر En qualité de ، Comme un

اسمح لى أن أعطيك نصيحة تنفعك ... Permettre

مسألة بسيطة ، رجل بسيط ، قال ذلك ببساطة ... Simple. simplicité

ولعل كلمة « ساذج » تغنى عن كلمة بسيط . على أن « ساذجاً » فارسية الأصل .

ترجمة سطحية ، معرفة سطحية ، درس سطحى ، بحث سطحى ... Superficiel

دسائس فلان تغذى الفتنة . الصحافة الجاهلة تغذى الرأى العام أسوأ تغذية Nourrir

تصفية المحل التجارى . التصفية القضائية Liquider

كانت الحفلة تحت إشراف فلان أو تحت رعاية معالى الوزير Sous les auspices

ويقال فى العربية جرى كذا على عين فلان . وعينٍ من فلان . وبعين فلان . وفى القرآن الكريم « ولتصنع على عينى » .

قرأ كتب أناطول فرانس وتأثر بها إلى حد[1] . أو تأثر بها إلى درجة Jusqu'à. A tel point que

ونقول فى كلامنا الدارج للدلالة على الاقتصاد فى الإنفاق : « حتى نطلّع الراسين سوا » .
وقولنا : « الراسين سوا » إنما يفسره لنا الأسلوب الإفرنسى وهو قولهم :

Pour que nous puissions joindre les deux bouts de l'année.

ففهمنا بذلك أن المراد بالراسين رأسا السنة ، أولها وآخرها . فيكون الطرفان وما بينهما بسبب الاقتصاد سواء فى النفقة ، فلا نبذر فى رأس السنة ثم نحتاج إلى الاستدانة فى آخرها .

---

(١) والأتراك يقولون (أو درجه) أو (أو درجه به قدر) ثم ظفرت فى نهاية الأرب (جزء ١٠ صفحة ٣٠٧) فى وصف السمك (وقال الشيخ ابن سينا أفضل السمك فى جثته ما كان ليس بكبير جداً) إلى أن قال (ويختار من السمك الصلب اللحم ما هو أصغر ومن الرخص اللحم ما هو أكبر إلى حد ما) فقوله (إلى حد ما) هو مما نحن فيه ، وظاهره أنه من مقول ابن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ هـ لا النويرى المتوفى عام ٧٣٢ هـ فهل هذا التعبير عربى فصيح أو دخيل أو مولد أو مترجم من أساليب الترك القدماء ؟ ولا يخفى أن ابن سينا عاش فى بخارى فى عهد الدولة السامانية التركية .

وتسمية الطرف الأخير رأساً من باب التغليب وهو معهود فى فصيح الكلام .

ومنها قولهم : « وضع النقط على الحروف » يريدون زيادة إيضاح الأمر أو الخبر وكشف الغموض عنه بحيث لا يبقى فيه مجال للتردد أو التشكيك وهو تعبير شاع بين الكتبة العرب فى هذه الأزمنة المتأخرة مترجماً عن قول الإفرنسيين ((mettre les points sur les (i) ويظهر من هذا أن المراد من وضع النقط وضعها على حرف الهجاء الإفرنسى (i) ولا يخفى أن هذا الحرف مقروء ولو لم توضع النقط عليه ، لكن وضع النقطة يزيده إيضاحا و بعداً عن المماراة والجدل فيه ، أو بعداً عن الاشتباه بغيره .

(٤)

ومما يلحق بالأساليب الدخيلة قولهم : «فلان عظيم بكل معنى الكلمة» و « تعذيب الضمير ، وضميرى يعذبنى ، ومعذب الضمير ، توبيخ الضمير ، وضميرى يوبخنى »(Remords) ، ولعل الاستعمال الفصيح فى هذا ما فى القرآن الكريم « النفس اللوّامة » . ويقولون : « نقد برىء . كلمة شكر بريئة » (innocent) وربما كان الفصيح فيه أن يقال « خالص وخالصة» أى من شوائب سوء النية » ويقولون : « الكاتب أو الشاعر اللامع» (brillant) و « الشاعر أو الكاتب الملهم » ، وقد أهملوا وصفهما بالمفلق والخنذيذ . والإلهام ترجمة (inspiration) وترجمتها بذلك خير من ترجمتها بالوحى الذى يحسن تخصيصه بوحى النبوة . ويقولون : « نفعل كذا على ضوء كذا » ، « كان القوم متحمسين ومتحمسين جدا » ، « خصص عمره للأدب وللأدب وحده » ، « وهو كثير وكثير جداً » وقد كثر أمثال هذا التعبير فى الكتابة العصرية ، وفى كتابة الأستاذ طه حسين خاصة حتى نسب إليه وهو مترجم عن الإفرنسية . قال فكتور هوغو فى كتابه تحارير إلى الخطيبة : Lettres à) la fiancée) ما نصه : (J'ai refléchi longtemps et bien longtemps) أى فكرت طويلا وطويلا جدا .

ويقولون : «لكل جريدة خطتها ، لكل أرض طبيعتها» . والعرب يقولون فى مثله : لكل جريدة خطة أو كل جريدة لها خطة . على أن آية (أم على قلوب أقفالها) ربما شهدت بصحة هذا التعبير الجديد الاستعمال . ويقولون : « عناصر الأدب العربى كذا وكذا . وعناصر القصة

كذا وكذا» (élements) وهم يريدون بالعناصر الأجزاء الأصلية المعنوية التى يتألف منها الشىء ، ولذا تراهم استعملوا مع العناصر كلمة « تحليل » فيقولون : تحليل القصة إلى عناصرها . ثم توسعوا فى استعمال كلمة تحليل فقالوا : تحليل الشعر وتحليل شاعرية الشاعر . ولا أظن كلمة « تحليل » إلا مترجمة عن كلمة (analyse) الإفرنسية بمعنى تفصيل الشىء وتفريقه إلى أجزائه الأصلية ، مما يؤدى إلى إيضاحه وإظهار خفاياه . ويمكن أن يقال إن مؤلفى العرب استعملوا التحليل فيما يقرب من هذا المعنى ، فإن صاحب المخصص (جزء ١٤ ص ٢٢٠) قال :

«وكل عقد فى هذا الباب لسيبويه ، وكل تحليل فلأبى بكر السرى ، وأبى على الفارسى وأبى سعيد» اهـ . فكأنه يريد بكلمة «العقد» ما نريده بكلمة « المتن » . أما كلمة (تحليل) فظاهر أنه أراد بها الإيضاح والتفسير وبيان الجزئيات المنطوية فى عبارة المتن .

ويقولون : «المدرسة الغزالية . المدرسة الأفلاطونية . مدرسة رينان . وفلان تأثر بمدرسة الفيلسوف فلان » الخ . ويريدون بالمدرسة مجموعة التعاليم والآراء التى أصبحت مذهباً للعالم يميزه عن غيره . وهذا التعبير أو الاصطلاح ترجمة (école) . ولا بأس فى هـذا الاصطلاح والتجوز فى الإطلاق ، ويشبهه فى العربية إطلاق كلمة « الكراسى » على العلماء بالشىء الخبيرين به . أنشد قطرب :

تحفُّ بها بيض الوجوه وعصبة كراسىّ بالأحداث حين تنوب

وقد قالوا إن معنى « كراسى بالأحداث » أن رجال تلك العصبة علماء بالأحداث . وقال الزمخشرى فى الأساس : « خير هذا الحيوان الأناسى . وخير الأناسى الكراسى » أى خير الناس علماؤهم . وفسر بعضهم «الكرسى» فى آية «وسع كرسيه السموات والأرض» بالعلم . وفى تعابيرنا المدرسية الجديدة « الأستاذ فلان صاحب كرسى فى الجامعة الفلانية » وربما أتى وقت قلنا فيه فلان أحد كراسى الجامعة ، أى أنه أحد علمائها .

ونستعمل كثيراً جملة «على قدم المساواة» بمعنى التسوية بين الشيئين ، كما قرأت أخيراً فى مقال لبعض الأساتذة المصريين : « والأصل فى الشرائع أن يكون تطبيقها على جميع السكان على قدم المساواة دون تمييز ولا تحيز» وهو تعبير أعجمى يستعمل فصحاء العرب مكانه كلمة « على السواء » . وقد ترجم بعض مترجمى القرآن آية « قل هل يستوى الذين

يعلمون والذين لا يعلمون » بقوله : (Peut-on mettre sur la même pied d'égalité ceux qui savent et ceux qui ne savent pas?)

(٥)

وفى الأساليب الدخيلة ما عليه مسحة دينية ؛ من ذلك قولهم : « اعتنق فلان الدين الفلانى » (embrasser) و «مات فلان ولم يعرف امرأة» أى لم يتزوج . و «حرق البخور أمامه » و « حرق بخور الثناء بين يديه » (encenser) أى مدحه بإفراط أو كرّمه تكريماً دينياً . ويقولون : « ضحّاه على مذبح أغراضه » ، و « ذهب فلان ضحية مبدئه » (sacrifier, sacrifice) و «بشّر بدينه أو تعاليمه أو بالآداب العربية فى بلاد أميركا» و «مبارك هو الرب» و « شريرة هى المرأة التى تفعل كذا وكذا » ، فى نظير ذلك من التراكيب التى جعل فيها المبتدأ نكرة ، ولو جعلنا النكرة خبراً مقدماً لما كان ثمة حاجة إلى ضمير الفصل الذى إنما يؤتى به للتفرقة بين الخبر والصفة . والأسلوب العربى فى أمثال هذه التراكيب أن يقال : «الرب مبارك ، أو المبارك الرب» ، و «المرأة التى تفعل كذا شريرة ، أو ليست إلا شريرة» ويقولون : « وهناك البكاء وصرير الأسنان » و « من له أذنان فليسمع » و « صب عليه جام غضبه » وفى (رؤيا يوحنا) : « قال للملائكة امضوا واسكبوا جامات غضب الله على الأرض » . ويوشك أن يكون من الأساليب الدينية المترجمة التجوز بكلمة « حقل » وقد شاع استعمالها أخيراً فى الصحافة السورية ، فهم يقولون : « فلان من أكبر العاملين فى حقل الوطنية » و « فلان قضى حياته وهو يشتغل فى حقل المصلحة الوطنية . أو فى حقل الوطن » الخ .

(٦)

قلنا فى صدر المقال إن بعض الفضلاء اشترط فى استعمال الأساليب الإفرنجية أن تكون مما يلائم الذوق العربى السليم . وقلنا إن فى هذا الشرط عسراً بيناً لاختلاف الأذواق ، وتباين المشارب والثقافات . فما رآه هذا فى ذوقه بشعاً قبيحاً عدّه الآخر مقبولا حسناً ؛ ومن أجل ذلك لا يمكننا البت فى تعيين الأساليب المستهجنة ، بل لا يمكن وضع قاعدة يرجع إليها

فى ذلك . وها نحن نذكر من تلك الأساليب ما رأينا بعض أدبائنا يستهجنه ، فمنها قولهم : « أنفدت عصارة دماغى » وقول الإنجليز فى وصف الذى يعكف على مطالعة الكتب : « فلان دودة كتب » وقول فيكتور هيجو : « أجراس تقرع معاً كأنها أتون من الموسيقا » وقول الآخر : « جليد المرآة » يعنى زجاجها . وقول من قال : « إن كتب فلان كلها آذان كلاب » أى أنه يطوى أطرافها ليرجع إليها حين الحاجة . وفى معجم لاروس أن من معانى الأذن (Pli fait au feuillet d'un livre.) ومعنى ذلك طية فى طرف ورقة الكتاب . وقال الآخر فى وصف أزرار الأزهار فى براعمها : « نامت فى سريرها الشتائى » . واستهجن صديقنا الأمير شكيب استعمال كلمة (ضد) فى مثل قولهم : « فلان يشتغل ضد فلان» . واستقبح آخر قولهم فى خطبة المرأة : « طلب يدها » مع أن آخرين ربما لا يستقبحون هذا التعبير .

فلا جرم أن يكون تحكيم الذوق الخاص فى اختيار الأساليب الدخيلة غير ممكن التطبيق ، إذ لكل كاتب ذوق . وكل كاتب وذوقه . والنقد من وراء الأذواق بالمرصاد . إذاً لا ينبغى التشاؤم بهذه الأساليب الجديدة . ولا يحسن إيصاد الباب فى وجهها ما دام النقد كالحاجب على الباب يأذن ويصدّ ويقبل ويردّ .

والطريقة المعبّدة فى ذلك أن من عرض له فى إحدى اللغات أسلوب لا عهد للعرب به . واستساغه ذوقه . وأحب نقله إلى العربية فليفعل . وإذا اتفق أن كان ذوقه سقيما ، أو كان الأسلوب فى نفسه سمجاً عقيماً كان على جهابذة اللغة والأدب أن يزيفوه ويعلنوا قبحه وهجنته ، فيتحاماه الناس . ومع هذا كثيراً ما شاع الأسلوب القبيح ، وتداولته الأفواه والأقلام برغم نقد جهابذة الأدب له وزراية الرأى العام عليه . وهذا كقولهم : « ضحاه على مذبح أغراضه » و « صب عليه جام غضبه » . والبلاد التى فيها مجامع لغوية يمكنها أن تعمل على إماتة الأسلوب القبيح بما لديها من المقدرة الشاملة ، والوسائل الكافلة . كما هو المنتظر من مجمع اللغة العربية الملكى .

وقرأت بالأمس مقالين لفاضلين سورى ومصرى ؛ فالأول منهما استعمل فى مقاله تعبير « قفا المداليا » (Le revers de la médaille) وقال إن الفرنسيين يريدون بهذا التعبير أن

الشيء مهما كان ظاهره حسناً جميلا ، لا بد أن يبقى فى بعض جوانبه نقص ينبغى التفطن له « والمداليا » هو ما اصطلحنا على تسميته بالوسام أو النيشان أو النوط . أما الفاضل المصرى فقد جاء فى مقال له نشره فى البلاغ قوله : «لا أحب أن أحرم القراء سماع دقة الجرس الأخرى» أى سماع جوابى بعد أن سمعوا كلام مناظرى . قال : وهو أسلوب فرنسى يريدون به أن الواجب انتظار جواب الخصم . فهم يقولون : (L'autre son de cloche) . وقد شاع بيننا اليوم تعبير آخر بمعنى هذا التعبير وهو قولنا : « لنخبئ الأذن الأخرى للمتهم» . ولا أعلم أترجم هذا التعبير من لغة أجنبية أم تولد فى لغتنا ، و نبت فى تربة أدبنا . فوظيفة «مجمع اللغة العربية الملكى » إذاً أن ينظر فى التعبيرين الفرنسيين المذكورين ، فيعلن قبولهما أو رفضهما ، حتى إذا كان من رأيه قبولهما أشار إلى ذلك فى معجمه الجديد ، وكذلك يفعل فى كل أسلوب أعجمى تسرب إلى لهجتنا أو انساب فى كلامنا أو كتابتنا ؟

أقوال المتقدمين فى المعرب والتعريب

رأى الجاحظ فى استعمال الكلمات العامية

قال الجاحظ فى ص ١٣٦ من الجزء الأول من كتاب الحيوان بعد أن ذكر قصة عن النظام فيها كلام ملحون (ولا تنكر قولى وحكايتى عنه بقول ملحون من قولى (إن كنت سبع) ولم أقل (إن كنت سبعاً) — وأنا أقول : إن الإعراب يفسد نوادر المولدين كما أن اللحن يفسد كلام الأعراب ، لأن سامع ذلك الكلام إنما أعجبته تلك الصورة ، وذلك المخرج وتلك اللغة وتلك العادة . فإذا دَخَلَتْ على هذا الأمر — الذى أضحك بسخفه و بعض كلام العجمية التى فيه — حروف الإعراب والتخفيض والتثقيل وحوّلته إلى صورة ألفاظ الأعراب الفصحاء وأهل المروءة والنجابة — انقلب المعنى مع انقلاب نظمه وتبدلت صورته) .

وقال أيضاً فى ص ١٢ ج ٣ من كتاب الحيوان المذكور (و إن كان الحديث على أنه مضحك وملهى وداخل فى باب المزاح ، والطيب (أى المطايبة) واستعملت فيه الإعراب انقلب عن جهته . و إن كان فى لفظه سخف ثم أبدلت السخافة بالجزالة صار الحديث الذى وضع على أن يَسُرَّ النفوس يَكْرُبُهَا و يأخذ بأكظامها) اه .

فلله در الجاحظ ! ما أدقه وأعلى كعبه فى فهم معنى البلاغة . وفى صبح الأعشى (ج ١ ص ١٧٣) ومقدمة عيون الأخبار فى جزئه الأول كلام نفيس فى معنى ما قاله الجاحظ من أن البلاغة تقتضى أحياناً محاكاة كلام العامة ومراعاة أساليبهم وحكاية ألفاظهم وتعابيرهم .

الكلمات الأعجمية إذا تكاثرت سلطنا عليها التعريب

جاء فى المخصص (ج ٨ ص ١٥٣) ما نصه : « صاحب العين ، الغاق والغاقة من طير الماء . بطُّ الماء هَنَات حُمر إلى الصِغَر ، وتسمى عندهم الإوزّ . والإوزّ ضروب كثيرة وأجناس . وطير الماء أكثر من مائتى لون زعموا . والعرَبُ لا تعرف أكثرها . قال : وأسماؤها عندنا بالنَبَطية : لأنها فى البطائح فى بلاد النبط » اه . أقول : (صاحب العين) هو الليث بن المظفر الذى أخذ مادة كتابه (العين) عن الخليل بن أحمد (هَنَات) كناية عن

الطيور . وقد يكنى بها صاحب المخصص عن الهوام والدواب ، وإنما عبّر عنها بالهنات ليدل بذلك على صغرها . ويظهر من النص المذكور أن الخليل لايرى بأساً فى أن يستعمل العرب الكلمات النَبَطية الأعجمية التى تسمى بها طيور الماء ، وذلك لتكاثرها حتى بلغت أكثر من مائتى لون أى نوع . وكأن الخليل يعتذر للعرب عن وضع أسماء عربية لتلك الطيور ما دامت كثيرة إلى هذا الحد وما دام أن العرب لا تعرف أكثرها . فالفتوى على استعمال تلك الكلمات واعتبارها كأنها ألفاظ عربية ، وهذا ما عناه الخليل بقوله (وأسماؤها عندنا بالنبطية) ، أى ولا حاجة لنا فى أن نعنِّى أنفسنا ، ونضع لها ألفاظاً عربية ما دام عندنا هذه الأسماء النبطية . وقال الشهاب الخفاجى فى شرح الدرة ص ٧٠ : (لو اقتصرنا فى الألفاظ على ما استعمله العرب العاربة والمستعربة لحجّرنا الواسع وعسر التكلم بالعربية على من بعدهم) .

سيبويه والتعريب والمعربات

وفى المخصص أيضاً (ج ١٤ ص ٣٩) أبحاث نقلها عن سيبويه (وكأنها من كتابه المشهور) تتعلق بالتعريب والتغيير الذى يقع فى المعرّبات أو إبقائها على حالها . ثم باب ضمنه كثيراً من الكلمات المعربة . من ذلك قول أوس بن حجر أو النابغة يصف ناقته :

وقارفت وهى لم تَجْرَبْ وباع لها ‌ ‌ من الفصافص بالنُمِّىّ سِفسِيرُ

(باع لها) أى اشترى لها . والفصافص جمع (فصفصة) القَتّ وهى معرّبة وفارسيتها (اسْپَسْت) والنُمِّى الفلوس من الرصاص (وهى كلمة رومية) أو الدراهم التى فيها رصاص أو نحاس . وكانت بالحيرة على عهد النعمان بن المنذر والواحدة (نُمِّيَة) و (السفْسير) السمسار وهو أيضاً معرّب عن الفارسية .

فانظر كيف أن أوساً أو النابغة وهما ما هما — استعملا فى سطر واحد ثلاث كلمات أعجمية ورومية ملأتا البيت وفاضتا عنه .

وفى المخصص جزئه المذكور ص ٤٣ ، ويسمى الحَمَل (عُمْروساً) وأحسبه روميا اه وهذا يذكر بأن العرب إذا عربوا كلمة رومية أو يونانيــة عربوها بسين فى آخرها ليدل على

أصلها اليونانى ، فإن الكلمات اليونانية غالباً تنتهى بسين كبابوس وعمروس ، وفيه ص ٤٤ :
قال رؤبة (باركْ له فى شُرْب أذريطوسا) وهو ضرب من الدواء وقيل هى السقمونيا وأصلها
(فى اليونانية) (دريطاؤس) .

اللغات الثلاث واحدة

قال ابن حزم فى كتابه (الإحكام فى أصول الأحكام) ما نصه :

إن الذى وقفنا عليه وعلمناه يقيناً أن السريانية والعبرانيـة والعربية التى هى لغة مضر وربيعة — لا لغة حمير — واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها ، فحدث فيها جرش ؟ كالذى يحدث من الأندلسى إذا رام نغمة (كذا) أهل القيروان ، ومن القيروانى إذا رام لغة أهل الأندلس ، ومن الخراسانى إذا رام نغمتهما . ونحن نجد من سمع لغة أهل (فحص البلوط) — وهى على ليلة واحدة من قرطبة — كاد يقول إنها لغة أخرى غير لغة أهل قرطبة ، وهكذا فى كثير من البلاد . فإنه بمجاورة أهل البلدة لأمة أخرى تتبدل لغتها تبدلاً لا يخفى على من تأمله . ونحن نجد العامة قد بدلت الألفاظ فى اللغة العربية تبديلا ، وهو فى البعد عن أصل تلك الكلمة كلغة أخرى ولا فرق ؛ فنجدهم يقولون فى العنب العينب وفى السوط أسطوط وفى ثلاثة دنانير ثلثدا . وإذا تعرّب البربرى فأراد أن يقول الشجرة قال السجرة ، وإذا تعرب الجلِّيقى أبدل من العين والحاء هاء فيقول (مهمدا) إذا أراد أن يقول (محمداً) ومثل هذا كثير . فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية أيقن أن اختلافها إنما هو من نحو ما ذكرنا من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان واختلاف البلدان ومجاورة الأمم وأنها لغة واحدة فى الأصل اهـ .

وفى (طبقات الأمم) للقاضى صاعد الأندلسى : (تفرعت اللغـة العبرانية والعربية من السريانية) .

هل يشترط فى المعرَّب أن يكون على أوزان العرب

قال أبو منصور ابن الجواليقى فى كتابه (تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة) وما يكسر والعامة تفتحه أو تضمه (الشطرنج) بكسر الشين على وزن (فِعْلَلّ) كجِرْدَحْل . وليس

فى كلام العرب شىء على وزن (فَعللّ) بفتح الفاء ا ه .

وعلق (أبو محمد ابن برّى) على ما قاله ابن الجواليقى فقال :

المعروف عند أهل اللغة (الشطرنج) بفتح الشين . يقولون هى لعبة الشطرنج ولا يجب ماقاله من كسر الشين لتكون على أمثلة كلام العرب ، و إنما كان يجب ما قاله لو كانت العرب تصرف ما عرّبته من ألفاظ العجم إلى أمثلتها ؛ فأما إذا وجدنا فى كلامهم أسماء كثيرة مما عربوه مخالفة لأوزان كلامهم فلا وجه لما ذكره ، وذلك نحو الآجر والفِرند والجربز ونحو إبراهيم و إسماعيل وبهرام وشقراق . وقال سيبويه فى المعرّب من كلام العجم : ربما ألحقته العرب بأبنية كلامهم وربما لم يلحقوه بأبنيتهم ا ه .

الدينورى والكلمات الأعجمية

ربما لم يكتب مؤلف (فى علوم التاريخ وغيرها مما لم يكن أدباً ولا خطابة) — كتاباً بأفصح عبارة مما كتبه الدينورى فى مصنفه التاريخى المسمى (الأخبار الطوال) فإن عبارته غاية فى الفصاحة وجزالة الأسلوب واستعمال فُصُح اللغة وشواردها ؛ ودونك هذا المثال منه ص ٥٨ : « فلما أتى له (أى للملك بهرام جور) فى الملك ثلاث وعشرون سنة خرج متصيداً فرُفعت له عانة من الوحش . فدفع فرسه فى طلبها . فذهبت به فرسه فى جُرُفٍ مفضٍ إلى غمر من الماء . فارتطم فيه . فغرق . وبلغ ذلك أمه . فجاءت إلى ذلك المكان . وأمرت بطلبه فى ذلك الهور (البطيحة) فاستخرجوا تلالا من الحصا والرمل فلم يدركوه » الخ .

ومع كل هذه الفصاحة الدالة على مقدرة الكاتب وتمكنه من لسان العرب لم يستنكف أحياناً عن استعمال الكلمات الأعجمية مع إمكانه أن يخلفها بكلمة عربية ؛ من ذلك قوله ص ٩٢ فى بحث التجاء كسرى ابرويز إلى قيصر مستنجداً به على الخارجى عليه (بهرام جوبين) قال : « فأخذ قيصر على كسرى العهود والمواثيق بالمسالمة وزوجهُ ابنته مريم ، ثم عقد لابنه (ثيادوس) فى أبطال جنوده وفيهم عشرة رجال من الهزَار مَرْدين وقواهم بالأموال والعتاد وأمرهم بالمسير معه » الخ . و (الهزار مردين) كلمة فارسية مركبة من (هزار) ألف و (مرد) رجل ، ومعناها الرجل المحسوب فى الحرب بألف رجل . فانظر كيف استعملها الدينورى وأدخل عليها ألف التعريف العربية وجمعها جمع المذكر السالم العربى بالياء والنون ، واعتبرها

كأنها عربية محضة وأودعها كلامه العربى الفصيح من دون ما خشية ولا خوف عتب أو ملام ، وهو البليغ الذى لا ينكر مقامه فى طبقات البلغاء ؛ ولو شاء لاستعمل مكانها كلمة عربية فيقول (وفيهم عشرة ممن كل واحد بألف) . لكنه لم يفعل ولم يجد غضاضة ولا حرجاً فى استعمال (الهزار مردين) ولم ير أن عبارة كتابه تسقط وتنحط باستعماله هذه الكلمة الأعجمية ، بل ربما زادتها حسناً من حيث إن لتلك الكلمة موقعاً فى إفادة معناها لا تفيده مرادفاتها من الكلمات العربية ؛ فالهزار مردين أصبحت كلمة واحدة تدل على معناها بسهولة ، وليس فى العربية مثلها إلا إذا ركبنا جملة لتدل على معناها أو نصطلح على كلمة مبتكرة فنقول (الألفيين) أى الأبطال المنسوبين إلى الألف .

ملاحظة

من العجيب أن المؤلفين فى علوم البلاغة كالسعد والسيد والمؤلفين فى علوم اللغة لا سيما فلسفتها كابن فارس وابن جنى والسيوطى فى المزهر الذين خصصوا صفحات فى مؤلفاتهم للبحث فى التعريب والمعربات وأنواعها ووقوعها فى القرآن — لم يذكروا كلمة واحدة عما إذا كان وقوع المعربات فى الكلام يفسده أو يشوه محاسنه أو يخل بفصاحته ، ولم نسمع منهم فى نقد بعضهم بعضا — فيما يتعلق بالميل إلى المعرب والدفاع عنه — إلا القليل ، ومنه ما ورد فى (المزهر) فى آخر باب المعرب ص ١٧٢ من جزئه الأول : (فائدة فى فقه اللغة للثعالبى) يقال ثوب مُهَرَّى إذا كان مصبوغاً بلون الشمس (وهو الصفرة) (إذ أن « مهر » بالفارسية معناها الشمس) وكانت السادة من العرب تلبس العمائم المُهَرَّاة وهى الصفر . وزعم الأزهرى أنها كانت تحمل إلى بلاد العرب من (هِراة) فاشتقوا لها وصفاً من اسمها . قال الثعالبى : « وأحسبه اخترع هذا الاشتقاق تعصباً لبلده (هراة) كما زعم حمزة الأصبهانى أن « السّام » الفضة وهو معرّب عن « سيم » (التى معناها الفضة باللغة الفارسية) و إنما يقول هذا التعريب وأمثاله تكثيراً لسواد المعرّبات من لغة الفرس وتعصباً لهم » اهـ

أقوال المعاصرين فى المعرب والتعريب

أحمد فارس الشدياق

في كتابه (الجاسوس) ص ٢١١

هذا وكما أنه لم يحافظ (صاحب القاموس) على الاطراد على هذه الصيغ التى تقدم ذكرها بالاختصار كذلك لم يحافظ على ذكر (المعرّب) فقد أورد الكرو بيين مخففة الراء فى (كرب) وفسرها بسادة الملائكة ولم يقل إنها معربة . وهى لفظة عبرانية أصلها كرو بيم ومفردها كروب : فإن الياء والميم فى هذه اللغة علامة الجمع ، وقد ذكرت فى التوراة غير مرة وترجمت إلى سائر اللغات بهذا اللفظ واشتقاقها من فعل يدل على القرب ، فهو نظير كرب بلغة العرب ، ومما لم يذكر تعريبه فى باب الجيم وحده (البسفايج) أورده منكراً وحقه أن يعرف والبارنج والبسفاردانج أورده أيضاً منكراً وحقه التعريف والبنج والبظماج والبنفسج والبهرامج والباذروج والبهرج والجوزاهنج أورده أيضاً منكراً والدهنج جوهر كالزمرد والأرندج والراهنامج والزبرج والاستاج والسرنج والسفتجة والاسفيداج والاسفنج والسنباذج والشهدانج والشاهترج والشاذنج والصولجان والصهريج والقبج والقولنج والكوسج والنيلنج والإهليلج .

ومن ذلك البند فى معنييه والسمسار والقرفير والدهليز والجلفاط والنفط وله نظائر تفوت الاستقصاء وخصوصاً فى باب القاف ، فإن العرب تلحق فى آخر اللفظ المعرب جيما أوقافا . وربما تعرض لاشتقاق المعرب فأخطأ كقوله فى الترياق إنه من اليونانى وإن أصله تريا وقاء . مع أن القاف لاتوجد فى لغة اليونان ولافى غيرها من لغات الإفرنج ، وكذلك الهمزة المتطرفة لا توجد إلا فى لغة العرب ،وسيأتى مزيد تفصيل له . وكقوله فى (سوف) الفيلسوف يونانية أى محب الحكمة أصله فيلا وهو المحب وسوفا وهو الحكمة والاسم الفلسفة مركبة كالحوقلة . وهو غير صحيح ، فإن النطق بها فى أصلها فيلوسوفيا . وباللفظ الثانى سميت الكنيسة المشهورة بالقسطنطينية . على أن قوله كالحوقلة يقتضى ذكر (الفلسفة) فى مادة على حدتها لا فى (سوف) ولم يذكر الحوقلة فى بابها . ويقال فيها أيضاً الحولقة . وقول اليونان محب الحكمة

هو كقول المولدين الآن طالب علم ولاسيما أهل تونس احتراما للعلم . ثم إن المصنف لا يفرق بين أن يقول مثلا رومى أو معرب عن الرومى حتى تعلم حقيقة لفظه ، فإن الأسماء المعربة قد تبقى على وزنها بعد تعريبها . وقد تغير وتلحق بوزن اللفظ العربى ؛ فنى شفاء الغليل ما نصه : (قال سيبويه : الاسم المعرب من كلام العجم ربما ألحقوه بأبنية كلامهم ، وربما لم يلحقوه ؛ فما ألحقوه بأبنيتهم درهم وبهرج . ومما لم يلحقوه الآجر والإفرند » إلى آخر ما ذكر . وبقى النظر فى قول المصنف الديزج من الخيل معرب ديزه ، ولما عربوه فتحوه فإنهم لو تركوه مكسوراً لكان مثل الدرهم والزئبق . وفى قوله فى مواضع كثيرة معرب من دون أن يذكر الأصل الذى عرب منه ، ويعجبنى منه كثيراً مخالفته للجوهرى فى «الجوهر» ؛ فإن الجوهرى زعم أنه معرب وهو أورده مطلقاً . ونص عبارته : (الجوهر) كل حجر يستخرج منه شىء ينتفع به . ومن الشىء ما وضعت عليه جبلتُه اه . واشتقاقه ظاهر ، فهو على حد قولهم الوضح للدرهم الصحيح والحلى من الفضة ويطلق أيضاً على القمر . وهنا ملاحظة ، وهى أن بعض أهل العلم يقولون إنه متى وجد فعل كان شاهداً على أن اللفظ عربى ، واستشهدوا على ذلك بلفظ الديوان ، فقالوا إنه عربى ، لأنه يقال دونت الكلمة إذا ضبطتها وقيدتها ؛ فالديوان موضع تضبط فيه أحوال الناس وتدون فيه . وعندى أن ذلك غير صحيح على الإطلاق ، فإن العرب تأخذ اللفظ العجمى وتتصرّف فيه كما تتصرّف فى اللفظ العربى ، كقول سيدنا على كرم الله وجهه : (نورزوا لنا كل يوم) كما فى المزهر وفى رواية المصنف نيرزونا . وكقوله أيضاً : (مهرجوا لنا كل يوم) . وقد قالوا : دنَّر وجهه ودينار مدنَّر وأساطين مسطنة وقناطير مقنطرة ، وقالوا من الطيلسان : تطلس ومن القرطق تقرطق ، وقال المصنف فى الذال : النواخذة ملاك سفن البحر أو وكلاؤهم معربة ، الواحد ناخذاة ، واشتقوا منها الفعل وقالوا تَنَخَّذ كترأس اه ، وهو شائع فى جميع اللغات . وعندى أن دبَّج من الديباج ؛ وبناء على ذلك أى على أن العرب تتصرّف فى اللفظ العجمى لم يمكن الرد على من زعم أن الكنز معرب بقوله تعالى (والذين يكنزون الذهب) كما رأيته فى هامش شفاء الغليل ردًّا قاطعاً . وإنما يرد عليه بأن يقال إن الكاف والنون وما يليهما من الحروف كلها أو جلها يدل على الستر والإخفاء ؛ فالكنز غير خارج منها لأنهم عرفوه بأنه المال المدفون ، وفضلا عن ذلك فإن الكنز ليس من الأشياء التى لم تكن معروفة للعرب كالديباج

والإستبرق ؛ ومن ثم أقول إن اللجام أيضاً عربى ، لأنه كان لازماً للعرب مثـل السرج والركاب . أما ما كان غير معروف عندهم من أنواع المأكول والملبوس والمفروش والنبات فأقول بتعريبه ولا شين فى ذلك على العربية ؛ فإن جميع اللغات يستعير بعضها من بعض . وإنما الشين أن يكون للعرب ألفاظ عديدة مترادفة ، ثم يستعيروا من العجمية لفظة بمعناها ، كاستعارتهم لفظة (الرساطون) للخمر مثلا مع أن أسماءها فى العربية تنيف على مائة كما فى « حلبة الـكميت » ذكر منها الإمام السيوطى فى المزهر ثمانين . كما أن من الشين أن ينسب اللفظ العربى الفصيح إلى اللغة العجمية ، كقول صاحب الـكليات عن ابن عباس رضى الله عنه إن (هيت لك) بالقبطية ، مع أنها من أخوات هاء وها وهيًا وهىْ وهاى وهيك وهيه فى كونها وضعت للتنبيه والاستدعاء ، وهو وضع طبيعى مصطلح عليه فى كل لغة . ويقرب من (هيت) لفظاً واستعمالا لفظة هايدى فى اللغة التركية . وأغرب من ذلك قول الأزهرى فى التهذيب . وأفادنى ابن اليزيدى عن أبى زيد قال : هيت لك بالعبرانية هيتالج أى تعاله (كذا) أعربه القرآن اه . ومقتضاه أنه لم يكن معروفا للعرب قبل التنزيل. ويلحق به قول الخفاجى فى شفاء الغليل : وقيل (رحمن رحيم) معرب . ورده أصحاب التفسير ، فالمتبادر من ذلك أن القائل بعض أهل اللغة وأن المفسرين ردوه ، فـكيف يقول هذا رجل رشيد . وقد جاء رخمته بالخاء المعجمة بمعنى رحمته ، ورئمت الناقة ولدها عطفت عليه ولزمته ، وكذلك مادة رهم فيها معنى الرقة . فياليت شعرى من أى لغـة أخذ الرحمن والرحيم . وكيف وجد فيها هاتان الصيغتان موافقتين لصيغ العربيـة ، وهل يقال أيضاً إن رحم معرب . وقال الصغانى فى التكملة فى مادة (رحم) ما نصـه : سئل أبو العباس عن قول الله تعالى (الرحمن الرحيم) لم جمع بينهما . قال لأن الرحمن سريانى والرحيم عربى . فتعجب وانظر كيف التوفيق بين قائل هذا وبين قول الإمام الشافعى رضى الله عنه : إن القرآن ليس فيه كلام عجمى وإنه من توافق اللغات . وختام الغرابة أن هذه الألفاظ التى دخلت فى اللغـة العربية من لغة العجم لا علم لنا بكيفية دخولها ولا بمكانها ولا بزمانها ؛ فمثلها كمثل كثير من أسباب المعيشة التى نتمتع بها ولا علم لنـا بمحدثها ولا بزمانه ولا بمكانه ، انتهى .

يعقوب صروف

في المقتطف

جاء فى المقتطف جزء ٤ مجلد ٦٤ فى باب الأسئلة والأجوبة (تحت عنوان المكروسكوب والمجهر ما يلى) :

س — لماذا تستعملون كلمة (مكروسكوب) ولا تستعملون كلمة (مجهر) التى وضعت حديثاً لهذه الآلة ؟

ج — إننا نستعمل كلمة (مكروسكوب) للسبب الذى لأجله استعمل فلكيو العرب كلمة (اسطرلاب) واستعمل فلاسفة العرب كلمة (إيساغوجى) واستعمل أطباء العرب كلمة (كيموس) ومئات من الكلمات الطبية اليونانية . واستعمل نباتيو العرب مئات من أسماء النباتات اليونانية والفارسية ، وكان فى إمكان هؤلاء كلهم ترجمة هذه الكلمات الأعجمية أو وضع كلمات عربية لها بالاشتقاق أو بالنحت ، ولكنهم اقتبسوها كما هى وحسناً فعلوا تسهيلا لنقل العلوم واشتراك العلماء ، وجاراهم الجوهرى والفيروزابادى وابن سينا وغيرهم من جامعى متن اللغة ، ولم يروا معرّة على العربية أن تدخلها كلمات أعجمية . ولا نقول إنه يستحيل علينا أن نضع لبعض الكلمات العلمية ألفاظاً عربية إما بالنحت أو بالاشتقاق كما وضعت كلمة (ماهية) وكما وضعنا كلمة (غواصة) . ولكننا لا نرى من الحكمة أن نحاول ذلك إذا سبقنا غيرنا إلى تعريب الكلمة الأعجمية أو إذا رأينا الكلمة الأعجمية سهلة اللفظ والاستعمال مثل كلمة (مكروب) أو إذا كان للفظ العلمى دلالة معنوية اصطلح عليها علماء الفن ككل المصطلحات الكيماوية والجيولوجية والنباتية والجغرافية ، أو إذا كانت خاصة بأصحاب فن كأسماء الأدوية الجديدة وهى كثيرة تعد بالمئات كالكينا والأنسولين والأنتيبيرين والفيناستين والحامض الكربوليك واليود والاستريكنين وما أشبه . والمتعصبون للقديم يصخبون واللغة تتسع والعلم يتقدم . ولم تنهض العربية فى عصر من عصورها كما نهضت الآن : كان المؤلف يطبع ألف نسخة من كتابه فيبيع مائة فى عشر سنوات والبقية تأكلها الفيران ، والآن يطبع خمسة آلاف نسخة فتباع فى سنة . وكانت الجريدة تفتخر إذا وجدت ألف مشترك و باعت

مائة نسخة فى اليوم ، أما الآن فلا يندر أن تبيع ثلاثين ألف نسخة كل يوم ، وقصار البصر يبكون ويقولون : ارتكبتم اللحن وأبدلتم حرفاً بحرف وأدخلتم كلمة أعجمية فأمتم اللغة . ألا إنهم هم الموتى لأنهم لا يسيرون مع الأحياء .

مسرح ومرزح

أيهما أصلح لترجمة تياترو

أجاب المقتطف (مجلد ٦٩ ص ٢٢٣) بقوله : لم نسمع كلمة (مسرح) إلا منذ عهد قريب ، أما كلمة (مرزح) فكنّا نسمعها فى صبانا . ويُعنى بها مجتمع للغناء والرقص . وعلى المجاز لاجتماع فيه الهزل أكثر من الجد . ثم شاعت كلمة (مسرح) ولعلها تحريف (مرزح) . هذا وفى الإمكان أن نترجم (تياترو) بمشهد أو بملعب ، وملعب ترجمة حرفية لكلمة (Playhouse) الإنكليزية . وكلمة (مشهد) تدل على معنى (تياترون) اليونانية فإن معناها أشاهد . ولا ندرى ما جريمة كلمة (تياترو) أو (تياتر) فإن لها أسوة بكلمة (أستاذ) التى عمت كل صاحب قلم ، وكلمة (دكتور) وكلمة (وزير) ومئات من الكلمات التى دخلت العربية من عصر الجاهلية إلى الآن ، من المصرية واليونانية واللاتينية والعبرانية والسريانية والفارسية ، ومن لغات كل الأمم التى اتصل بها متكلمو العربية حتى السنسكريت ! وما أحكم ما قاله (دريدن) الإنكليزى وهو : (إنى أعامل الأحياء والأموات لإغناء لساننا) وقد اغتنى لسانه ولا يزال يزيد غناء ، فيضيف الإنكليز إلى لسانهم كل سنة نحو ثلاثة آلاف كلمة ، فصار عدد كلماته أكثر من (٤٠٠) ألف كلمة ، بعد أن كان منذ مائة سنة أقل من أربعين ألفاً ... ونمو لغتنا باقتباس الكلمات الأجنبية أمر لا بد منه أردنا أم لم نرد ؛ وقد نحاول نحن وغيرنا منع هذا النمو ، ولكننا قلما نفلح إلا إذا وجدنا مرادفا لكل كلمة أجنبية واستعملنا المرادف قبل تلك الكلمة . ولكنها إذا شاعت حتى يفهم كل أحد المراد بها فأقلام كل أدباء العصر تمحوها ولا تبطل استعمالها . ولا نرى ما يوجب هذا الإبطال لأنها تصير حينئذ حقيقةً بالبقاء مثل سائر كلمات اللغة . وإذا سهلت ترجمتها بكلمة عربية بعد استعمالها كالبرق للتلغراف أو بكلمة قديمة التعريب كالبريد للبوسطة والفندق للأوتيل فرجال الأدب الاستمساك بالكلمة

الألى إذا أرادوا ، ولكن لا يحق لهم أن يحرموا الجمهور كلمة ألفوها و يرونها أقرب ما يكون للتعبير عما يريدون . ولا بد حينئذ من تنازع البقاء وقلما يفوز الخاصة على العامة . ومتى قضينا ما يفرض علينا من حفظ وجودنا بين الأمم لا يتعذر علينا الاهتمام بالنوافل ا هـ .

أحمد فتحى زغلول

(فى الهلال جزء ١ سنة ١٣)

تطور اللغة :

أخذ العرب العلوم عن أهلها إلى لغتهم ، فلما وجدوا منها استعصاء فى بعض المواضع ذللوها وأخضعوا الغريب عنها لأحكامها فأيسرت ودرجت بعد الجمود ، فكانت لهم نعم النصير على إدراك ما طلبوا من نور وعرفان . نسينا نحن أن زماننا غير زمانهم فكانوا أصحاب حول وطول وذوى مجد وسلطان ، ونحن على ما نعلم من الضعف والانزواء . على أنهم فى عزهم و بعد فخارهم وتمكنهم من أنفسهم لم يعتزوا بلغتهم فنفروا من العجمة لأنها عجمة ، بل استخدموها حيث وجدوا الأخذ بها تمكيناً للغتهم وحذراً من أن يصيبها الوهن إذا قعدوا بها عن مجاراة تيار التقدم وهم أولو الرأى فيه وخوفاً من أن يعوقهم الجمود فيها عن حفظ مركزهم العظيم بين الأمم التى كانت تعاصرهم . أيجوز لنا أن نتخلف عن السير فى طريقهم والاسترشاد بهديهم والعمل بطريقتهم بحجة أنهم انقرضوا و بادوا فلا حاجة لنا فى متابعة الرقى ولا يجوز أن نخطو خطوة إلى الأمام ... إن قوة أخضعتنا على الوقوف فى هذا الموقف موقف الاستكانة وقطع الرجاء وفقدان الهمة وانحلال العزائم . أنقص فى الأفهام أم قصر الأجسام أم جهل بأننا من البشر لنا كل حقوق الإنسان ؟

سليمان البستانى

فى الإلياذة ص ٥٣٠

(وليؤذن لنا أن نبدى ملاحظة و إن انحرفنا بالبحث قليلاً ، فالمينا للمرفأ فى العربية و (اللومان) و (الليمان) للسجن ألفاظ معربة عن كلمة لمنى باليونانية (ولمنى أو لمنوس جزيرة فى الأرخبيل الرومى تجمع بها جيش اليونان وهم قاصدون بلاد الطرواد ، وقد اشتهرت بمرفئها

حتى إن اسمها (لمنى) يفيد معنى المرفأ [كأن إفادتها لمعنى المرفأ هو فى اللغة اليونانية ، ومن هنا انتبه العلامة سليمان واستنتج أن كلمتى (مينا وليمان) فى العربيـة الحديثة هما من (لمنى) اسم الجزيرة لإفادة الجميع معنى واحداً تقريباً] ، وقد فصل هذا المعنى فقال : فوضع الأخذ ظاهر لفظاً ومعنى . وليس فى مواد العربية ما يستخرج منه هـذا المعنى . وأما اللومان فالسبب فى استخراج اسمه من كلمتى (لمنى) بمعنى المرفأ أنهم كانوا يحجرون على الأسرى و بعض المسجونين فى بعض الفرض أى فى بعض الموانى ؛ فقولهم أرسـل فلان إلى المينا أو اللومان كقولهم أرسل إلى سجن المنفى ، ولقد بحثت فى كتب اللغة فلم أر من وجه هذا التوجيه ، إلا أن محيط المحيط نبه إلى تعريب اللومان ولـكنه لم ينبه إلى تعريب المينا اه . [أقول وخلاصته أن لمنى كانوا يحجرون فيها الأسرى فأخذوا من اسمها كلمتى مينا ولومان للفرضة البحرية التى تحجز فيها الأشخاص أو الأشياء ، ثم تنوسى ذلك فاستعملوا المينا للمرفأ مطلقاً ، واللومان لسجن المنفى مطلقا] .

عبد الله البستانى

نشر الصحافى (كرم ملحم كرم) فى جريدة (الراية) حديثاً مع الشيخ البستانى بمناسبة إنشاء المجمع العلمى فى بيروت ، فما قاله فى جوابه :

يجب أن يكون أعضاء المجمع ممن يحسن اللغات الأجنبيـة لأننا فى مهمتنا سنأخذ على عاتقنا وضع مصطلحات جديدة للاختراعات الحديثة ، فيوضح لنا المتضلع من اللغات الأجنبية اشتقاق الألفاظ التى تحتاج إليها لغتنا ، فنضع لها المترادفات ، ولا حرج علينا إذا نهجنا نهج علماء اللغة فى أيام هرون الرشيد ؛ فـكانوا يأتون بالألفاظ الفارسية والسريانية ويثبتونها إما على علاتها أو بإحداث بعض التعديل فيها . ويجب علينا أن نسير على قاعدة النحت . وأنا لو سألونى عن كلمة (تلفون) لقلت لهم اكتبوها كما هى وقولوا : (تلفن يتلفن تلفنة) فاللغة لا يضيرها إذا نقلت عن اللغات الحية لتنهض وتعيش .

وسأله محدثه : هل يحسن بالمجمع أن يترجم (لاروس) وفيه ما تحتاج إليه اللغة العربية من أوضاع ؟

فأجاب : لا بأس أن نترجم من قاموس (لاروس) ما تخلو منه اللغة العربية من ألفاظ ،

ولا يهولن أقطاب اللغة أمر تلك الترجمة ، فالكلمات غير الموجودة فى لغتنا لا يصعب علينا أن نجعل لها وجوداً . ثم قال : إن الجمود يقتل اللغة ؛ وإذا نحن رددنا عنها تيار العجمة والرطانة والركاكة لا يستنتج من عملنا أننا نريد أن نعيش بعقل ابن البادية . فان ابن البادية جاءنا بما عنده وعلينا أن نتحف اللغة بما عندنا لتقوم لها قائمة . وقدعابوا على جمال الدين الأفغانى قوله : (هذا رجل من نسل البقروت) فأجابهم : (ألا تقولون : جبروت ورهبوت وملكوت ؟ فلماذا تمنعون عنى قول بقروت ؟) قالوا : (ولكنها لم ترد فى كلام العرب) قال : (وهل تريدون منى أن أنكر نفسى وأخضع لبدوى !!) هذا ما قاله الأفغانى ، وهذه هى القاعدة التى يجب علينا العمل بها فى إنهاض لغتنا اه ملخصاً من جريدة الراية البيروتية الصادرة فى ٢٧ آذار سنة ١٩٢٨ .

الأب أنستاس الكرملى

فى مجلته (لغة العرب) س ٧ ص ٥٩٦

(... فإن كل جيل أعار الجيل الآخر جاره شيئاً من مصطلحاته وأوضاعه الخاصة به ، حتى إن أجدادنا اقتبسوا بعض الألفاظ التى كانوا فى غنى عنها : قال محمد الرازى صاحب مختار الصحاح فى مادة (سخت) : «والعرب ربما استعملوا بعض كلام العجم باتفاق وقع بين اللغتين كما قالوا للمِسح بوزن الملح : بلاس ، وللصحراء دشت » اه . واقتباس السلف كلماً من جيرانهم مع استغنائهم عنها أكثر من أن يُحصى ؛ فهذا (الهُلام) أشهر من أن يذكر ومع ذلك إنهم أخذوا عن الأعاجم (الخاميز) قال الليث : الخاميز اسم أعجمى إعرابه عامص وآمص . وزاد فى التاج و بعضهم يقول عاميص وأميص . وقال ابن الأعرابى العاميص الهلام . وقال الليث : طعام يتخذ من لحم عجل بجلده . وقال الأطباء : الهلام هو مرق السكباج المبرد المصفى من الدهن . قلنا هو المسمى بالفرنسية (Bouillon dégraissé) ، وقال ابن سيده (الخاميز) أعجمى حكاه صاحب العين ولم يُفسره ، قال : وأراه ضرباً من الطعام . كذا فى اللسان والتكملة (راجع فى تاج العروس مادة خميز) . وعدم إدراك هذه الحقيقة دفع كثيرين إلى كتابة أمور يضحك منها الواقف على سر هذا الاقتباس . على أن هذا الإنكار لم يرد فى أقوال الأقدمين من لغويينا ، بل فى بعض الكتاب المعاصرين الذين عرفوا شيئاً وغابت

عنهم أشياء ، فهم معذورون لأن الدافع إلى مقالهم هذا غيرتهم على تراث الأقدمين لا اجتهاد ولا تثبت فى الحقائق . وعندنا من أقوال اللغويين الأقدمين لإثبات هذه الحقيقة ، ما لو تجسم لغدا كامة تسد بها أفواه أولئك المتشدقين الذين ليس لهم من الاشتغال باللغة إلا الادعاء الفارغ اهـ .

بندلى جوزى

كلة (خراج) الأرض يونانية

جاء فى باب الأخبار العلمية من المقتطف (جزء ١ مجلد ٧٥) ما نصه : يرى الأستاذ بندلى جوزى (الأستاذ بجامعة باكو) وصاحب مقالة (الجزية والخراج) المنشورة فى المقتطف الجزء نفسه) أن أصل لفظة (خراج) هو اللفظة اليونانية (Chorigia) التى كانت دارجة فى مصر وسوريا قبل أن يفتحها العرب ، وكانت تستعمل للدلالة على ما كان يؤديه المزارع عيناً لصاحب الأرض ، قال : «قد وهم كتبة العرب ومن أخذ عنهم من كتبة الغرب فى اشتقاقهم كلة (خراج) بمعناها الاصطلاحى من فعل (خرج) العربى ، وقد استدرجهم إلى هذا الخطأ ورود هذه الكلمة فى القرآن [فى سورة المؤمنون « أم تسألهم خرجاً » أجراً على ما جئتهم به من الإيمان « فخراج ربك » أجره وثوابه ورزقه « خير » وفى قراءة « خرجاً » فى الموضعين وفى قراءة أخرى «خراجاً» فيهما اهـ من الجلالين] . وظاهر القرابة بين (خرج) و (خراج) . ولولا استعمال (خراج) فى الدواوين البزنطية فى مصر قبل الإسلام لترددنا فى أصل الكلمة ولصدق الماوردى فى قوله ص ١٣١ : (والفرق بين الخرج والخراج أن الخرج من الرقاب والخراج من الأرض) . انظر ص ٢٠ من (La proprièté territoriole m. van Perchemen) . والخراج كلة عربية قديمة كانت تدل فى الأصل على الخرج وبالأخص على خرج الأرض » ولهذا أرجح أن الكلمة كانت شائعة بين سكان سوريا ومصر قبل الإسلام وعنهم أخذها العرب اهـ .

طه حسين

فى مناقشة مصطفى صادق الرافعى

ورأى آخر للأستاذ الرافعى يحسن أن نناقشه فيه ولو قليلا : فهو يرى أن من الخير لأنصار المذهب الجديد أن يولدوا من جديد وأن يتعلموا الأدب العربى من جديد وليأخذوا منه بالحظ الموفور فيسلكوا فيه سبيل القدماء . ذلك خير لهم من أن ينتحلوا مذهبهم الجديد ولغتهم الجديدة . فيدخلوا فى اللغة والأدب ما ليس فى حقهم أن يدخلوه ؛ ذلك لأن اللغة موروثة وهى ملك للملايين من الأعمار ولطائفة طويلة من العصور ، فيجب أن نتكلمها كما ورثناها دون أن ندخل فيها شيئاً من عند أنفسنا . ونحن نعترف بأننا نخالف الأستاذ كل المخالفة فى هذا الرأى ونسمح لأنفسنا بأن [نقول] نراه عقيماً ، ونسمح لأنفسنا بأن نزعم أن لنا فى هذه اللغة التى نتكلمها ونتخذها أداة للفهم والإفهام حظاً يجعلها ملكاً لنا ويجعل من الحق علينا أن نضيف إليها ونزيد فيها كلما دعت إلى ذلك الحاجة أو قضت ضرورة الفهم والإفهام أو كلما دعا إليه الظرف الفنى ، لا يقيدنا فى ذلك إلا قواعد اللغة العامة التى تفسد اللغة إذا تجاوزناها . فليس لأحد أن يمنعك أو يمنعنى أن نضيف إلى اللغة لفظاً جديداً أو ندخل فيها أسلوباً جديداً ما دام هذا اللفظ أو هذا الأسلوب ليس من شأنهما أن يفسدا أصلاً من أصول اللغة أو يخرج بها عن طريقها المألوفة ؛ ولولا هذا وأن اللغة ملك لأبنائها يضيفون إليها ويدخلون فيها لما نمت اللغة ولما عاشت ولما استطاعت أن تفى بحاجات أهلها التى تتجدد وتتنوع بتجدد الأزمنة وتبدل الظروف . والكتاب والشعراء فى كل عصر وفى كل مكان يضيفون إلى لغاتهم ويدخلون فيها ويجددونها ، فمنهم من يسعده الحظ فتروج ألفاظه وأساليبه ، ويقبلها الناس ويتهالكون عليها حتى تشيع وتصبح جزءاً من اللغة المألوفة . ومنهم من يخطئه هذا الحظ فلا يحفل الناس بما أدخل ولا بما أضاف ا هـ .

وسأله (سلامة موسى) فى جملة أسئلة نشرها فى الهلال (جزء ١ سنة ٣٦) : وما تقول فى النهضة الأدبية الحاضرة ؟

فأجاب : الأدباء العرب الآن ثلاث طوائف : فمنهم الذين ينزعون إلى القديم مثل

مصطفى صادق الرافعى . ومنهم القاطعون لهذا القديم مثل جبران والريحانى ، وكلتا الطائفتين فى اعتقادى على خطأ . أما الطائفة الثالثة فهى التى توسطت وجمعت بين القديم والحديث ، وهى أنفع الطوائف ولها الغلبة القريبة ؛ وذلك لأننا نحن مزاج من القديم والحديث . فهذه الطائفة الثالثة لا تسمح بالإخلال بالنحو والصرف ، ولكنها لا تبالى بأن تقول (أتومبيل) و(بسكلت) و(تلغراف) اهـ .

أحمد أمين

فى (ضحى الإسلام) ج ١ ص ١٧٤

والآن نريد أن نبحث النواحى التى كان فيها للثقافة الفارسية أثر فى الثقافة الإسلامية ؛ فأول ذلك الألفاظ اللغوية ، ذلك أن العرب لما تحضروا بعد البداوة وجدوا أنفسهم أمام أشياء كثيرة ليس فى ألفاظهم ما يدل عليها ، وكان ذلك فى جميع مرافق الحياة من أدوات الزينة وأنواع المأكل والملبس وآلات الغناء والدواوين ونظامها ونحو ذلك . فسلكوا خير طريق يسلك لذلك ، وهو أن يتوسعوا فى مدلولات الكلمات العربية أحياناً ويأخذوا الكلمات الأجنبية كما هى أحياناً ومصقولة بما يتفق ولسانهم أحياناً . وكانت اللغة الفارسية منبعاً كبيراً من المنابع التى تستمد منها اللغة العربية وتوسع بها مادتها .

حكى أبو بكر الصولى قال : حدثنا علىّ بن الصبّاح قال : سمعت الحسن بن رجاء يقول : ناظر فارسى عربيا بين يدى يحيى بن خالد البرمكى ، فقال الفارسى : « ما احتجنا معشر الفرس إليكم معشر العرب فى عمل ولا تسمية . ولقد ملكتم فما استغنيتم عنا فى أعمالكم ولا لغتكم ، حتى إن طبيخكم وأشربتكم ودواوينكم وما فيها على ما سمينا نحن معشر الفرس ما غيرتموه ، كالإسفيداج والسكباج والدغباج وأمثاله كثير ، وكالسكنجبين والخلنجبين والجلاّب وأمثاله كثير — وكالروزنامج والاسكدار والفراونك وإن كان روميا — ومثله كثير) . فسكت عنه العربى . فقال له يحيى بن خالد : قل له اصبر لنا نملك كما ملكتم ألف سنة بعد ألف سنة كانت قبلها — لا نحتاج إليكم ولا أى شىء كان لكم .

ويقول الجاحظ : ألا ترى أن أهل المدينة المنورة لما نزل فيهم ناس من الفرس فى قديم الدهر علقوا بألفاظ من ألفاظهم ، ولذلك يسمون البطيخ الخربز ، وكذا أهل الكوفة ، فإنهم

يسمون المسحاة (بال) و (بال) بالفارسية ، وأهل البصرة إذا التقت أربعة طرق يسمونها (مربّعة) و يسميها أهل الكوفة (بالجهارسو) و (الجهارسو) فارسية ، ويسمون السوق أو السويقة (وازار) والوازار فارسية ، ويسمون القثاء خياراً والخيار فارسية الخ .

من قديم تسربت ألفاظ فارسية إلى اللغة العربية ، وكان ذلك بطريق التجارة أو الاختلاط ، ولكنها تعد قليلة إذا قيست بالألفاظ التى دخلت فى العصر العباسى للسبب الذى ذكرنا ، وهو أن العرب كانوا أكثر شعوراً بأسباب الحضارة فى العصر العباسى ، فكانوا أشد احتياجاً للاقتباس من الفرس ، ولأن اللغة العربية لم تعد ملكاً للعرب وحدهم ، بل كانت ملكا للعالم الإسلامى جميعهم ، والعالم الإسلامى لا يتعصب للغة العربية تعصب العرب ، فهو يفسح صدره للغات أخرى ما دعا داع إليها اهـ

الآنسة مارى زيادة (مى)

فى (مجلة النهضة النسائية)

ليس للغات حدود . لأن ما تترجم عنه من عواطف الإنسان وخواطره لا يقف عند حد . ولا يمكن حبس أى لغة ضمن سياج وهمى من محتويات المعاجم ومفردات الثقات ، وتقارير المجامع العلمية . لأن ميول الفرد المتكلم المسوق إلى التعبير لا تأبه للمعاجم . ولا تعنى بآراء الثقات ولا تتكيف بتقارير المجامع . وعبثاً تقام حول اللغة الحواجز والسدود ، لأن اللغة ككل كائن حى حساس ذات اتصال دائم بما يحاذيها و يطرأ عليها . فالمد والجزر فيها متعاقبان والنَبْذ والاكتساب على وفق حاجاتها سنة جارية لا تجدى فى تحويلها عربدة الساخطين . وكما تتأثر أحوال الأمم باحتكاكها بالأمم الأخرى وتنفعل بمختلف الحوادث والوقائع فتأخذ وتعطى . وتقلِّد وتقلَّد . وتَقبس وتُقبس . كذلك تتأثر اللغة بذلك الاحتكاك . وتوجد فيها الوقائع والحوادث قومية كانت أم تاريخية أم غير ذلك تغيراً محتوماً حتى ليتسنى على وجه التقريب تتبع تاريخ القوم بمسايرة التغيير البادى فى لغتهم طوراً بعد طور . [فمن تتبع لغتنا فوجد فيها مثلاً ألفاظا فارسية ثم يونانية ثم تركية ثم افرنسية حكم بأن اتصلنا بهذه الأمم على التقريب] .

فوائد منثورة

موانيذ وطبرزين

للإمام الجواليقى كتاب سماه « المعرّب من الكلام الأعجمى » (طبعه العلامة « سخاو » بمدينة ليبسك سنة ١٨٦٧ فى ١٤٣ صفحة) ذكر فيه من الكلمات كلمة « موانيذ » بمعنى « بقايا » واستشهد عليها بقول الفرزدق :

خراجُ موانيـــــذٍ عليهم كثيرةٍ تُشَـــــدُّ لها أيديهمُ بالعواتق

وهى قصيدة طويلة فى مدح عمر بن هبيرة الفزارى . وذهب المستشرق (بوشيه) مترجم ديوان الفرزدق إلى أن مانيذ (مفرد موانيذ) تعريب كلمة (مانده) الفارسية لكنه قال إنه ربما كان الأصح (مانيد) بالدال المهملة . وقد وهم فى ذلك لأن من عادة العرب (إذا عربوا كلمة فيها دال فارسية) أن يقلبوا الدال ذالاً نحو أستاذ تلميذ فالوذج فولاذ بغداذ كَلْوَاذَى مرو الروذ همَذان الخ ؛ فالصحة فى تعريب (مانيذ) أن يقال (مانيذ) بالمعجمة معرب (مانده) بالمهملة من مصدر (مانيدن) أى البقاء . فقول الفرزدق (خراج موانيذ) أى مال خراج هو بقايا متراكمة عليهم من السنين الماضية . ووردت هذه الكلمة فى (التاج) للجاحظ قال : « وكانت على العامل من عمال الملك موانيذ للسنة الماضية » اه من هامش التاج لأحمد زكى باشا .

(الطبرزين) هذا اللفظ معرّب من كلمة (تبر) الفارسية ومعناها آلة للقتال وهى عبارة عن عمود له حدان . هكذا أصله لكنهم عربوه إلى (طبرزين) ثم عادوا فاقتصروا على التعبير بالطَبَر (أى من دون « زين » وإن كانوا استعملوها قبلُ معها كثيراً) .

وقال فى صبح الأعشى : « الطَبَر فارسية بمعنى الفأس . ولذلك يسمى السكّر الصُلْب (طبرْزَذْ) وأصله (طبرزد) أى يكسر بالفأس » و (الطبرداريّة) حَمَلَةَ الأطبار حول السلطان . وبقى الطَبَر مستعملاً حتى بعد اختراع المدفع ومنه رواميز بدور الآثار . انتهى منه أيضاً .

حرف السين أو الصاد فى آخر الـكلمة العربية

يدل على أنها يونانية أو لاتينية

جاء فى بعض مقالات الأستاذ (پ . جوزى) التى ناقش فيها الأب الـكرملى فى دعواه العجيبة وهى (أن اللغة العربية مفتاح اللغات الأوربية) ما ملخصه أن (is) [اس] علامة الإعراب فى أواخر الـكلمات اللاتينية فـكثير من الـكلمات المنتهية بحرف السين أو الصاد هى إذن مأخوذة من اللاتينية أو اليونانية . مثال ذلك (Canis) اللاتينية معناها كلب وقد أخذ العرب منها كلة (قنص) للصيد ومن ذلك أيضا كلمات :

فص (Psifos)	دلاص
لصّ (Listis)	قرطاس
جبص جصّ (Gibs)	كيموس
قفص (Capsus)	كلس
قونس وقِنْس (بيضة الحديد . أعلى الرأس) (Conus)	مكس
فانوس (Phanos)	نحس (Nefas)
فَلْس (Fallis)	كأس
طقس (الطريقة الدينية) (Taksis)	فأس (Pélekys)
ديماس حمّام (Dimostion)	مرميس (كركدن)
فرصة (Pôros)	بلقيس (Pélekis)
ناموس (Nômos)	مومس (Momus)
قلاص	قلّس (ضرب بالدف وغنى)

أقول : وأزيد على ذلك كلمة (عُمروس) بمعنى الحَمَل فإنه يونانى كما فى المخصص وكلمة (سجلاّطس) بمعنى الثوب الصوف يطرح على الهودج فإنها يونانيـة كما قال الأصمعى وأذريطوس ضرب من الأدوية قيل هو السقمونيا .

طريقة فى تحقيق المعرّب

كلمة (فلفل) مثلا إذا ادعاها العرب والهنود حكمنا بها للأخيرين لأن الفلفل إنما هو من نبات بلادهم فأول ما عرفوه سموه (پلپل) ثم نقله التجار إلى البلاد الأخرى ، فالعرب اقتبسوا لفظة (پلپل) وحرفوها إلى (فلفل) . وربما فعل غيرهم مثل فعلتهم كل بحسب ذوق لغته . أما كلمة (كُنْدُر) وهو حصا اللبان فاليونانيون يسمونه (خندروس) فهل هم أخذوا اسم (خندروس) من (كُنْدُر) فيكون أصل لفظهم عربياً أو أن العرب أخذوا (كُندر) من (خندروس) فيكون أصله يونانياً ؟ والجواب أن يقال إن اليونان أخذوا اسمهم (خندروس) من اسم (كُندر) و (كُندر) عربىّ الأصل لأن هذا الصمغ (حصا اللُبان) منبته جبال اليمن ، فإذا كان الكُندر من اليمن فبعيد جداً أن يسميه العرب باسم غير عربى . وإنما اليونان الأعاجم الذين كانوا يسمون بلاد اليمن (العربية السعيدة) ويستبضعون من محصولاتها وخيْراتها إلى بلادهم — هم الذين سموا (الكندر) كندروس أو خندروس . وكما قلنا فى الفلفل والكندر نقول فى كلمة (قزّ) التى اختلف اللغويون فى أصل اسمها ، وينبغى أن نحكم فيه منبت القزّ وهو بلاد الصين التى جلب منها القز (الحرير) فاسم القز رافق القزّ فى رحلته الطويلة من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب . قالوا : وليس للحرير ذكر ولا اسم ولا أثر فى تاريخ فراعنة مصر لأن الحرير جلب من الصين بعد انقراضهم .

طائفة من المعربات

عن السريانيـــة واليونانية

ذكر بعض الفضلاء أن من السريانية كلمات (إشكاره) وهى قطعة من الأرض تزرع و (بطانية) ويراد بها الجبة والبردة و (حياصـة) الحزام للدواب و (حنحن) الخبز والجبن أى فسد وأنتن ، ويقولون فى العراق (حنَّن) وحنحن أكثر استعمالاً فى الجوز . و (طبش) فى الوحل و (كش كشة) أى قبض قبضة و (لبخة) للضماد . وقال غيره : (الشِعرى) بالعربية ، وباليونانية (سيريوس) نجم معروف ، وأصل الكلمتين من مادة

(سعَر) أو (شعر) وهما تدلان على الحرارة كما يتضح من مراجعة هاتين المادتين وما اشتق منهما . وليس لليونان ما يقابل حرف العين . فقالوا فى (شِعرى) (شِيرى) ثم جعلوا الشين المعجمة سيناً مهملة ، لأنه ليس فى لغتهم ما يقابل المعجمة فصارت (سيرى) فأضافوا إليهما حروف الإعراب عندهم فصارت سيريوس اه .

(الفرسخ والفرشخة وأصلهما)

جاء فى المخصص (ج ٤ ص ٨٣) ابن دريد : سراويل مفرسخة واسعة ، ومنه اشتقاق الفرسخ من الأرض . قال مؤلف المخصص : الأمر عندى بعكس ذلك اه . يعنى أن قولهم فى صفة السراويل (مفرسخة) أى واسعة مأخوذ من كلمة (الفرسخ) لا أن الفرسخ مأخوذ من سراويل مفرسخة : فالفرسخ إذن هى الكلمة الدالة على المسافة البعيدة ، فالبعد ملاحظ فى معناها ، ومفهوم من لفظها . ولما رأوا السراويل واسعة قالوا إنها مفرسخة أى متباعدة الأطراف ، وبالغوا فى ذلك حتى جعلوا بُعد مابين ساقيها أو فتحتى قدميها مقدار فرسخ . وقد نص الجوهرى فى الصحاح على أن (الفرسخ) فارسى معرب وهو ثلاثة أميال . ولا يخفى أن العرب إذا عرّبوا كلمة أعجمية (ولا سيما إذا كانت عبرانية أو سريانية ولعل فرسخ منهما) وكان فيها سين جعلوا سينها شيناً وعلى العكس أى إذا كان فيها شين جعلوها سيناً . وعلى هذا كلمة (الفرشخة) بالشين المعجمة بمعنى السعة كما فى القاموس . ولم ينص على أنها تعريب الفرسخة . والفرشخة عامية شامية مبتذلة . يقال للرجل فرشخ رجليك ، وللصبى إذا أراد البول (فرشخ فرشخ) أى باعد بين قدميك لئلا تتلوث . أو يقال إن (فرشخ) بالشين والخاء هى محرفة عن (فرشح) بالشين والحاء المهملة : فإن بعضهم يقول إن معناها فتح بين رجليه ، وتفرشحت الناقة تفحّجت للحلب . وفرْشَد بالدال باعد بين رجليه . وقد يقال إن (فرشخ) من فشَخ الثلاثى بزيادة الراء لغرض ما فى الأصل . ولهذه الزيادة شواهد كثيرة بين الكلمات الفصيحة والعامية . لكن فعل (فشخ) بالخاء بمعنى باعد بين رجليه خطأ ، وربما كان العوام صحفوه من فعل (فشَج) بالجيم بمعنى باعد بين رجليه ليبول . والقالى جعل (الفرسخ) عربية الأصل لا فارسية معربة كما قال الجوهرى ؛ ففى الأمالى (ج ٢ص ٢٠٧) سُمى الفرسخ فرسخاً ، لأن صاحبه إذا مشى فيه استراح عنه وسكن اه يعنى أن فرسخ المسافة

مشتق من (الفَرْسَخ) بمعنى السكون . ومنه قولهم (إذا مُطِرَ الناسُ كان للبرد بعد ذلك فَرْسَخ) أى سكون .

(أعرابى أستاذ)

الرَسْوة السوار من خَرَز أو ذَبْلٍ (الذَّبل عظم ظهر السلاحف) وفى الصحاح الرسوة شيء من خَرَز ينظَّم كالدَسْتينج . وجاء فى المخصص (ج ٤ ص ٤٩) قال بعض الأعراب الرَسْوة هى الدَسْتينج اه . ولا يخفى أن (الدستينج) كلمة فارسية مركبة من كلمتين . وفى التاج (الرسوة) و (الدَسْتينح) كلاهما معربان ، فالأعرابى يعرف كلمتين فارسيتين منذ الأصل (رسوة) و (دستينج) لكن دَسْتينج عنده وفى زمنه أشهر من رسوة ، ولما سألوه : ما الرسوة ؟ فسرها لهم (وهى فارسية الأصل) بكلمة (دستينج) الفارسية الأصل ، فلا جرم أن يستحق هذا الأعرابى لقب أستاذ لما أوتيه من معرفة بكلمات لغته حتى المعرَّبات منها .

المعرّب فى شعر الأعشى

فى المخصص (ج ٤ ص ١٠٣) الأَرَنْدَج واليرندج الجلد الأسود وهو بالفارسية (رَنْدَة) قال الأعشى :

(عليه ديابوز تَسَرْبَلَ تحتـه يرندج إسكافٍ يُخَالط عِظْلِما)

و (الديابوز) ثوب ينسج بنيرين لفظه معرب ، وهو بالفارسية (دوبوز) اه . والكلمات الفارسية فى شعر الأعشى لا تكاد تحصى ؛ من ذلك قوله يعدد آلات الطرب وكلها ألفاظ فارسية :

(ومُسْتَق سِيسمن ووَنّا وبربطاً يجاوبه صَـنْجٌ إذا ما ترنّما)

قال فى المخصص ومن أسماء المزمار (المُسْتَق) ، ويقال له أيضاً (مُسْتَق سِيسمن) أى يؤخذ باليد وهو معرب كأن أصله (مُشته) اه . والوَنّ صَنْج يضرب بالأصابع و (مُشْتَه) كف اليد .

مرّ آنفاً أن (الأرندج) هو الجلد الأسود المصبوغ بالعِظْلِم ، وهو نبت يصبغ به . أما الجلد الأبيض فهو (الأُشْكُزُّ) وهو معرب . و الحوَر أيضاً ، وهو لفظ عربى . وأما الجلد

الأحمر فهو مَعْن . وقد لمزوا الأعشى فى استعماله الأعجمى ، وقال بعضهم إنه كان يتظرف بذلك . ولعلهم إنما يمدحونه بذلك لأن الظرف ليس عيباً .

(ومن استعمال بلغائنا للمعرَّب)

ما جاء فى رسائل البديع الهمهدانى ص ٥٣١ (الـكَدْخِدَائية) بمعنى تدبير أمور المنزل والمعاش . وهو يقرب ممـا يسمونه اليوم (علم تدبير المنزل) و (كدخدائية) نسبة إلى (كتخدا) و (كتخدا) و (كاخية) كانا يطلقان فى الدُوَل التركية على موظف كبير فى قصر السلطان يتولى أمر النفقات وإدارة شؤون القصر ، ثم سمى فى العهد العثمانى (خرج وكيلى) .

(كلمة دهليز وتحليلها)

فى المخصص (جزء ٥ ص ١٢٦) قال أبو حاتم : الدِهليز — الدِلّيج فارسى معرب اهـ
أقول : فكلمة (الدليج) بالفارسية تدل على ما نسميه نحن العرب دِهليز وقد عربناها من كلة (دليج) . وراجعت (دليج) فى معجم (كنز لغات) وقد ضبط فى المخصص بتشديد اللام وكسر الدال فلم أجده ، وإنما وجدت (دَليك) و (دَلِك) بمعنى واحد وهو (ثقب) (مثقوب) (مَنْفَذ) فلا جرم أن يكون المراد بدلّيج التى ذكرها المخصص الدليك الذى معناه المنفذ بالتركية ، ومعنى الدهليز فى استعمال العرب المنفذ يصل بين باب الدار الخارجى وصحنها الداخلى . وعبارة القاموس الدهليز ما بين الباب والدار .

(كلمة الكاس)

وأصلها وأخواتها الأعجميات

فى المخصص (جزء ٥ ص ١٢٦) والفُسَيْفِساء والفُسَيْسَاء ألوان تؤلف من الخرز فتوضع فى الحيطان . والفِسْفِسُ البيت المصور بها اهـ . لـكنه لم يشر إلى عجمة كلة الفُسيفساء . وقد قال بعضهم إن الوليد بن عبد الملك لما بنى الجامع بدمشق جلب من جزيرة (أفسس) إحدى جزر الأرخبيل الرومى صناعاً زخرفوا المسجد بهذا الضرب من الزينة (زينة الخرز) كما سماها

المخصص ، فجعل الناس يطلقون على هؤلاء الصناع اسم الأفسسيين أو الفساسفة ، ومن اسمهم هذا تولدت كلمة الفسيفساء . وقيل فى تعليل التسمية غير ذلك .

أما كلمة الكلس ومرادفاتها ففى المخصص (جزء ٥ ص ١٢٢) ما يلى ملخّصا :

(الشيد) كل شىء طَلَيْتَ به الحائطَ من جصٍّ أو بَلاط .

(القَرْمد) كل ما طُلِىَ به كالجصِّ والزعفران . أقول القرمد لفظ معرب وأصل معناه الطِلاء ؛ فالجِصّ قرمد أى طلاء للجدران . والزعفران قرمد أى طلاء للأبدان . ومنه قول النابغة فى المتجردة (. . . بالعبير مُقَرْمَدِ) أى أن ذلك الشىء مطلى بالزعفران .

(الجِصّ) وفى لغة الحجاز (القَصّ) و (القَصّة) يقال جصَّص داره وقَصَّصها . ومكان (قصاقِص) و (جُصاجص) أى أبيض مُسْتَوٍ . والجَصَّاصات المواضع التى يعمل فيها الجِص .

(الحُرض) الجِص و (الحرّاض) الذى يحرقه و (الحرّاضة) الموضع الذى يُحرق فيه .

(الصاروج) بالفارسية (جاروف) عُرِّب حتى صار (صاروج) وحتى صرفوا منه الفعل فقالوا بيت مُصَرَّج ، وقال بعضهم (يعنى فى مرادف صاروج المعربة أو فى مرادف « جاروف » الفارسية) شاروق وحوض مشرّق .

(الكلس) الصَّاروج يُبنى به ، قال أبو على ولا فعل له . وكل ما طليتَ به حائطاً أو باطن قصر من غير آجر . وقد كلّستُ الحائط . وقال ابن دريد : (الكلس) هو (الكِرْس) وليست بجيدة اه . يعنى أن الكرس ليست فصيحة فصاحة الكِلْس . أقول لأن (الكِرْس) أقرب إلى الأصل الأعجمى من (الكلس) المعرّب ، ففى المعاجم التركية أن (كِرَج) معناها الكلس والصاروج فعربت أو حرفت إلى (كرس) ثم عربها الفصحاء إلى (كلس) باللام واستعملوها ، فكانت هى الجيدة لا كرس .

(بعض ما جاء فى شعر المعرّى من المعرّب)

(لا يبصر القوم فى مغناك غِسْلَ يدٍ   على الطعام إلى أن يُرفع السُّور)

(السور) دعوة الوليمة أو كل سرور وهى من الفارسية .

(إذا قيـل لك اخش الله مولاك فقـل : آرا)

(آرا) أى نعم . وهى من الفارسية أيضاً .

فياقَسٌّ وقّع بزرق الخطيـ ـب وانظر بمسجدنا يا مُنَشْ

قالوا هو الناظر بالعبرية .

وقفت على كل بابٍ رأيـ ـت حتى نهاك أبو ضابط

قالوا هو كنية الميت بالحبشية . وذكر فى (الغفران) لفظة (الباسنة) والجمع بواسن بمعنى الإناء ص ١٦٩ وهى هندية فيما أحسب . اه من كتاب (أبو العلا وما إليه) .

(الفِرِنْد والبندق والفندق والفنداق)

فى المخصص (جزء ٦ ص ١٨) ما نصه : (فرند السيف قال أبو على وهو البِرَنْد قال سيبويه هو فارسى معرب . وهذه الفاء فى (فرند) أو الباء التى فيه مبدلة من باء بين الباء والفاء ، ونظيره فندق (المأكول) حكاه [سيبويه] فى باب اطراد الابدال فى الفارسية اه قوله ونظيره (فندق) عنى بالفندق [واسمه بالعربيـة جِلوز على وزن سِنّور وقيل جِلّوز غير عربية أيضاً] الثمر المدحرج المأكول ، إذ هو الذى يقال فيه أيضاً (بندق) بالباء ؛ ففاء فندق وباؤه نظير فاء فرند وبرند وباؤهما على ما قرره سيبويه من أن أصلهما الباء الفارسية وهى التى تلفظ بين الباء العربية والفاء مثل (شلوبين) اسم النحوى المشهور . وقد غلب اليوم اسم (بندق) على اسمه الآخر (فندق) وذلك لأن فندق بالفاء اشتهر اسماً للخان . قال التاج : « والفُندق بلغة أهل الشام الخان من هـذه الخانات التى ينزلها الناس مما يكون فى الطُرُق والمدائن ، وهو فارسى حكاه سيبويه» اه . فالفندق بمعنى الخان عند الشاميين فارسية أيضاً ، وقد نرى بعض الأدباء يستعملها تفادياً من استعمال (أوتيل) الأفرنسية على ظن صحة عروبتها ، وليست كذلك . وفى اللسان : قال الليث الفنداق صحيفة الحساب ، قال الأصمعى أحسبه معرّبا اه . وقال التاج فى مستدركه هو بالقاف لا بالفاء كما ذكره صاحب القاموس تبعاً للصاغانى . والفنداق إذن هو القائمة أو الكشف أو البيان أو الفاتورة التى هى من الإفرنسية (facture) .

الزردوم بمعنى البلعوم وفعل زَرْدَمَهُ

أهى فارسية أو عربية ؟

فى القاموس وشرحه (زردمه خَنَقَه أو عصر حلقه . وابتلعه . والزردمة الغلصمة . وقيل الزردمة هى تحت الحلقوم واللسان مركب فيها . وقيل هى (أى الزردمة) كلمة فارسية . قلت : فإن كان مركباً من (زَرْ) و (دَمَه) فإن (دَمَه) هو النَفَس و (زَرْ) هو الذهب . وإن كان مركباً من (زرد) و (مه) فإن (زرد) هو الأصفر و (مه) هو القمر فليتأمل ذلك اه قول التاج على القاموس . وقال المخصص (جزء ٦ ص ١٢٦) الزَغْد عَصْر الحَلْق . وكذلك زردبه وزردمه . والزردمة فارسى أصله (آزارْ دمه) أى تحت النفس اه . أقول والمصريون فى لهجتهم الدارجة ما زالوا يستعملون فعل الزغد بالمعنى المذكور إلى اليوم . أما فعل (زَرْدَمَ) بمعنى (عصر البلعوم) فعندى أنه محرف عن (زَدْدَمْ) أى بدالين فى الوسط لا راء ودال . وهى فارسية من (زدن) مصــدر . بمعنى ضرب ودق . و (دم) بمعنى نَفَس . فيكون معنى (زَدْدَم) دقّ العُنُق على ملاحظة أنهم كنوا بكلمة دم التى معناها النَفَس عن العُنُق أو البُلعوم الذى هو مجرى النفس ، والعرب يقولون فى الــكلام الفصيح (دقّ عنقــه) بمعنى كسره . فلعلّ الفرس فى عهد العباسيين سمعوا هذا التعبير منهم فترجموه إلى (زَدْدَمْ) أى دقّ وكسر عنقه بلغتهم ، ثم نقلوه إلى معنى شدّ على حلقه أوعصر على نَفَسه أومجرى نَفَسِه يعنى بلعومه فصارت (زَدْدَمْ) الفارسية تؤدى معنى (خَنَق) العربية ثم تحرفت (زَدْدَم) إلى (زَرْدم) أى بقلب الدال الأولى راء . وما أسهل هذا القلب والتحريف على النساخ . أما اليوم فإن العوّام يستعملون (الزَرْدُومة) بمعنى البُلعوم . ويقولون فلان وقّف الميّ (أى الماء) فى زراديم فلان أى فى بلاعيمه ، كناية عن أنه وَقَف حركته حتى لم يعد يعرف كيف يتصرف . وأقول أيضا : إن فعل (ازدرد) معناه ابتلع وهو من الافتعال . وأصله (ازترد) من (زَرِد) الثلاثى بمعنى (بَلَع) يقال : زَرِد اللقمةَ . لــكن إذا كان يقال من (بَلَعَ) أخت زَرِد (بُلعوم) فلماذا لا يقال من أختها (زَرِد) (زُردوم) أى بُلعوم ؟ وعلى هذا لماذا لا تكون (زُردوم) عربية كبُلعوم وكذا فعل زردمه خلافا لما قاله ابن سيده فى المخصص ، وتكون زيادة الواو والميم فيها

كزيادتها فى كثير من كلمات اللغة العربية مثل حلقوم وشبرم وشدقم . ولنا فى هذه الزيادة مقال حققنا فيه أنها (أى تلك الزيادة) سريانية أو عبرانية الأصل فليراجع مقالنا فى مجلة المجمع (مجلد ٣ ص ٦٥) تحت عنوان « تحقيق مسألة لغوية وهى زيادة الميم فى بعض كلمات اللغة » .

طائفة من المعربات

فى المخصص : أبو حنيفة : حَرٌّ سَخْتٌ شديد . وأنشد (تحتَ حَرّ سَخْتٍ) ، وهذه الكلمة فارسية . ابن دريد : يوم داموق : ذُو وَعْكَة . فارسى معرب من (دَمَهْكَر) على وزن (سفَرْجَلْ) أى شدةُ حَرّ آخذٍ بالنَفَس : لأن (الدمَهْ) النَفَسْ اه . [و (كير) بمعنى مُمسك قابض . فالحرّ الشديد يشد على النَفَس و يقبض عليه ، ومنه فى صفة الملوك (جهانكير) قابض على الدنيا ، مستولٍ على العالم] و (دَمَهْكَر) بفتح الكاف هى كالداموق فى أنها معربة أو مستعملة فى كلام العرب وأصلها فى الفارسية (دمهكير) بياء بعد الكاف . ومن هذا الأصل أخذ العرب (دَمَهْكَر) كسفرجل . وعن (دمهكر) حرفوا (داموق) كساجور . و (النَزّ) الماء المتحلب من الأرض أو غيرها ، وهى كلمة فارسية عُرّبت وكسر نونها أفصح ، وعربيتها الفصحى (نَجْل) وجمعها نجول ونجال وهى النزوز التى تتجمع فتصبح مستنقعات . وعلماء الفن يقولون (حمّى مَرْزَعة) من الرزَع ، لكن الرزَع الطين والوحل ، كأنهم يعنون أن النزوز والنجول تجفّ وتتحول إلى طين ، ومنها ينبعث البعوض ناقل المكروبات . وعندى أن يقال (حمى نزّية) لا بل حمى نجلية لأن النزّ أعجمية .

ووصف صاحب المخصص (الدالية) و (الدولاب) . وهما من أدوات الاستقاء وصفاً مستقصياً لم نعتده من علماء اللغة ، فقال (ج ٩ ص ١٦٣) والدولاب التى تدور دَوْرَ الشهرَق شَهْرَق الحفّار الخ ، يعنى أن دولاب الماء يدور كما يدور الشهرق . ثم أبدل منه شهرق الحفار . ولعله يعنى بالحفّار حفّار الخواتيم ، فإن له دولاباً صغيراً يستعمله فى حفرها . ثم قال المخصص إن الشهرق كلمة فارسية استعملتها العرب . وزاد التاج فقال (الشهرق) كجعفر القَصَبة التى يُدير حولها الحائك الغزْل — كلمةٌ فارسية استعملها العرب . قال رؤبة كذا . ثم قال : وكذلك شَهْرَقُ الخارط وشَهْرَقُ الحفار اه ملخصاً .

(شاجرد أو شاقرد)

المعروف لفظه بيننا اليوم (شاكرد) أى تلميذ متعلم طالب علم ، وهو لفظ فارسى ورد فى بيتين للأعشى يصف بهما نفسه وشيطانه المسمى مسحلاً كيف كانا يتدارسان الشعر ويهذّانه هذًّا قال :

وما كنتُ شاجردى ولـكنَّ حسبَتِى   إذا مسحلٌ سدَّى لِىَ القولَ أنْطِقُ)
(شريكان فيما بيننا من هـــدادة   صبيّان . جـــنىٌّ وإنسٌ موفّق)

قال التاج : قال البكرى ورواه أبو عبيدة (شاقردى) وهو المتعلم . و (مسحل) شيطانه و (حسبتى) هنا بمعنى (اليقين) — قال التاج وهو أى شاجردى أو شاقردى معرب عن (شاكرد) بالفارسية اه . أقول قوله (هدادة) بالدال المهملة لم أجد لها معنى مناسباً ولعل صوابه (هُذاذة) بضم أوله وذالين معجمتين تأنيث (هُذاذ) مصدر هذَّ القراءة هذًّا إذا أسرع فيها وسردها سرداً . ولو كان مكان الأعشى شاعر من الإسـلاميين غواة الصنعة لقال (ألحمُ) و (مُعَلَّمُ) مكان (أنطق) و (موفق) ويكون معنى البيتين أننى لست فى الشـعر تلميذاً مبتدئاً ، بل أنا على يقين من أن شيطانى (مسـحلاً) إذا سدَّى الشعر (أى مدّ سَدَاه وخيوطه الأولى) ، فأنا أنطق بذلك الشعر الذى سدّاه (أو فأنا ألحم ذلك الشعر أى آتى بلحمته وأتم ما بدأ به شيطانى) ثم قال : أنا وهو شريكان فى تلاوة الشعر وهذّه وسرده . بل أنا وهو صبيّان : هو صبىٌ جنّى وأنا صبىٌ إنسى موفّق فى عملى وشعرى ، أو أنا صبىٌ إنسىٌ معلَّم أى شديد العلم . ولا ينافى هذا قوله (شاكرد) لأن (الشاكرد) المتعلم الذى ما زال تلميذاً و (المعـلَّم) انتهى تعلُّمه وأصبح من العلماء . وقوله (صبى) يفهم منه أنهم كانوا يستعملونه فى مقام المدح بالمهارة والحذق والنشاط كما يستعملون كلمة (فتى) فإنهم نقلوها من معنى الوصف بالصبى إلى معنى الـكمال فى الرجولة ذات النشاط والنجدة . وكلمة (شاكرد) السابقة عربت أيضاً إلى (شاكرى) وتجمع على (شاكرية) مراداً بها الخادم والخدم كما ذكر ذلك التاج فى مستدركه على مادة (شدد) .

(كلمة المرج فارسية)

جاء فى المخصص (ج ١٠ ص ١٢٧).

والمرج الأرض المغيضة الواسعة التربة المعشاب وأصْله فارسى . وقد جرى فى كلام العرب وحُرِّف ، قال العجَّاج ووصف عيرًا وأُتُنًا

(وقد رَعى مرجَ ربيعٍ مُمْرَجا)

والممرج المرعى اه .

ولم يشر التاج إلى فارسيتها ، بل ربما أشار إلى العكس مذ قال إن مَرَجَ الدابة بمعنى خلاها أو بمعنى أرسلها للرعى . مع أن فعل (مرَجَ) إنما اشتق من كلمة (مَرْج) الفارسية كما اشتقوا كثيراً من هذه الـكلمات أمثال هندس من كلمة الهندسة وهى فارسية من (أندازه) وأمثاله كثير فى الدخيل من الـكلمات كما مرّ بك فى كتابنا هذا .

كلمة (جَدّ) معربة

(وأنه تعالى جد ربنا) . فسروا الجد بالعظمة وبالغنى وبالجلال . وورد فى دعاء الاستفتاح (تبارك اسمك وتعالى جدك) ، وذكر الأمير شكيب فى تعاليقه على كتابه (الارتسامات اللطاف) أن السيد جمال الدين الأفغانى قال له (تعالى جَدُّك) أى (سريرك) والجد معرب (كـكد) وهو السّرير بالفارسية . ولـكن غاب عن علمائنا أصلها اه .

أقول لا يخفى أن السرير فى هذا المقام يراد به العرش المـكنى به فى لسان الشرع عن العظمة وسعة الملك ، فلو قال شيخنا الافغانى فى تفسير (الجد) الفارسية (جدك) أى عرشك لـكان أقوم وأقعد .

كلمة آيين الفارسية

وتداولها على ألسن فصحائنا

(آيين) الآيين كلمة فارسية عربها العرب واستعملها كبار كتّابهم ، ومعناها القانون والعادة ، وأصل معناه السـياسة المسيّرة بين فرقة عظيمة . وفى الـكشاف (ليس من آيين الملوك استراق الظفر) قاله ذو القرنين لما قيل له (بيِّت على العدو) وقال مهيار :

(يجمع الخِرّيتُ حولاً أمره وهو لم يأخذ لهـا آيينَهُ)

[أقول يصف الصحراء وأن الخريت يبقى سَنَةً يتهيأ لسـلوكها وهو مع هذا لا يمكنه أن يستجمع لسلوكها كل ما عرفه من القوانين أو المعدات اللازمة لسلوك الفلوات المهلكات] وفى كلام الجاحظ فى التاج (وعن الأكاسرة أخذنا قوانين الملك وآيين المملكة) (غلب عليه اللهو واستخف بآيين المملكة) (ولبس فى آيين المملكة أن يسير الأعظم بسير من هو دونه) (وفى ترك الـكلام على الطعام فضائل كثيرة هى فى آيينهم تركنا ذكرها) وقوله : (آيينهم) يعنى به آيين الأكاسرة والمراد به هنا اسم كتاب بعينه ضمنه الفرس مجموع القوانين والنواميس والعادات والاصطلاحات المقررة عندهم . ومن قول الجاحظ فى (كتاب البخلاء) إحضار الجدى (يعنى فى آخر الطعام) إنما هو شىء من آيين الموائد الرفيعة ، و إنما جعل كالعاقبة والخاتمة وكالعلامة للفراغ ولم يحضر للتخريب والتمزيق) .

وقال الأستاذ أحمد أمين فى ضحى الإسلام : « وقد جمع ابن المقفع كتاب (آيين نامه) ومعنى الآيين النظم والعادات والعرف والشرائع ، فالـكتاب وصف لنظم الفرس وتقاليدهم وعرفهم ، وقد ذكر المسعودى أنه كتاب كبير يقع فى ألف من الصفحات » اه .

كلمة (قوش) من المعربات

فى المخصص (ج ٢ ص ٨٨) : ورجل قوش قليل اللحم ضئيل الجسم فارسىّ معرب ، إنما هو كُوشُك أى صغير اه . وقوله (إنما هو كوشك أى صغير) يشعر أن الـكلام مستأنف ، وأن لفظة (كوشك) فى اللغة العربية بمعنى صغير ، لأنه يعدّد الأسماء التى تدل على صغر الجسم ونحافته . ولا يوجد (كوشك) بمعنى صغير لا فى التاج ولا فى اللسان ؛ فمن ثمّ ارتبنا فى عبارة المخصص حتى علمنا أنه فى قوله (إنما هو كوشك أى صـغير) أراد أن الـكلمة الأصلية الفارسية التى عرِّبت عنها كلمة (قوش) هى كلمة (كُوشُك) فقد قال فى القاموس وشرحه (رجل قوش بالضم أى صغير الجثة وهو معرب وهو بالفارسية « كُوچُك » [وقد كتبها بالجيم لا بالشين كما فعل المخصص] قال الأزهرى وأنشد لرؤبة : « فى جسم شخت المنكبين قُوش » . وفى التهذيب : رجل قوش أى قليل اللحم ضئيل الجسم معرب) اه .

وفى اللسان (رجل قوش صغير الجثة ، فارسىّ معرب وهو بالفارسية كوچك قال

رؤبة الخ) لكنه فتح الجيم من كوجَك وهو خطأ وصوابه ضمها (كُوجُك) فتبين من هذا أن العرب عرفوا قوش بمعنى الصغير ، وقد أخذوها من كُوجُك الفارسية بعد حذف كافها الأخيرة وجعل الكاف قافا وتحويل الجيم الفارسية إلى الشين العربية فصارت قوش . وفى تركية هذه الأيام القوش معناه الطائر . و (قوش) تكون فعل أمر بمعنى (اركض) ومصدره قوشمق

(كلمة « فاثور » الأعجمية)

لجميل فى بثينة قصيدة غزلية دالية رقيقة نشرها صاحب الأمالى فى أماليه (جزء ٢ ص ٢٩٩) ومطلعها :

ألا ليت أيام الصفاء جديدُ　　ودهر تولى يا بثين يعود

إلى أن قال :

سبتنى بعينى جؤذر وسطَ ربرب　　وصدرٍ كفاثور اللجين وجيد

[قوله وجيدُ بالرفع عطف على ضمير الرفع المستتر فى سبتنى أى سبتنى هى وجيدها وصح العطف لوجود الفاصل . أما قوله (كفاثور) فهو معرب عن كلمة (پَتَر) ومعناها كل ما صُفِّح من ذهب أو فضة أو نحاس . وفى الروض الأُنُف (الفاثور) سبيكة الفضة — ثم نقلوه (العرب أو الفرس) إلى قرص الشمس لشبهه بالسبيكة أو الصفيحة الذهبية — ثم إلى الآنية من فضة أو ذهب أو رخام مما فيه استدارة ولمعان كالطست والجام والباطية والخوان (وكأنَّ الخوان عندهم كالصينية المتخذة من شَبَهان (نحاس أصفر) عندنا ، فإن منها ما هو مستدير لطيف الحجم] . وقد أطال القاموس وشرحه القول فى كلمة فاثور والاستشهاد لها من الشعر فراجعهما .

دُرُوغ

هى كلمة أعجمية معناها الكذب ، قال أبو سهل عبد الرحمن بن مدرك المتوفى فى حماة سنة (٥٥٢) وهو من أسرة أبى العلاء المعرى :

ولما سألت القلب صبراً عن الهوى　　وطالبته بالصدق وهو يروغُ

تيقنت منــــــه أنه غير صابر وأن سلواً عنـــــه ليس يسوغُ
فإن قال لا أســـلوه قلت صدقتنى و إن قال أسلو عنه قلت : دُرُوغُ

فانظر كيف استعمل الكلمة الأعجمية فى محلها اللائق بها . وهذا يُحتج به على أن الكلمات الأعجمية تفيد فى تكاثر المترادفات التى قد يحتاج إليها الشعراء فى القوافى .

(الجَرْدق والجَرَادق)

(جَرْدَبَ) أكلَ ونهِمَ ووضع يده على الطعام لئلا يتناوله غيره فهو (مُجَرْدِب) و (جَرْدَبان) . والمادة فارسية ، لأن (الجردبان) بالفارسية معناه حافظ الرغيف أو من أكل بيمينه ومنع بشماله (أى منع غيره عن مد يده للأكل شرَهاً) . قال الشاعر :

(إذا ما كنت فى قوم شَهَاوَى فلا تجعـــل شمالك جَرْدَباناً)

و (جَرْدَبان) معرب (كِرْده بان) و (كِرْده) رُقاق ، خبز مرقوق . و (بان) حارس ، ومنــه (باغبان) (بغچه بان) حارس الكرم ناطور . بستانى . وفى المثل (لا تجعل يدك جردباناً) يضرب فى ذم الحرص والشره . وكلمة (كِرْده) الفارسية بمعنى الرُقاق عرفها العرب قديماً وعربوها إلى (جَرْدق) و (جردقة) يريدون بهـا الرغيف . وما زال الباعة فى دمشق يصنعون ضرباً من الخبز الرقاق ويسمونه (جَرَادق) لـكن صنعه خاص بشهر رمضان ، ونوعا آخر أنفس من الأول وأجود خاصا برمضان أيضاً يســمونه (براذق) بالباء والذال المعجمة .

چهار الفارسية

عربها العرب إلى إستار

ومن المعربات كلمة (إستار) تعريب (چهار) أو (چار) الفارسية بمعنى أربعة (وقيل هى رومية لا فارسية) قال جرير فى (الفرزدق) ونسيبه (البعيث) يهجوهما من قصيدة :

(قرن «الفرزدق» و «البعيث» و «أمه» و «أبو الفرزدق» — قبّح الإستار)

وقال أيضاً :

(إن «الفرزدق» و «البعيث» و «أمه» و «أبا البعيث» لشرُّ ما إســـتار)

قال شارح النقائض : (الإستار) وزن أربعة . فهم أربعة . وهم شرٌّ كلهم ، وأراد بالإستار چهار الفارسية اهـ. وقوله (والإستار وزن أربعة) أى وزن أربعة مثاقيل ونصف كما فى القاموس ، وجمعه أساتير . هذا معنى الإستار فى الوزن ، أما معناه فى العدد فأربعة كما يفهم من قول جرير؛ إذ أن الفرزدق وجماعته لم يوزنوا وزناً فيطلق عليهم إستار ، وإنما هم يعدّون عدداً ، بل ربما كان (الإستار) مستعملا فى الأربعة الذين تجمعهم جامعة واحدة أو ينتظمهم أمر واحد كما يظهر من عبارة القاموس والتاج ، وهذه هى :

(ومن المجاز ؟ الإستار بالكسر (أى كسر همزته) فى العدد أربعة ، قال جرير (إن الفرزدق الخ) أى شر أربعة . ورابع القوم إستارهم ، قال أبو سعيد : سمعت العرب تقول للأربعة إستار ، لأنه بالفارسية چهار فأعربوه وقالوا (إستار) ، ومثله قال الأزهرى . وزاد جمعه أساتير . وقال أبو حاتم ثلاثة أساتير وللواحد إستار ، ويقال للأربعة إستار ، يقال : أكلت إستاراً من الخبز أى أربعة أرغفة . والإستار فى الزنة أربعة مثاقيل ونصف وهو معرب أيضا) اهـ

أقول فيفهم من هذا أن (الإستار) المعربة بمنزلة (زوج) العربية التى تطلق على اثنين فى اصطلاح الناس اليوم ، وبمعنى (دزِّينة) المعربة من الإفرنسية التى تطلق على اثنى عشر . لكن قول أبى حاتم يقال (ثلاثة أساتير) ليس المراد ثلاثة أربعات ، فيكون اثنى عشر ، وإنما المراد ثلاثة من أربعة أى ثلاثة أثلاث ، وكذلك قوله (للواحد إستار) ليس كل واحد إستار ، وإنما مراده الواحد من أربعة يطلق عليها إستار كما يطلق عليه كلمة ربع . وجاء فى أمالى أبى على القالى (ج ٢ ص ٢٣١) : حدثنى محمد بن عبد الله القَحْطبى قال : إنما سمى الأخطل لأن ابنى جُعَيْل تحا كما إليه أيهما أشعر فقال :

(لعمركَ إننى وابنى جُعيل وأمّهما لإستار لئيمُ)

فقيل للأخطل : إن هذا لَخَطل من قولك فُسمى الأخطل . . . ومنطق خَطِل فيه اضطراب.

أقول . قوله (لئيم) بالإفراد فى صفة إستار يدل على أن لفظ (إستار) أصبح فى دلالته على أربعة بعينهم مفرداً كلفظ زوج ولفظ دزِّينة الإفرنسية ولفظ (طاقم) التركية التى يراد بها اثنا عشر فرداً من جنس واحد ، فيقال مثلا (طاقم ملاعق) ثمين لا ثمينة . وكذا إستار لئيم لا لئام ، وزوج حمام جميل لا جميلان ، وقولنا هذا مبنى على الاصطلاح الشائع فى استعمال لفظ (الزوج) لا على اصطلاح أهل اللسان .

الفصل فى القضية

انعقدت جلسة نادى دار العلوم مساء أول أمس فى مدرسة عبد العزيز وهى ثالثة جلساته ، لأجل الفصل فى القضية بين الأستاذين الفاضلين الشيخ محمد الخضرى القائل بجواز التعريب وصحة استعمال الكلمات المعربة و بين الشيخ أحمد الاسكندرى القائل بعدم الجواز والصحة. وقد حضر هذه الجلسة كثيرون من أهل العلم والفضل ورجال الأدب والصحافة . وكان الخطباء فى هذه الجلسة يرمون فى كلامهم إلى تأييد رأى الفاضل الأول كما كان شأنهم فى الجلسات السابقة ، مما أوقع فى الخيال أن الحكم سيكون بجواز التعريب وصحة استعمال المعرب ، ولا سيما لما قال سعادة فتحى باشا زغلول فى خطبته «تقدموا ولا تتهوروا» قال ذلك بعد أن وصف الضرر الذى يعود على اللغة وأهلها إذا وقفت وأحجموا هم عن السير بها نحو الكمال والرقى . وهو لا يعنى بالسير باللغة إلا تنميتها بالتعريب وتوسيع دائرتها بالمعربات ، ثم فسر ذلك بقوله: «أرى لكم -- إذا عرضت لكم كلمة أعجمية — أن تترجموها إلى لغتكم ، و إذا أعيتكم الترجمة فاشتقوا لها من لغتكم ، و إذا تعسر عليكم الاشتقاق فعربوها بقوة التعريب التى فى لغتكم » فهل بقى شك فى نفوس الحاضرين أن الحكم سيكون من نصيب الفاضل الخضرى ؟

ثم نهض حضرة الفاضل أحمد بك زكى (أحمد زكى باشا) فأبان ما يعانيه المترجمون من صعوبة ترجمة الكلمات الأعجمية إلى العربيـة وأن ذلك يستدعى الجرى على قاعدة «الباب المفتوح» فى اللغة كما يجرون عليها اليوم فى السياسة ، ثم شرط لفتح الباب أن يكون عليه من الحراس الأكفياء ما يحول دون دخول أى كلمة كانت : يشير بذلك إلى المجمع اللغوى الذى تكون وظيفته تمحيص تلك الألفاظ الدخيلة وعدم السماح لها بالدخول فى بنية اللغة ما لم تهذب وتشذب . و إن الرجاء معقود بأن سينتدب للقيام بهذه المهمة حضرات أعضاء النادى . وظاهر من كلام الخطيب الموما إليه أنه يرمى فى جواز التعريب إلى أبعد غاياته . فلم ينتظر الحاضرون بعد كل هذا إلا أن يقوم رئيس النادى حضرة حفنى بك ناصف و يحكم بين المتناظرين بما أجمع عليه الخطباء فيقرر جواز التعريب و يرحب بالكلمات المعربة .

قام حضرته فقدم بين يدى الحكم مقدمات طويلة يشبه أن تكون حيثيات له . وقد تراءى من خلال تلك المقدمات أن الحكم سيكون على غير ما ينتظره الجمهور . ذكر أولا من سماعية اللغة العربية وأنها لا تخرج فى قواعدها وأحكامها عما قرره البصريون والكوفيون الذين تلقوا اللغة الفصيحة عن قبائل معدودة من العرب انحصرت فيهم اللغة الفصحى واللهجة المثلى ، فلم تفسد لغتهم بمخالطة الروم والفرس والحبش والزنج والنبط . و بعد ذلك حصر الخلاف بين المتناظرين فى دائرة ضيقة جدا وهى أسماء الأجناس الحديثة التى لم نهتد بعد إلى ترجمتها أو وضع اسم لها مشتق أو متجوز فيه بأحد ضروب التجوز . فمثل نيوتن و باستور لا خلاف فى جواز استعماله فى العربية كما فى الافرنجية ، ومثل منطاد للبالون ، ودراجة للبسيكليت و باخرة وقاطرة وسيارة للوابور واللوكوموتيف والأتومو بيل — كل ذلك لا خلاف بين حضرات المتناظرين فى لزوم استعماله وهجر مرادفاته الأعجمية . أما المعرب الذى لم نترجه بعد ولم نجد له فى لغتنا ما يصح أن يطلق عليه ما حكمه ؟ قال حضرة الرئيس الفاضل إن الأستاذ (الخضرى) القائل بجواز التعريب يجوز استعمال ذلك المعرب ، وأما مناظره الفاضل (الاسكندرى) فهو و إن كان لا يجوز التعريب لكنه لا يرى أن نسد أفواهنا ونلزم الخرس ألسنتنا فلا ننطق به . كلا هو لا يقول ذلك و إنما يقول بجواز استعماله مع الاعتقاد بخطئنا ووجوب بحثنا عن مرادف عربى له يقوم مقامه . قال حضرته فالخلاف بين المتناظرين لفظى أوهو خلاف فى مسألة اعتقادية لا فى مسألة لغوية : فإن كلا منهما يجوز استعمال ذلك المعرّب ، ولكن أحدهما مستقر النفس عند هذا الجواز ومعتقد صحته ، والآخر غير معتقد الصحة فهو لا يهدأ له بال ما لم يجد لفظا عربيا يخلفه . وما دام جواز الاستعمال واقعاً فالخلاف مرتفع .

ولا يخفى أن هذا الحكم لم يراع فيه الوجه المنتظر ، وما حاوله حضرة الرئيس من جعل الخلاف لفظيا ومن التقريب بين المتناظرين قد يؤدى إلى اشتباه الحدود و إضاعة الحقوق ، فيبقى الخلاف ويستمر النزاع بين المتناظرين والمتشيعين لهما ، ولا سيما شيعة الخضرى الذين يرون فى هذا الحكم نقضاً لموضوعه وتزييفا لدعواه : وهى أن التعريب جائز لنا معشر العرب فى هذا العصر ، ولنا أن نستعمل اللفظ المعرب استعمالا أبديا من دون أن نقول إنا مخطئون أو مقصرون كما كان الحال فى زمن العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام . هذه هى دعواه .

ولكن حضرة الرئيس حكم بأنه ليس لنا أن نعرب، و إذا استعملنا المعرب فإنما نستعمله استعمالا مؤقتا فنبحث له عن مرادف فى العربية . وهذا لا يريده الأستاذ الخضرى ولا يعترف به ، ولا سيما بعد أن وضحت حجته فى دعواه وأصفق جمهور الخطباء على ترسّمه فيما ذهب إليه .

ومن ثمة تطالّت الأعناق إلى حَكم أمثل . وقاض أعدل . فنهض سعادة فتحى باشا زغلول واسترعى أسماع القوم وقال : إذا عرض لنا لفظ أعجمى ترجمناه إلى اللغة العربية بالحرف و إذا تعذر هذا اشتققنا له اسماً من لغتنا ، و إذا لم يتيسر جئنا بكلمة عربية وأطلقناها عليه بضرب من التجوز ، و إذا تعذر هذا أيضا عرّبناه وأدمجناه فى تراكيب كلامنا . وكان أسوة المعربات الكثيرة التى انطوت عليها جوانح لغتنا . فهل قبلتم هذا ؟ فتعالت أصوات الجمهور وصفقوا له معلنين الرضاء والسرور .

المغربى

عبد القادر بن مصطفى المغربى

كتاب الاشتقاق والتعريب

القاهرة ١٩٠٩ مطبعة الهلال (١٤١ صفحة من الحجم المتوسط)

ليس هذا الكتاب مجموعة من المجموعات العلمية العادية ، بل إنه يعود إلى موضوعات أثارها مؤخراً بصورة خاصة علماء اللغة الحريصون على سلامتها والذين لا يرتاحون إلى إدخال عدد كبير من المصطلحات الأجنبية فى اللغة الفصحى . ويرى المؤلف أنه من الموجب وضع الكلمات التى يراد إدخالها إلى العربية فى قالب عربى يضمن سلامة اللغة . ومن صفات اللغة العربية أنها قابلة لتعريب الألفاظ الأعجمية . فمن ينكر مثلا أن كلمة «صراط» المشتقة من اللاتينية Strata وكلمة « قصر » المشتقة من اليونانية Castrum مطبوعتان بطابع أصلى من العربية ؟ ويذكر المؤلف عدداً كبيراً من الكلمات الأجنبية أدخلت منذ البدء فى اللغة العربية ، مؤيّداً بحق أن سلامة اللغة لم تمس بشىء من جراء ذلك .

وينقسم الكتاب قسمين : (الاشتقاق) و (إدخال الألفاظ الأجنبية) ويتبع المؤلف الأسلوب التقليدى فى تقسيم الاشتقاق إلى (كبير) و (أكبر) وإلى نحت الخ . . .

وعند ما يتكلم فى الصفحة العاشرة من كتابه عن الأفعال المشتقة من الاسم الجامد يظهر أنه لا يعترف بوجود فعل « رَجَلَه » بمعنى أصاب رجله . وإنا لسنا من رأى الأستاذ ، لأن المعنى المذكور وإن كان ناقصاً فى بعض نسخ من القاموس فإنه وارد فى « اللسان » و « التاج » .

أما القسم الأكبر من الكتاب فهو القسم الذى يبحث فى الكلمات التى أدخلت إلى العربية وفى مختلف المسائل التى تتعلق بهذا الموضوع .

ومن البديهى أنه ليس جميع ما أبداه المؤلف من الآراء متفقاً مع ما أورده العلماء فى هذه المواضيع . وإن حصر اللغة العربية فى المعانى المصطلح عليها فى النصوص ، بالرغم من كونه حصراً تقليديا ، لا ينطبق على ما سار عليه المخضرمون وعلماء مشهورون فى اللغة كسيبويه ، وكالذين يستشهدون بأبيات من شعر العجّاج وذى الرمة والفرزدق وغيرهم . ولكن كتاب عبد القادر سيساهم فى نشر أفكار أكثر اتساعا فى الشرق وفى قضايا هى الآن موضوع نقاش شديد ولا سيا فى مصر .

« ا . ج »

جدول الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
٩	٦	الاجتنان	الاجتنان	١٠٩	١	miliue	milieu
٢٧	١٩	تحديهم	تحدّيهم	١٠٩	٢١	درجه به	درجة به
٢٩	١٦	مالم	مما لم	١١٢	٣	مسحة دينيته	مسحة دينية مسيحية
٢٩	٢١	استقصاء	استقصاء(١)	١١٥	٢١	بالنبطية	بالنبطية
٣٠	١٣	بفجوان	بفجوان	١١٧	١	وعمروس	وعمروس وفانوس
٣٤	٢٧	لد	كدّا	١١٨	١٣	فلما أتى له	فلما أتى له
٣٥	١١	حوزى	خورى	١٢٤	٨	لاجتماع	لاجتماع
٣٩	٨	يوسطه	بوسطه	١٢٤	٢١	تمحوها	لاتمحوها
٦٠	١٣	والماهر	والماصر	١٢٥	١	الألى	الأولى
٦٠	٢٧	محرزق	محزرق	١٢٥	١٦	إن قوة	أيّ قوة
٦٩	١٤	بالقفشليل	بالقفشليل والقفشليل	١٢٦	٥	كلمتى	كلمة
٧٣	١٥	حجبا	حَبْحَبًا	١٢٧	٢٤	في بعض الكتاب	في أقوال بعض الكتاب
٧٧	١	البلعاء	البلغاء				
٨١	٢٢	والفرس	والترس	١٣٠	٢٤	الحزيز	الحريز
٨٥	٢٦	باللهم	بالهم	١٣١	١٥	وعبثا	وعبثا
٨٩	٢٢	سنصبح	ستصبح	١٣١	٢٣	على التقريب	على الترتيب
٨٩	٢٧	السيد	اليد	١٣٦	١٣	رندة	رنده
٩٣	٢٠	خوش	قوش	١٣٧	٥	علم تدبير المنزل	تدبير المنزل أووظيفة تدبير المنزل
٩٣	٢١	بالتشديد	بالشديد				
٩٤	١٤	الفرس	الترك	١٣٩	٣	بزرق	برزق
٩٦	١٥	أنديككك	إيتديككك	١٤١	١٤	مزعة الرزع الرزع	مزرغة الرز غ الرزغ
١٠٧	١٣	geux	yeux	١٤٣	٤	وحرّف	وصرّف
١٠٨	٢٣	nue	jaune	١٤٣	١٥	ككد	كدّ


Bibliotheca Alexandrina
0410681